

المسائل في أعمال القلوب والجوارح

تأليف

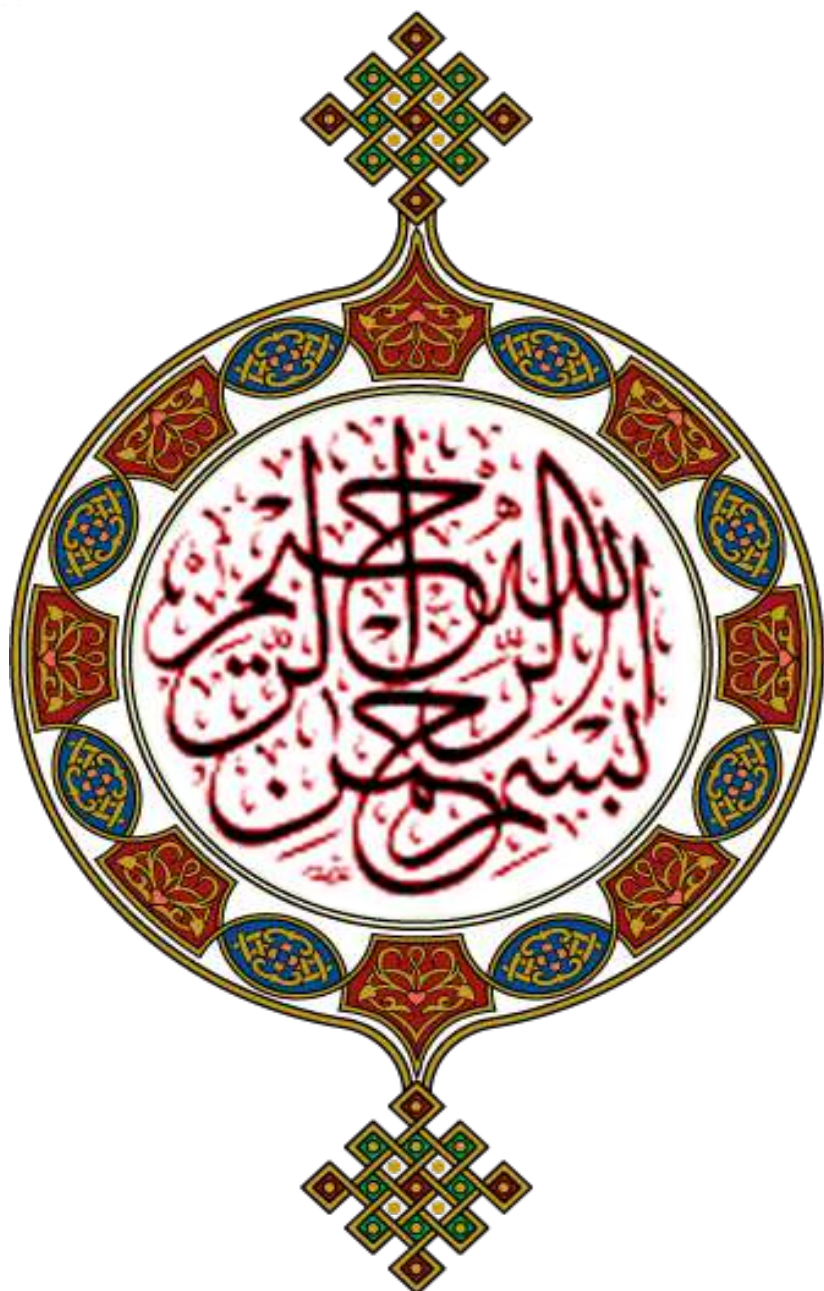
الإمام من الرافضة العالم بعلم المبدأ والمعاد
والمخبر في غيوب النفس والجوارح
شيخ مشايخ التصوف
أبي عبد الله الحارث بن أسد الحارثي
156 - 243 هـ

دراسة وتحقيق
محمد فوزي

ببلومانيا
الطبعة الأولى 1400 هـ



المسائل في الأعمال
القلوب والجوارح



الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
 بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
 بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ
 عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى
 قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)
 وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)
 يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
 (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
 يَكْذِبُونَ (١٠).

. سورة البقرة: { ١ - ١٠ } ، الآية .



هذا الكتاب

إن مخطوطة أعمال القلوب والجوارح هي من روائع كتب المحاسبي؛ لكونها قد مزج فيها المحاسبي روعة الكلمات ما بين الفقه الإسلامي والعنصر الروحاني، لذلك كانت عصارة جهده لسنوات طويلة من فكر وعلم وثبات على نهج القرآن الكريم والسنة النبوية، وعندما تقرأ الكتاب تتمعن تلاحظ بوضوح أنه قد ركز على مفهوم القلب والجوارح وعلاقتهما ببعض عند المؤمن في العبادة سالكا طريق القلب قبل العقل والحواس.

وقد شكّل هذا المنحني عنده طاعة للمريدين بالتفويض والتوكّل لرب العباد برؤيا جديدة بعيدة عن مفهوم العقل؛ لكون أن العقل عند الفلاسفة طريق إدراك النور والقلب، عند المؤمنين طريق نجاة من الهلاك، ولهذا السبب نجد أن هاجس الخشوع يلتزم به المريد القاصد لعلم الشيخ المحاسبي رحمه الله منذ قراءة السطور الأولى في الكتاب، فقد جاءت بكلمات ومعاني معطرة ببلاغة القرآن الكريم ووعظ وسرد الأحاديث.







قائمة الإشارات

- { } الآيات القرآنية
- () الأقوال من المخطوطات
- « » الأحاديث النبوية
- زيادة من المحقق
- [] نقص في الأصل
- * * * مخطوطة أسمائها ورد المتن
- (()) الأقوال المقتبسة من الكتب

قائمة المختصرات

- الأصل: مخطوطة جامع السليمانية اسطنبول
- الأزهر: مخطوطة المكتبة الأزهرية القاهرة
- د.ت: دون تاريخ
- د. ط: دون دار طباعة

- ت: تحقيق
- ف.ح: فحص حواشي
- أ: اعتناء وضبط
- تر: ترجمة
- ش: شرح
- تخ: تخريج
- ع.ع: علق عليه

صور المخطوطات المستخرجة
في الكتاب



نسخ مصورة عن مخطوطة مكتبة السليمانية



غلاف كتاب المخطوطة



الصفحة الأولى من المخطوطة في مسألة الحسبة



الصفحة الوسط من المخطوطة وهي مسألة بدون عنوان



المسألة الأخيرة في المخطوطة في النذور

صور وصلات شراء
نسخ المخطوطة



وصل شراء نسخ المخطوطة من مكتبة السليمانية إسطنبول



وصل شراء نسخ المخطوطة من المكتبة الأزهرية القاهرة



نسخ مصورة عن مخطوطة مكتبة الأزهر



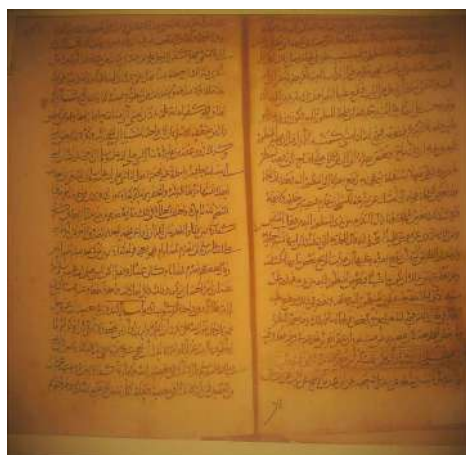
معلومات غلاف مخطوطة المكتبة الأزهرية



الصفحة الأولى من المخطوطة في مسألة الحسبة



الصفحة الوسط من المخطوطة



المسألة الأخيرة في المخطوطة مكتبة الأزهر القاهرة

المَسَائِلُ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ

تأليف

الإمام الزَّاهِدُ الْعَالِمُ بِعِلْمِ الْمُعَامَلَةِ وَالْمُتَحَدِّثِ
فِي غُيُوبِ النَّفْسِ وَأَحْوَالِهَا شَيْخُ مَشَايِخِ التَّصَوُّفِ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيِّ

١٦٥هـ - ٢٤٣هـ

تحقيق

محمد فوزي كريم

فقد قال: ((فقد انتهى إلينا: «إنَّ هذه الأمة تفرقُ على بضْع وسبعين فرقة منها فرقة ناجية»^(١)، والله أعلمُ بسائرِها^(٢) فلم أزلُ برَّهةً^(٣) مِنْ عُمري أنظرُ اختلافَ الأُمّةِ، وألتمسُ المنهاجَ القويمَ الواضحَ، والسبيلَ القاصِدَ وأطلبُ مِنَ العِلْمِ والعملِ ما اجتمعَ عليه السلفُ في جدّةِ^(٤) الإسلامِ، واستدللتُ على طريقِ الآخرةِ بإرشادِ العلماءِ، وعَقَلْتُ كثيرًا من كلامِ الله تعالى بتأويلِ الفقهاءِ، وتدبرْتُ أحوالَ الأُمّةِ ونظرتُ في مذاهبِها وأقاويلِها فَعَقَلْتُ مِنْ ذَلِكَ ما قُدِرَ لي، ورأيتُ اختلافَهم بحرًا عميقًا قد غرقَ فيه ناسٌ كثيرٌ، وسلمَ مِنْهُ عِصابةٌ قليلة، ورأيتُ كُلَّ صَنَفٍ مِنْهُمْ يزعمُ أنَّ النجاةَ في مذهبِهِم والهلاكَ من خالفَهُم))^(٥).

الحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ المَحاسِنِيِّ

(١) سنن الترمذي. محمد بن عيسى: رقم الحديث : ٢٦٤١. صحيح ابن ماجه. الألباني: رقم الحديث: ٣٢٢٦.

(٢) بسائرها : أي مَهازِيل. يُقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ المَزْرِيَةِ عَلَى المِثْلَافِ لِمَالِهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٩٦.

(٣) بَرَّةٌ: زَمَنٌ.

انظر: : تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهر: ج ٦، ص ١٥٨.

(٤) جُدَّة: عظمة. وقال الله تبارك وتعالى: {جَدِّ رِبْنَا} أي عظمة ربنا.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج ١، ص ٥٧٦.

(٥) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢. الوصايا. المحاسبي: ت: عبد القادر عطا: ص ٢٩. آداب النفوس. المحاسبي: ت: عبد القادر عطا: ص ٢٠.

المقدمة

الحمد لله الذي فضل ذوي العقول، وميز العالم من المجهول، وقدم الفاضل على المفضول بما خصه من حكمة تستيقظ بها الأبواب الإلهية وتستقيم بها الأخلاق الجاسية؛ ليغم الصلاح والاستصلاح بما فطر عليه من خلق مطبوع ودعا إليه من تخلق مصنوع، فيتصاحب الناس مؤتلفين ويتواصلوا متعاطفين، فله الحمد على ما أنعم وألهم، وصلواته على الهادي أمته وموضح شريعته محمد النبي وعلى آله وصحبه ذوي المروءات والكرام.

صوفي متحدث بالوعظ عالم يعلم اليقين سار نبّل فضله وتكلم به الخلق؛ فأراههم الجوهر المكنون وشفّت الأسراع بدر لفظه المكنون، فهو أحد الأوتاد كانت أحواله مصححة مذكورة، شيخ مشايخ التصوف أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري العنزي الأصل، وأشار نسبه إلى القبائل العربية في شبه جزيرة العرب، ((١٦٥ هجرية - ٢٤٣ هجرية))^(١).

وقد سمي المحاسبي بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المهملة وفي آخرها باء موحدة؛ لأنه كان يحاسب نفسه، وقد اجتمع له علم الظاهر والباطن بكرم الله عز وجل، كان الشيخ مهتماً بالزهد ويطالب بمحاسبة النفس من الناحية الدينية والخلقية داعياً إلى التوبة، عارف العارفين في زمانه وأستاذ السائرين وشيخ البغداديين^(٢)، كان أحد رجال الحقيقة

(١) انظر: تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ١٠٤. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ١١٠. الأعلام. الزركلي: ج ٥، ص ٢٨١. طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٨. أنباء أبناء الزمان. ابن خلكان: ٦١. مرآة الجنان. للياقيني: ج ٢، ص ١٠٦. طبقات الأولياء. ابن الملقن: ص ١٧٥. شذرات الذهب. لابن عماد: ج ٣، ص ١٩٧. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. الكواكب الدرية في طبقات الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٨. اللباب في تهذيب الأنساب. الجزري: ج ٣، ص ٦٣.

(٢) انظر: تذكرة الأولياء. نيسابوري: ص ٢٩١. الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥. الأنساب. السمعاني: ج ٩، ص ٧٦. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٥٧.

الداعي إلى الإنابة لله عز وجل والراعي لحقوق الله والمقتدي بسنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في شرح المعرفة وبذل النصائح للعباد في فهم القرآن والصلاة.

كان الوعظ لديه يُشير منذ بداية حياته إلى معرفة الله عز وجل، وكان دائم الكلام حول معرفة عدو الله، وأما خواتم أحاديثه كانت حول معرفة النفس الأمارّة بالسوء، كانت لديه مقدمات في الكتب تسير في خط مستقيم واحد، فهو المسترشد للمريدين والقائل: ((مَنْ عَمَلَ الْأَعْمَالَ بِمَا سَمِعَ فَقَدْ عَمَلَ بِأَخْلَاقِ الْأَوْلِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ))^(١)، كَانَ سَالِكٌ لَطَرِيقِ الْخُلُوتِ مَعَ رَبِّهِ الْعَظِيمِ، نَاصِحٌ بِنَصَائِحِ الْوَرَعِ وَالتِّي دَقَّقَ فَوْصِفَهَا بِالْمَجَانِبَةِ لِكُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَعَلِ الْقَلْبِ وَعَمَلِ الْجَوَارِحِ^(٢).

لقد نصَحَ العباد بالوقوف بين يدي الله ومناجاته بخشوع وتضرع من خلال فهم السنن لأنها آداب النفوس ودواء فتن القلوب، دَقَّقَ الوَصْفَ فِي الْعَقْلِ لِتَجَنُّبِ الْفِتَنِ، فَقَالَ عَنْهُ: (إِنَّهُ غَرِيزَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ فِي أَكْثَرِ خَلْقِهِ، فَمَنْ عَرَفَ مَا يَنْفَعُهُ مِمَّا يَضُرُّهُ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ بِهِ الَّذِي سُلِبَ مِنْ أَهْلِ الْجَنُونَ)^(٣).

وَقَدْ أَعْطَى أَيْضًا وَصْفَ عَظَمَةِ اللَّهِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ فِي الْخَلْقِ بِكَلِمَاتٍ مُوجِزَةٍ وَمَفْهُومَةٍ بَسِيطَةٍ لِلْمُرِيدِينَ، فَقَالَ: ((إِنَّ الْخَلْقَ كَحَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ، إِذَا انْفَكَّتْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ تَعَطَّلَتْ جَمِيعُهَا مِنَ الرِّبَاطِ، وَلِذَلِكَ جَعَلَهُمْ مُتَّصِلِينَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِأَنَّهُمْ صَنَعَةٌ وَاحِدَةٌ))^(٤).

كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ مُحَاسِبَةً لِنَفْسِهِ، وَيَحُثُّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَكَاسِبِ وَالشَّبَهَةِ وَبَيَانِ مُبَاحِهَا وَمَحْظُورِهَا وَاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي طَلِبِهَا، تَطَّلَعَ فِي الرَّدِّ عَلَى بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَحِثُّهُمْ عَلَى بَيَانِ فَرَضِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) طبقات الأولياء. ابن الملن: ج ١، ص ١٧٥.

(٢) مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. الحارث بن أسد المحاسبي: ص ١٢٩.

(٣) مخطوطة كتاب الزهد. الحارث بن أسد المحاسبي: ص ١١٢.

(٤) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم الأصفهاني: ج ١٠، ص ٧٤.

وجلّ الذي تجتمع فيه خواص الخلق وعوالمهم، وسبحانه الذي ربط التوكل بالحركة في كسب طلب الرزق، واتضح أنّ الشيخ المحاسبي الزاهد رحمه الله قد اعتزل الخلق واختفى من المريدين في أواخر حياته بخلوة طويلة في الثالثة والستين من عمره، وقد رجع قبل وفاته بمدة قليلة ليرشد المريدين إلى الاقتداء بالطريق الصحيح في الخلوات والنهج الذي يتبع في العبادة.

وقد روى أبو بكر بن هارون بن المجدر قال: سمعتُ جعفر بن أبي ثور يقول: حضرتُ وفاة الحارث فقال لهم: إن رأيت ما أحبُّ تبسّمت إليكم، وإن رأيت غير ذلك تبيتتم في وجهي، فتبسّم ثم مات^(١).

لقد تُوفي الشيخ المحاسبي سنة (٢٤٣ هجرية) وقد دفنه وصلى عليه تلاميذه، وهم علماء التصوّف في القرن الثالث الهجري، ومنهم: الجنيد البغدادي، وأحمد بن عبد الله بن ميمون، وجعفر ابن أبي ثور سري السقطي. كان زاهداً حتى في موته؛ فكان يكفيه أربعة من المتصوفة في دفنه على حشود عامة الناس رحمه الله، دُفن في مقبرة باب الدير العتيقة في جانب الكرخ ببغداد، والتي سميت فيما بعد بمقبرة الشيخ معروف الكرخي ويتضح أنّ مكان التربة قد اتخذته الصوفية فيما بعد تربةً لمرقّد مشايخ الصوفية.

كان الشيخ المحاسبي صاحب الإحساس المرفه بكل ما يتعلق بالدين، ومن المشهور عنه أنّه كان محفوظاً إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة؛ يتحرّك في إصبعه عرق فيمتنع عن تناوله^(٢)، لقد كان منهجاً للزهد، واتضح من الكتب أنّ الامام الحسن البصري كان أعظمهم أثراً في فكره^(٣).

لقد استطاع المحاسبي بكلامه وعلمه في الوعظ والكلام أن يُخرّج التّصوّف من فوضى التشتت إلى الأحكام العامة، فهو في زمنه مرجع

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان. اليافعي: ج ٢، ص ١٠٦. الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص ٥٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٣.

الأولياء في جميع الفنون^(١)، كان المعلم الواعظ الزاهد ذا مكانة مرموقة في بغداد، شافعي المذهب متحدث في الفقه من الذين جالسوا الشافعي وتحلو بصحبته وبحلى العقد الفريد، فهو يعد من الطبقة الأولى؛ أي عاصره وأخذ عنه واختار مذهبه في السنة^(٢).

قال الشيخ المحاسبي عن التصوف: ((التصوّف؛ الأخذ بالأصول، وترك الفضول، واختيار ما اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم))^(٣).

إن المحاسبي كان أشدّ معاصريه إتقاناً في علم الكلام، فقد تمّ قبول تعاليمه من الفقهاء والصوفية^(٤)، وإن فكره يُعتبر منهجاً للأصول عند أسلاف الأشعرية في إقامة الجدل عندهم^(٥).

ويبدو أن جميع المصادر قد أشارت أن الامام الغزالي^(٦) كان من أكثر الفقهاء الذين تأثروا بالمحاسبي؛ حيث اعتمد تعاليمه في كتبه وسار على نهجه وأكمل مفهوم علم الكلام من بعده، وقد قيل: أن هذا كان سبب

(١) انظر: تذكرة الأولياء. نيسابوري: ص ٢٩٠.

(٢) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٩. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٣. الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٦.

(٣) انظر: الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم الأصفهاني: ج ١٠، ص ٧٤.

(٤) وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي الذين قبلوا المحاسبي كواحد من ضمن الشيوخ الخمسة الذين تقبل تعاليمهم وتطبق شرعاً وفعلاً، وهم: الحارث بن أسد المحاسبي، والجندب بن محمد، وأبو محمد رُويم، وأبو العباس ابن عطاء. وقال الشيخ بن خفيف عن علمهم وقبوله: لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق، والباقون سلموا إليهم أحوالهم.

انظر: الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص ٥٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٥. سيرة الشيخ محمد خفيف. ت: علي بن محمد الديلمي: ص ١٠٩.

(٥) انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج ٤، ص ١١٤. الملل والنحل. محمد عبد الكريم: ج ١، ص ٨١.

(٦) هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان زين الدين، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وفهم كلامهم، وتصدى للرد عليهم، سار أبو حامد إلى المخيم السلطاني، فأقبل عليه نظام الوزير، وسر بوجوده، وناظر الكبار بحضرته، فانبهر له، وشاع أمره، فأولاه النظام تدريس نظامية بغداد، مات سنة ٥٠٥ هـ. رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٣٢٢.

تقدّمه^(١). واتخذت أيضاً بعض كلمات الوعظ عند المحاسبي كمنهج في القصيدة الشعرية عند علماء التصوّف في المغرب العربي يُتغنّى بها وتتلذذ الأسماع بكلامها عند الإلقاء في الحلقات الصوفيّة^(٢).

ولحق بهذا السرب الرائع بعض أسلاف الفقهاء المفسرين بمنهج فتح باب الشرح والتفصيل في علم الكلام مُستندين على كلام المحاسبي في تفسير آيات القرآن الكريم والاستدلال بها في كبح آفات الجوارح والنفس والرد على كل فرقة ضالة في عصرهم^(٣).

وامتد فكر المحاسبي حتى العصر الحديث عند نهاية القرن التاسع عشر، حيث إن بعض المشايخ قد اقتبس فكر ووعظ المحاسبي في جميع مؤلفاته المترجمة في نهج محاربة النفس وكشف أليوب البشرية وتأمّلات الفكر الباطن وانتقاد الروحانية المزيفة، وكان منهم الشيخ: ((عبد الواحد بن يحيى))^(٤)، والتي قد شكلت ظهور مؤلفاته حافزاً بارعاً للمستشرقين

(١) انظر: المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص ٣١. إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالي: ص ٥٨. مؤلفات الغزالي. بدوي: ص ١١. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٩.

(٢) الكلام لوعظ المحاسبي يقول: (من أراد التلذذ بصحبة أهل الجنة ونعيمها فليقتنع بصحبة أهل الفقر)، والشعر عند الشيخ الصوفي أبو مدين الغوث المغربي يقول (ما لذة العيش إلا بصحبة الفقراء).

انظر: تذكرة الأولياء. النيسابوري: ص ٢٩٤. طبقات الأولياء. ابن ملقن: ج ١، ص ١٧٥. ديوان أبي مدين الغوث: ص ٤٠. أبو مدين الغوث. عبد الحليم محمود: ص ٥٢.

(٣) انظر: مذهب أهل التصوف. محمد الكلابادي، أ: آرثر جون اربري: ص ٧١. ختم الأولياء. حكيم الترمذي: ص ١٧١.

(٤) اسمه الأصلي رينيه جينو: فيلسوف فرنسي ولادة ولد جينو في بلدة (بلوا) في ١٥ نوفمبر ١٨٨٦م من أسرة فرنسية كاثوليكية محافظة، كانت تعيش في بُسر ورخاء؛ فقد كان والده مهندساً ذا شأن. وكانت تلوح عليه منذ الطفولة مخايل الذكاء الحاد، كان متطلّعاً إلى المعرفة.. المعرفة بمعناها الصوفي. كان يتطلّع إلى السماء يريد أن يخترق الحجب، وأن يكشف القناع، وأن يرفع المساتير، وأن يصل إلى الحق، اعتنق جينو الإسلام سنة ١٩١٢م وسمي باسم الشيخ (عبد الواحد يحيى). كتب عن انحراف الماسونية فأثار سخط الماسونيين، وأخذ يكتب عن انحراف البروتستانتية الروحانية الحديثة. وله عدة كتب، منها: مدخل لدراسة العقائد الهندية والتبصوفية: تاريخ دين مزيف، الخطأ الروحي. والميتافيزيقية الشرقية، تأملات حول علم الباطن، ٧ يناير سنة ١٩٥١م. انظر: أستاذ الساترين. عبد الحليم محمود: ص ٦. مقالات رينيه جينو. تر: زينب عبد العزيز: ص ٨.

في تحقيق مخطوطات المحاسبي^(١).

الشيخ المحاسبي كان بارعاً في نقد المجتمع وتشخيص آفاته وكشف الأخطاء عند العلماء والنسالك؛ مما شكّل لديه إرثٌ غزيرٌ عند الباحثين والزهاد في علم النفس البشرية وميولها للأهواء الدنيوية، والذي مازال لحد الآن يُنتظر من البعض ويتطلعون للكشف عنه^(٢).

واتضح من المادة المعروفة عن الموضوع أن المحاسبي كان يسعى دوماً للمنهج والفكر الصائب والواضح للمريدين في جميع مؤلفاته والتي بلغت حوالي ((مائتي مُصنّف))^(٣)، والتي جاء فيها باب الإنصات في أغلب المواضيع عن صفات الورع ومحاسبة النفس، وكيف السبيل لنيل شرف الزهد والتخلص من آفات الدنيا والابتعاد عن الشبهة وارتداء خشن الملابس، وكلها أمور عُرِفَت عن المحاسبي^(٤). إن صفات الزهد والورع لدى المحاسبي كانت سبباً في قبول علمه عند أهل التصوف؛ فعند اطلاعه على أحوالهم النفسية في الزهد والورع اقتبس من فوائدهم ورضي بأدبهم وكان محباً لطاعتهم، فقال: ((فتح الله علينا علماً اتضح لي برهانه، وأناكر لي فضله ورجوت النجاة وجعلته أساس ديني وبنيت عليه أعمالي))^(٥).

(١) London orientalist: Margaret Smith. French orientalist: Louis Mission

French orientalist Halmon Ritter . British orientalist Arthur John Arberry

. German Orientalist: Josef Vin As

انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٤. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٨. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف: ص٦٦.

(٢) انظر: طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج١، ص١٧٥. الطبقات الكبرى. الشعراني: ص١١٣. تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج٨، ص٧١٤.

(٣) طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. زين الدين مناوي: ج١، ص٥٨٧.

(٤) قال المحاسبي (وكذلك كل من عرف بزي الأغنياء فغير زيه إلى التشف كمن عرف بلباس المروي فانتقل إلى لباس الصوف واستنكره العامة على قدره حتى أنه ليشار إليه بالأصابع).

انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٢٠.

(٥) انظر: كتاب الوصايا. للمحاسبي: ص٣١.

وأشارَ صدقُ الحُدىس عند المحاسبي في بعض مصنفاته حول النزاع القائم ما بين مدارس الفقه والحديث في عصره^(١)، وعدم تطابق وجهات النظر في بغداد قد جاءت بمشادات كلامية بين المدارس الدينية^(٢)، فكان النزاع من جهة بين أهل الحديث والفقهاء، ومن جهة أخرى كان هنالك نزاع آخر قائم بين المعتزلة وأهل الحديث، واتضح أن سبب هذه النزاعات الكلامية هي نتيجة لتطور الفكر عند بعض المدارس وتأثرها بالفكر الفلسفي الغربي من ناحية المجادلة في الحديث، اشتدت أواصره في عهد المحاسبي، ولا يخفى أيضاً دخول العامل السياسي في التأثيرات العرقية^(٣)، لخدمة الحاكم باسم الدين، وتقرب بعض العلماء من الخلفاء أو بالعكس؛ لإطاحة المفهوم الفكري لبعض المدارس الأخرى، وقد بانَتْ هذه المسائل في مصنفاته، وقد قال المحاسبي عن بعضهم: ((إذ المعروف عن المحدثين ضيق صدورهم بكل من يخرج عن الحديث ولو قليلاً عن أسانيدهم، وقال عن المدرسة الأخرى: لا تقبل الجدال إلا بنصرة آرائهم))^(٤). وما أشبه اليوم بالأمس.

اشتدت الحملة على المحاسبي في هذا العصر؛ لأنه كان شديد الوطأة على العلماء جميعاً بعد أن شدد بوصفهم، فقال: (فمنهم فرقة تغتر بكثرة الرواية وحسن الحفظ مع تضييع واجب حق الله، وتخيل نفس أحدهم إليه أن مثله لا يُعذب)^(٥). وقد تبين فيما بعد أن السبب الرئيسي في الحملة على مدرسة الوعظ والجدال للمحاسبي كونها مزيجاً ما بين الفقه الإسلامي والروحاني، وتسيرُ بفكرة منهج الواعظ الناقد الناصح للعلماء والمريدين مهما يكون شأن أصحاب هذا المنطق.

(١) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٢٩.

(٢) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٣، ص ٩٧. احياء علوم الدين. الغزالي: ص ٥٣.

(٣) العرقية: من العرق: أي أهل الشرف.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ١٤٩.

(٤) كتاب العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوثلي: ص ٣٣.

(٥) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢.

وقد انتقد بعض العلماء الأغنياء بحديث قد جاء في الأثر، فقال عَنْهُمْ : (لا تكونوا كالمُخَلِّ (١) يخرج الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة، كذلك أنتم؛ تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل (٢) في صدوركم، يا عبيد الدنيا كيف يُدرك الآخرة مَنْ لا تُقضى في الدنيا شهوته ولا تنقطع عن الدنيا رغبته، بحق أقول لكم... إن قلوبكم تبكي من أعمالكم، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم، وأفسدتم آخرتكم بصلاح دُنياكم؛ فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة بمنجاة الناس) (٣).

كان المحاسبي لا يقبل شيئاً إلى أن تظهر حجته (٤)، واتضح ذلك عند قراءة أغلب المؤلفات المحققة من الكتب والمخطوطات، وقال أيضاً: (إن أعمال الجوارح تصحبها بر القلوب أو تفسدها) (٥).

إنَّ الاطلاع الواسع للمحاسبي على آراء كبار علماء عصره ومن تبعهم جعله يقف من جميع الآراء موقف الناقد المغير (٦) في وجوه مخالفه وأعطا وناصحا لعلماء عصره، ويتضح أنَّ أكثر كلمات الوعظ والآراء الفقهية والجدل في علم الكلام التي كانت تتردد في مؤلفات المحاسبي المحققة جاءت بمفهوم القرآن الكريم والأحاديث والأثر، وقد تأثر المحاسبي إلى حد كبير بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَفَرَّقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» (٧)، وبحديث آخر أيضاً وهو:

(١) مُخَلِّ: الغريال.

انظر: المنتخب من كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي: ج ١، ص ٥٣٨.

(٢) الغلُّ: الحسد. وقيل: الشحْناء، والسَّخِيمة.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلْمَةُ بن مُسْلِم الغوثي: ج ٣، ص ٤١٦.

(٣) انظر: مختصر احياء علوم الدين (المرشد الامين). الغزالي: ص ١٨٦. مخطوطة: الرد على بعض الأغنياء من العلماء. المحاسبي. ص ٢١٧، ٢١٦. مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٦.

(٤) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٩.

(٥) انظر: مخطوطة الخلوة. المحاسبي: ص ٣٩، ٤٥. الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٧.

(٦) مغبر في عمله: دائم لا يفتّر.

انظر: الإبانة في اللغة العربية، سلْمَةُ الصُّحاري: ج ٣، ص ٦٠٥.

(٧) انظر: سنن الترمذي. محمد بن عيسى: ج ٥، ص ٢٦.

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(١). وهذا يبرر بحث المحاسبي باجتهاد عن الفرقة الناجية وأسباب التفرقة بين المدارس الإسلامية طيلة مشوار حياته.

فقد قال: ((فقد انتهى إلينا أن هذه الأمة تفرق على بضعة وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية، والله أعلم بسائرهما^(٢) فلم أزل برهة^(٣) من عمري أنظر اختلاف الأمة، وأتمس المنهاج القويم الواضح، والسبيل القاصد، واطلب من العلم والعمل ما اجتمع عليه السلف في جدّة^(٤) الإسلام، واستدلت على طريق الآخرة بإرشاد العلماء، وعقلت كثيرًا من كلام الله تعالى بتأويل الفقهاء، وتدبرت أحوال الأمة ونظرت في مذاهبها وأقاويلها فعقلت من ذلك ما قد رلي، ورأيت اختلافهم بحرًا عميقًا قد غرق فيه ناس كثير، وسلم منه عصابة قليلة، ورأيت كل صنف منهم يزعم أن النجاة في مذهبه والهلك من خالفهم))^(٥).

ويبقى منهج الزهد ومحاربة النفس البشرية بالتصوف عند المحاسبي منهجًا لم يسلم من النقد في عصره، بل وحتى بعد موته، فقد تعرضت إلى انتقادات وتجريح من أغلب المدارس الدينية، ونجد ذلك واضحًا في موقف مدارس الحنبلية من الأبدال^(٦)، وموقف مدارس

(١) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن حجاج: ج ١، ص ١٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ١، ص ٤٤٢.

(٢) بسائرهما : أي مهازيل. يُقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَزْرِيَةِ عَلَى الْمُتَلَافِ لِمَالِهِ. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٩٦.

(٣) برهة: برهة من الدهر، أي: زمن من الدهر.

انظر : معجم ديوان الأدب. إسحاق بن إبراهيم: ج ١، ص ١٤٧.

(٤) جدّة: عظمة. وقال الله تبارك وتعالى: {جَدِّ رِنَا} أي عظمة رينا.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج ١، ص ٥٧٦.

(٥) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢. الوصايا. المحاسبي: ت: عبد القادر عطا: ص ٢٩.

(٦) الأبدال:، ويأتي المعنى في أمم الخلفاء والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وهم أرباب حقائق التوحيد.

انظر : مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١١١.

المُعْتَزَلَةُ^(١) فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ بِالنِّدْمِ لِفِكْرِهِ، وَهَذَا الرَّأْيُ مَدُونٌ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ^(٢)، فَهُمْ يَهَاجُونَهُ فِي الْمُنْهَجِ وَحَتَّى فِي مَوَاضِعِ الْكَلَامِ^(٣).

وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَيْضًا عَنِ اخْتِلَافِ الرَّأْيِ بَيْنَ الْحَاسِبِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لَكُونِ أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ يَشْدُدُ بِالتَّنْكِيلِ فِيمَنْ يَتَكَلَّمُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ، وَالْحَارِثُ يَجَادِلُ بِهِ؛ لِذَلِكَ وَقَعَتْ مَنَازِرَةٌ كَلَامِيَّةٌ بَيْنَهُمَا.

فَقَالَ الشَّيْخُ الْحَارِثُ: ((إِنَّ الرَّدَّ بِالْكَلَامِ عَلَى الْبِدْعَةِ فَرِضٌ لِلدِّفَاعِ عَنِ الْعَقِيدَةِ))^(٤)، فَردَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَكِنَّكَ حَكِيمٌ شَبَّهْتَهُمْ أَوَّلًا فَأَجَبْتَ عَلَيْهَا؛ فَلَمْ تَأْمَنْ أَنْ يُطَالَعَ الشَّبْهَةُ مِنْ تَعَلُّقٍ^(٥) بِفَهْمِهِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْجَوَابِ أَوْ يَنْظُرَ إِلَى الْجَوَابِ وَلَا يَفْهَمُ))^(٦).

وَقَدْ شَكَلَتْ الْعِزْلَةُ بَيْنَ الشَّيْخِ الْحَاسِبِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ الْكَثِيرَ مِنَ التَّأْوِيلِ وَاللَّبْسِ فِي الْكَلَامِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَأَخَذْتُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَقْوِيلِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي هِيَ بَعِيدَةٌ عَنْ نَهْجِ الْعُلَمَاءِ^(٧). فَهَلْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ! عَلِمًا بَأَنَّ بَعْضَ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَ فِيهَا أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ قَدْ بَكَى حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ عِنْدَ سَمَاعِهِ وَعَظَّ الْحَاسِبِيُّ حِينَ قَالَ: ((مَا سَمِعْتُ

(١) الْمُعْتَزَلَةُ: وَيُسَمُّونَ أَصْحَابَ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ، وَالَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيمٌ وَالْقَدَمُ أَخْصُ وَصْفٍ ذَاتِهِ، وَهُمْ أَصْحَابُ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ أَحَدِ تَلَامِيذِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ الَّذِي اعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ بِسَبَبِ رَأْيِهِمْ حَوْلَ أَنْ مَرَّتْ كَبِيرَةُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ وَيُثَبَّتُ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ؛ فَطَرَدَهُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ مِنْ مَجْلِسِهِ.

انظر: الملل والنحل. محمد الشهرستاني: ج ١، ص ٣٨. الغنية لطالبي الحق عز وجل. عبد القادر الكيلاني: ج ١، ص ١٨٧.

(٢) انظر: كشف الظنون. الحاج خليفة جلي: ج ٢، ص ١٥٧٣. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٤. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨.

(٣) انظر: تلبيس إبليس. الجوزي: ص: ١٤٧، ص ١٥٨، ص: ١٦١، ص: ١٧٣.

(٤) انظر: المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص ٣٢.

(٥) عِلْقٌ، لَعْلُهُ سُمِّيَ بِهِ لِتَعَلُّقِهِ بِالْقَلْبِ، وَتَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٧٩.

(٦) أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ١٨.

(٧) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٩.

في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل))^(١)، وقد ذكّر أبو بكر الخلال^(٢) في كتاب السُّنة عن الإمام أحمد قوله: ((ما زال مأوى أصحاب الكلام للحارث بمنزلة الأسد المربط))^(٣).

وهذه المسألة تمّ الجدل بها كثيرًا، ولكنها حُسمت في الرأي فيما بعد، فقال فيها أحد العلماء: ((كلام الإمام أحمد حقٌّ، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تستهز، فأما إذا انتشرت فالجواب عنها واجبٌ، ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية))^(٤). واتضح فيما بعد أنّ مفهوم فكر الاختلاف عند الإمام أحمد وتلاميذه من الشيخ الحارث المحاسبي وتلاميذه هي مسألة رأي لكونهم علماء للمسلمين^(٥)، وقد قيل من بعض العلماء: ((إن الجرح إن صدر من تعصب أو عداوة أو منافرة أو نحو ذلك، فهو جرح مردود ولا يؤمن به إلا المطرود فلا يقبل قدح الثوري في أبي حنيفة، وقدح ابن معين في الشافعي، وقدح أحمد بن حنبل في المحاسبي))^(٦).

ويتبين أنّ بعض الكتب لم تستطع أن تتخلّى عن فكرة القدح في التصوف ومنهجه، فهناك عدّة رسائل للفتاوى^(٧) في قدح وذم لمنهج كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي الذي يُعتبر سلسلة متجددة

(١) انظر: الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٩.

(٢) أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال الإمام العلامة الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم توفي سنة ٣١١ هـ.

انظر: سيرة أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٤، ص ٢٩٨.

(٣) تلبیس إبلیس. الجوزي: ص ١٦٢.

(٤) انظر: المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص ٣٢.

(٥) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٩. تهذيب التهذيب. العسقلاني: ج ٢، ص ١٣٥.

(٦) انظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. محمد الكنوي: ص ١٩٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٨.

(٧) سئل الشيخ ابن تيمية عن كتاب إحياء علوم الدين، وقوت القلوب. فقال: وأما في إحياء علوم الدين للغزالي، من كلام المهلكات مثل الكلام عن كبر والعجب والرياء، فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية، ومنه مقبول ومنه مردود، ومنه ما هو متنازع عليه. والإحياء للغزالي فيه فوائد كثيرة، ولكن فيه مواد مضمومة.

انظر: مجموعة الفتاوى. ابن تيمية: ج ١٠، ص ٣١٢. كتاب إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالي: ص ١١٨٢.

لِفِكْرِ الشَّيْخِ الْحَاسِبِيِّ، وَهَذَا دَلِيلٌ وَبَرَهَانٌ لَمَّا تَمَّ ذِكْرُهُ فِيمَا سَبَقَ عَنْ بَعْضِ الْمَدَارِسِ الَّتِي لَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا هَذَا الْكِتَابُ مِنَ النَّقْدِ وَالتَّجْرِيحِ حَتَّى فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ^(١)، وَلَكِنْ بِمَرُورِ الْوَقْتِ دَخَلَ الصَّرَاغُ الْفِكْرِي فِي مَرَحَلَةِ الْفُتُورِ^(٢) الْجَزْئِيِّ، وَكَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ التَّوَسُّعِ الْفِكْرِيِّ لِلْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ عِنْدَ بَعْضِ نَهْجِ فِكْرِ الْعُلَمَاءِ^(٣) حِينَ اتَّخَذُوا نَهْجَ تَفْسِيرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَطَرِيقَةِ الْوُضُوءِ فِي الصَّلَاةِ عَنْ مَفْهُومِ فَقْهِ الشَّيْخِ الْحَاسِبِيِّ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى انْتَقَدُوا بَعْضَ الْأَفْكَارِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا نَهْجَ التَّصَوُّفِ مِنَ الْحَاسِبِيِّ^(٤).

وَأَمَّا عَنِ الطَّرْفِ الثَّانِي فِي النِّزَاعِ مَعَهُ، فَقَدْ كَانَتْ مَدَارِسُ الْمُعْتَزِلَةِ مِنْ أَشْرَسِ أَعْدَائِهِ، وَكَانَتْ آرَاءُهُ فِي تَعَارُضِ دَائِمٍ مَعَهُمْ طِيلَةَ مَشْوَارِ حَيَاتِهِ؛ فَكَانَ شَدِيدَ الرَّدِّ بِالْكَلامِ عَلَيْهِمْ فِي إِبْطَالِ أَحَادِيثِهِمْ، وَبِالْأَخْصَ عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُونَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ عَنْهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي رَدِّ الْمُعْتَزِلَةِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ: ((كَانَ الْحَارِثُ الْحَاسِبِيُّ أَشْبَهُهُمْ إِتْقَانًا وَأَمْتَنَهُمْ كَلَامًا))^(٥).

فَكَانَ يَتَجَادَلُ مَعَهُمْ دَائِمًا حَوْلَ الْوُجُودِ، وَلَكِنَّهُمْ يُوَاجِهُونَهُ بِالتَّنْكِيلِ بِهِ وَبِآرَائِهِ الْكَلَامِيَّةِ؛ لَكُونَهُ يَؤْمِنُ بِوُجُودِ مُخْرَجٍ غَيْرِ النَّصِّ وَالْعَقْلِ لَدَى الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْقَلْبُ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي مُصَنَّفِهِ فَهْمُ الْقُرْآنِ^(٦). لَكِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ لَمْ يَهْتَمُوا لِأَمْرِهِ كَثِيرًا لِاسْتِخْفَافِهِمْ بِالْفَقْهَاءِ وَالزَّهَادِ فِي الْمَجَادِلَةِ عِنْدَمَا انْتَشَرَتْ أَفْكَارُهُمُ الدِّينِيَّةُ فِي بَغْدَادِ سَنَةِ مِائَتَيْنِ وَتِسْعِ عَشْرٍ هَجْرِيَّةً^(٧).

(١) انظر: المأخذ العقائدية على كتاب إحياء علوم الدين. عبد الله العتبي: ص ٥٠.

(٢) الْفُتُورُ: لُغَةً يَمَانِيَّةٌ. يُقَالُ: أَصْبَحَ فُلَانٌ خَمَجًا إِذَا فُتِرَتْ أَعْضَاؤُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ تَعَبٍ. انظر: جُمُورَةُ اللُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْأَزْدِيُّ: ج ١، ص ٤٥٥.

(٣) انظر: رسالة المسترشددين. عبد الفتاح أبو غدة: ص ٣٢.

(٤) الشَّيْخُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ نَقَلَ الْوُضُوءَ عَنْ كِتَابِ فَهْمِ الْقُرْآنِ لِلْحَاسِبِيِّ فِي مَجْمُوعَةِ الْفَتَاوَى، وَنَظَرَ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ مِنْ كِتَابِ الرِّعَايَةِ عِنْدَمَا سَأَلَ عَنْهُ مِنْ بَعْضِ تَلَامِيذِهِ عِنْدَ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ. انظر: .: مَجْمُوعَةُ الْفَتَاوَى. ابْنُ تَيْمِيَّةٍ: ج ١٠، ص ٣١٢.

(٥) انظر: كِتَابُ الْمَلَالِ وَالنَّحْلِ. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ: ص ٢٧.

(٦) انظر: الْعَقْلُ وَفَهْمُ الْقُرْآنِ. الْحَارِثُ الْحَاسِبِيُّ: ص ٩٦. أَسَاتِذُ السَّائِرِينَ. عَبْدِ الْحَلِيمِ مُحَمَّدٍ: ص ٤.

(٧) انظر: مَرْوَجُ الذَّهَبِ. الْمَسْعُودِيُّ: ج ٤، ص ٤٣.

ولذلك شدد في وصفهم المحاسبي بقوله: ((إِنَّ الْعَقْلَ يَطغى عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ حتى يحاولون وهمَ دُعاةَ الحُرِّيةِ أَنْ يفرضوها على النَّاسِ بالسيفِ))^(١).

رغم هذه الصعوبات لقد اندمجت فيما بعد الكثير من المدارس الدينية متأثرة في الفكر ونهج علم الكلام والفقه، وكانت مدرسة أسلاف الأشعرية القائمة على مبدأ الجدال في السُّنة^(٢)، واستطاع أن يضيف الشيخ المحاسبي مدرسته صفة الجدال بالصبر وكان سبب الاندماج يحكمه عاملان:

الأول: عدم إهمال نص الحديث.

والثاني: لم يُجرّد العقل.

وهذان الأمران يجهله الأبدال والمريدين في تطوّرهم؛ فكانت فكرة المحاسبي بمثابة الدافع الأول للتصوّف ودليلاً فكرياً لكثير من المدارس القائمة على علم الكلام والجدل عند السُّنة، وجاءت مدرسة المحاسبي لتختص في علم الرّد على المعتزلة^(٣)، فكان المحاسبي أول متصوّف اتضحت فيه ثقافة كلامية متكاملة^(٤)، كان قد سند تفكيره على بُعد الرؤيا في محاور مهمة، وهي كما يلي:

- الفكر الأول: كانت في الزهد.
- الفكر الثاني: الاختلاف مع المحدثين.
- الفكر الثالث: نجاح تفوق الكلام في مواجهة المعتزلة.

(١) العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ٢٤.

(٢) الأشعرية: هم أتباع أبي حسن الأشعري إمام المتكلمين، وقد نسب الاشاعرة له، مات ببغداد ٣٢٤ هـ. انظر: الملل والنحل. محمد عبد الكريم الشهرستاني: ج ١، ص ٨١.

(٣) انظر: قانون التأويل. الغزالي: ص ٢١. مؤلفات الغزالي. بدوي: ص ١٠.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٤. الطبقات الكبرى. الشعراني: ج ١، ص ١٣٣.

• **الفكر الرابع:** عمل على تحجيم فكر الفلاسفة المشائين في مفهوم العقل، فقد جاء وصف فيلسوف العرب الكندي^(١) في مبدأ العقل على أنه: ((مبدأ أول بالقوة، وجوهرًا بسيطًا مُدرِّكًا للأشياء بحقائقها)^(٢)). ولكن المحاسبي اعتبره: (غريزة أو نورًا للغريزة يقوى ويزيد بالتجارب والعلم والحلم، ولا يعني بالنور الذي تعنيه الفلاسفة)^(٣).

إن الأفكار في علم الجدل والكلام والطريقة التي استخدمها المحاسبي في الوعظ عند الرواية والآراء الفقهية وفي جميع مؤلفاته كانت ذات مفهوم يتجه نحو الالتزام بالحديث وسرد بلاغة المتكلمين والتفسير بالقرآن الكريم بطريقة الفقهاء وآرائهم، ممزوجة بكلمات وعظ وورع وزهد، وظهر لدينا من خلال منهج الدراسة والتحقيق أن المحاسبي صاحب علم ومفهوم لعلم تم نسجه بعيدًا عن المدارس الدينية التقليدية؛ فقد كانت صفاته وشخصيته مَحْظُتٌ تساؤلات كثيرة، فهو:

• يتصف بالزهد ويتكلم بالوعظ، ولم يُخْض في نقل الأحاديث إلا قليلًا، حتى في آراءه الفقهية، مقتديًا ببعض آراء علماء المسلمين^(٤) حول هذا الموضوع.

• اعتمد على نهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في نصائح المريدين؛ فهو يطابق مفهوم الفكر والورع عند الصوفية واتبع نهج الفقهاء الشافعية.

(١) هو يعقوب بن إسحاق الفيلسوف، كان رأساً في حكمة الأوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وغير ذلك. يقال له: فيلسوف العرب، وكان متهمًا في دينه، بخيلاً، وله نظم جيد وبلاغة، كان يريد أن يعمل شيئاً مثل القرآن؛ فبعد أيام أذعن بالعجز. مات سنة ٢٥٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: ج ١٢، ص ٣٣٦.

(٢) انظر: رسائل الكندي الفلسفية. الكندي: ج ١، ص ١٦٦.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٤. مخطوطة فهم القرآن. المحاسبي: ص ٢٠١. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٧.

(٤) وهو سفيان الثوري بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب «الجامع»، توفي سنة ١٦١هـ في البصرة.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٢٧٩.

واتضح أنَّ أغلب المريدين في مدارس الصوفية والمدارس الدينية الأخرى قد تابعت وأيقنت ((أنَّ نهج اتباع تقاليد المحاسبي هي طريقة للتطهر الدائم ومجاهدة للنفس، ويجب الاقتداء بها، وقد تمثل هذا الفكرُ خيرَ تمثيلٍ عند بعض علماء التصوف، ثمَّ جاء من بعدهم الأبدال))^(١).

(١) انظر: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. أنا ماري : ص. ٧٠. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٦. سيرة الشيخ محمد بن خفيف الشيرازي. علي بن محمد: ص ١٠٩. إحياء علوم الدين. الغزالي: ص ٣٨. الموسوعة الصوفية. عبد المنعم الحنفي: ص ٣٠٥.

المستأنف: هو المبتدئ الذي يغلبُ على قلبه ذكرٌ؛ فيتركُ الزلَّ مخافةَ العقاب، فكلَّمَا هاجَ ذكرُ الموتِ من قلبه ماتتُ الشهواتُ عندهُ، وأمَّا العارفُ: فذكرُهُ للموتِ محبةً له اختيارًا على الحياةِ وتبرُّ^(١) ما بالدُّنيا التي قد سلا قلبه عنها شوقًا إلى الله ولقائه رجاءً أملَ النظرَ إلى وجهه والنزولَ في جواره؛ لما غلبَ على قلبه من حُسْنِ الظنِّ برَّبه.

طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ إِلَى لِقَائِهِمْ أَشَوْقُ^(٢).

الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ

(١) تَبَرُّ: هُوَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَجَمِيعِ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ مِنَ النُّحَاسِ وَالصُّفْرِ.

انظر: لسان العرب. جمال الدين ابن منظور: ج ٤، ص ٨٨.

(٢) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٩١.

تفاصيل الكتاب

سارَ منهجُ التحقيق وفقَ دراسةٍ مكثفةٍ عن المؤلف وفكره في القرن الثالث الهجري في منهجٍ علمي تحليلي^(١)، وقد احتوى الكتاب المقدّم على نسخٍ للصفحات الأولى لمخطوطتين، ومقدمة، وأبواب، وفصول، ومباحث، وخاتمة، وقائمة بمصادر الكتب، شمل الباب الأول دراسة عن المؤلف، ويحتوي الباب فيه على ثلاثة فصول:

منهُ الفصلُ الأولُ يتحدث عن نشأته وعصره، وفيهِ أربعة مباحث: جاءَ المبحثُ الأولُ تحت عنوان اسمه، كنيته، مولده، وفاته. وأما المبحث الثاني جاء في شيوخه وتلاميذه، والمبحث الثالث جاء حول ثناء أهل العلم في حقّه، والمبحث الرابع: حول فكر المحاسبي في التصوّف.

وجاء في الفصل الثاني مؤلفاته، واحتوى على ثلاثة مباحث: منه المبحث الأول بعنوان الكتب المحققة من المستشرقين، وأما المبحث الثاني عن الكتب المحققة من العرب، وعند المبحث الثالث تحدثت عن الكتب المفقودة ومخطوطات الغير محققة، وقدّمتُ بعض الأسباب التي كانت سبباً في فقدان الكتب وعدم تحقيق البعض منها.

وجاء في الفصل الثالث وصّفُ المخطوطات، وكانت عبارة عن أربعة مباحث: جاء فيه المبحث الأول عن وصف مخطوطة مكتبة السلیمانية، وجاءت تسميتها -بالأصل-، وأما المبحث الثاني فيه وصّفُ مخطوطة المكتبة الأزهرية، وجاءت تسميتها بالأزهر-، والمبحث الثالث جاء بمنهج التحقيق والمقابلة بين نسخة الأصل ونسخة الأزهر، وأما المبحث الرابع كان عن مُلخّص مفهوم المسائل الخمسة عشر التي وردت في

(١) وصف الشيخ عبد الحليم محمود مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح للمحاسبي أنه كان منهجاً علمياً تحليلياً يسري فيه الحماس، وتبدو فيه روح المحاسبي اليقظة والوثبة.

انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٢٢.

المخطوطة وتليها الخاتمة.

جاء الباب الثاني في الكتاب عن تحقيق المخطوطة، ويحتوي على فصل واحد:

جاء فيه صورة للصفحة الأولى من مخطوطة الأصل ويليها موضوع التحقيق للمسائل الأربعة عشر، وبعدها قائمة بمصادر الكتب.

أما عن سبب اختياري للموضوع هو تسليط الضوء على التصوف والفكر الفلسفي، وتداخل العلم معه ما بين فقه أعمال القلوب وفقه أعمال الجوارح. وكان هذا المحور يزودني دائماً بالدافع لتكملة منهج الدراسة والتحقيق رغم صعوبته، ومن أهم المشاكل التي واجهتني في تحقيق المخطوطة:

أولاً: البحث عن نسخة أخرى للمخطوطة لمقابلتهما، والتي انتهت بعد عناء وجهد من البحث لشهور في أرشيف المكتبات العالمية والمكتبات العربية حين وجدتها في القاهرة، ومن أجل الحصول عليها استغرقت شهوراً أخرى في الإجراءات والاتصالات والمخاطبات الرسمية، وأخيراً تم الحصول عليها بعد مساعدة الأصدقاء العاملين بالسلك الدبلوماسي العراقي في القاهرة.

ثانياً: كانت إعداد دراسة المقدمة لدينا صعبة جداً من حيث الحصول على المعلومات الصحيحة من المصادر والكتب التي تحدثت عن الصوفية؛ لكون أن بعض هذه المصادر فيها الخطأ بالمنهج والنسخ واضحاً متجاهلين الحقائق^(١)، عند اقتباس النصوص لكتب المحاسبي وعن المنقول عنها من خلال مراجعة المصادر.

وكانت تسيّر على منهج واحد في أغلب ما يكتب عن المحاسبي، وسيأتي تفصيل بعض هذه الأخطاء، وتبين أيضاً عدم وجود منهج واضح لتحقيق بعض مخطوطات المحاسبي عند الكتب المترجمة إلى العربية،

(١) طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٤.

وقد جاءت فيها بعض عناوين لكتب وردت على أنها تحقيق لمخطوطات الأصل وهي مترجمة ومُحقّقة فيما سَبَق، وعناوين والتسميات للمسائل والأبواب بعيدة عن التسمية الحقيقية للمخطوطات، وقد تمَّ إضافة أسماء جديدة لها، وجاءت المبالغة بالتسمية في بعض الكتب الأخرى^(١)، وتأتي في بعض الكتب مواضيع في ذمّ المحاسبي وفي مقدّمات المخطوطات المحقّقة له^(٢)، ويخطرُ في الفكر سؤال مُهمّ لم أجد إجابة له!

إن كان المحقّق يودُّ أن يذمَّ ويتنقّص من فكرٍ أو علمٍ أحد العلماء فلماذا يحقّق له؟.

ومن أجل الأسباب التي تمَّ ذكرها سابقاً والوصول للمنهج الصحيح في التحقيق، تمَّ شراء جميع المخطوطات الموجودة في المكتبات التركية^(٣)، والكتب المحقّقة بالعربية للمحاسبي^(٤)، وقد اتضح بعد الاطلاع عليها وجود روايات غير صحيحة في الكتب لا تطابق المخطوطات من ناحية منهج الفكر ودقة الكلمات المختارة في الحديث والأثر عند مطابقة الكتب المحقّقة بالمخطوطات الأصلية.

لذلك كان لابدّ من تحليلها والتحقّق منها، وتمّ العمل على تدوينها؛ لكي نقف على الأخطاء التي وردت فيها، وتمّ توضيح الأخطاء التي

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي. فواد سيزكين: ج ١، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨. فهرست المخطوطات العربية. الشنطي: ج ٢، ص ١٤٣، ص ١٥٧، ص ١٦٣.

(٢) انظر: شرح المعرفة وبذل النصيحة. فتحي سيد: ص ٩، ص ٧٢.

(٣) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص ٣. مخطوطة الإنابة لله. المحاسبي: ص ١٨. مخطوطة مائية العقل. المحاسبي: ص ١٠٤. مخطوطة الخلوة والتنقل بين العباد. المحاسبي: ص ٢. مخطوطة العلم. المحاسبي: ص ٣٢. مخطوطة شرح المعرفة وبذل النصيحة. المحاسبي: ص ٣٧. مخطوطة المسترشد. المحاسبي: ص ٢٤. مخطوطة البعث والنشور. المحاسبي: ص ١٣٤.

(٤) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله. المحاسبي، ت: مارغريت سميث: ص ١٥. كتاب فهم القرآن والعقل. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ٢٠. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص ٢١. التوهم. المحاسبي، ت: آرثر جي اربري: ص ١٢. أستاذ السائرين. عبد الحلیم محمود: ص ٢. معاتبة النفس. المحاسبي، ت: محمد عبد القادر عطا الله: ص ٥. رسالة المسترشد. المحاسبي، ت: فتاح أبو غدة: ص ٣٣. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٥.

جاءت في مواضيع الكتب والنصوص المشار إليها من الكتب أخرى^(١)، لكي يصبح لدينا المنهج الصحيح لفهرس مخطوطات الشيخ المحاسبي في الكتاب أدناه، والوقوف على التسميات الصحيحة والشاملة للكتب المطبوعة وتفاذي الأخطاء الموجودة؛ ليتسنى لأي باحث أو محقق فيما بعد الاعتماد عليها دون أي خطأ أو عناء، ولا أخفي عليكم أن موضوع الوصول للكتب والمخطوطات كانت ذات كلفة عالية.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

محمد فوزي كريم / ٢٩ - رمضان ١٤٣٩ هـ.

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص ٥٩. تاريخ الأدب العربي. فواد سيزكين: ج ١، ص ١١٣.

سيرة الإمام المحاسبي

اسمه وكنيته ومولده ووفاته:

هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري العنزي الأصل^(١)، ولد في البصرة^(٢) لسنة مائة وخمس وستون هجرية، وجاءت كنيته بالمحاسبي؛ لأنه كان يحاسب نفسه وقلبه، ولديه الإلحاح على تقييم نفسه، فهو الزاهد العارف وشيخ مشايخ الصوفية، أحد الأوتاد والجامع بين علم الظاهر والباطن في التفسير، شافعي المذهب؛ فقد صحب الإمام الشافعي وكان من الطبقة الأولى، أي عاصره وأخذ عنه واختار مذهبه^(٣)، زاهد في الطريقة عالم العارفين في زمانه وأستاذ أكثر البغداديين^(٤). ويبدو أن نشأته كانت في جو من الصراع الفكري والمجادلة التي سادت الشيوع بالأهواء فيها عند أهل البصرة، ولأنها كانت منارة للعلم فمن البصرة خرج الكثير من العلماء والمحدثين والفقهاء والمتكلمين وتُحالفهم^(٥).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ١١٠. انظر: الأنساب. السمعاني: ج ٩، ص ٧٦. تاريخ بغداد: الخطيب: ج ٩، ص ١٠٦. الطبقات الكبرى. للشعراني: ج ١، ص ١٤٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان. الياقعي: ج ٢، ص ١٠٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين المزي: ج ٥، ص ٢٠٨.

(٢) البصرة: هي من المدن الكبيرة في العراق وفي كلام العرب تسمى الأرض الغليظة وايضاً تسمى الأرض الحمراء وهي في تعريب بس راه: أي ذات طرق عديدة متنوعة تنتشعب إلى أماكن كثيرة والذي ينتسب إليها يقال عنه البصري، لها خليج بحري يسمى حالياً. شط العرب. يلتقيان فيه نهران دجلة والفرات ذات شجر نخل وافر.

انظر: فتوح البلدان. ياقوت بن عبد الله الحموي: ج ١، ص ٤٣٢.

(٣) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٨٩.

(٤) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية: ج ١، ص ٥٨٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٥٧. طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢، ص ٢٧٦. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١٣٦. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٧.

(٥) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٣، ص ٩٥.

واتضح أنَّ أباه كان من بيئة مجتمع قد ساد فيه العِلْمُ والمجادلةُ والثقافة^(١)، لقد عاصر المحاسبيّ الخلافة العباسية منذ ولادته^(٢)؛ لذلك كانت حياته في يُسرٍ ورخاءٍ، وحين توفي أبوه تركَ له ثروةً من الأراضي والمال الوفير فلم يأخذ منها شيئاً وبعثه إلى بيت المال^(٣)، ويقال: إنَّ سببَ رفض المال من أبيه لكونه يتكلَّمُ بالقدر^(٤)، فقال المحاسبيّ معللاً السببَ أَنَّهُ سَمِعَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»^(٥)، فرأى من السُّنَّةِ والورع أن لا يأخذ ميراثه ويتبع السُّنَّةَ وكان في أشدِّ الحاجة إلى المال^(٦).

وقال عنه جنيّد: ماتَ الحارثُ وهو محتاجٌ إلى دَاقٍ من فضةٍ وأبوه خَلَفَ مالاً كثيراً وما أخذَ منه حبةً واحدة^(٧)، إنَّ المحاسبيّ كان ملتزماً في إتباع السُّنَّةِ النبوية مع أقرب الناس إليه، فما بال المخالفين الزائغين من الغرياء؛ فكان لألوان الحقِّ مشاهداً ومراقباً، ولأثار الرُّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مساعداً ومصابحاً للمريدين، إنَّ الله سبحانه أكرمهُ ((بأنَّه لا يدخل بطنه إلا الحلال المحض^(٨)))^(٩)، ومن كلامه في ذلك:

(١) انظر: العقل وفهم القرآن للمحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ٧.

(٢) انظر: موسوعة الخلفاء المسلمين. الكبي: ج ٢، ص ١٣.

(٣) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٤٠.

(٤) أي قدرياً: هي أحد الفرق سمو بذلك لردهم قضاء الله سبحانه في معاصي العباد.

انظر: الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل. عبد القادر الكيلاني: ج ١، ص ١٨٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ج ٢، ص ٥٧٦. صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٢٣٣.

(٦) انظر: تذكرة الأولياء. العطار: ج ١، ص ٢٩١. الخطيب البغدادي: ج ٥، ص ٢٩٠.

(٧) انظر: ١ امرأة الجنان واليقظان. لليافعي: ج ٢، ص ١٠٦. الكواكب الدرية في الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٨.

(٨) المحض: سمي اللبن الخالص من الماء.

انظر: جمهرة اللغة. محمد الأزدي: ج ١، ص ٤٩٦.

(٩) انظر: طبقات الصوفية. للسلمي: ص ٢١. انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٥.

((مَنْ صَحَّحَ بَاطِنَهُ بِالْمُرَاقَبَةِ وَالْإِخْلَاصِ زَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى ظَاهِرَهُ بِالْمُجَاهِدَةِ وَاتَّبَعَ السُّنَّةَ))^(١).

قَالَ عَنْهُ جَنِيدُ الْبَغْدَادِيِّ^(٢): كَانَ الْحَارِثُ كَثِيرَ الضَّرِّ فَأَجْتَازَ بِي يَوْمًا وَأَنَا جَالِسٌ عَلَى بَابِنَا، فَرَأَيْتُ عَلَى وَجْهِهِ زِيَادَةَ الضَّرِّ مِنَ الْجُوعِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَمِّ، لَوْ دَخَلْتَ إِلَيْنَا نَلَتْ شَيْئًا مِّنْ عِنْدِنَا، قَالَ: أَوْتَفَعَلْ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ... وَتَسَرَّنِي بِذَلِكَ وَتَبَرَّنِي، فَدَخَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَدَخَلَ مَعِيَ، فَجِئْتُ بِنُوعٍ مِنَ الطَّعَامِ جَاءَ لَنَا مِنْ عَرَسٍ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، مَدَّ يَدَهُ فَأَخَذَ لَقْمَةً فَرَفَعَهَا إِلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ يَمْضَغُهَا وَلَا يَزِيدُ بِهَا^(٣)، فَوَثَبَ^(٤) وَخَرَجَ وَمَا كَلَّمَنِي، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ لَقِيتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: يَا عَمِّ، سَرَرْتَنِي ثُمَّ نَغَصْتَ عَلَيَّ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، أَمَا الْفَاقَةُ^(٥) فَكَانَتْ شَدِيدَةً، وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي أَنْ أُنَالَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي قَدَّمْتَهُ إِلَيَّ، وَلَكِنْ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عِلَاقَةٌ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ الطَّعَامُ مُرْضِيًّا ارْتَفَعَ إِلَى أَنْفِي مِنْهُ زَفِيرَةٌ^(٦) فَلَمْ يَقْبَلْهُ نَفْسِي، فَقَدْ رَمَيْتُ بِتِلْكَ اللَّقْمَةِ فِي دَهَالِيزِ كَمٍّ^(٧)، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَدْخُلُ الْيَوْمَ، قَالَ: نَعَمْ، فَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ كِسْرَ خَبِزٍ يَابَسَ كَانَتْ

(١) . انظر: الطبقات الكبرى. الشعراني: ج ١، ص ١٣٨. الكوكب الدرّي في الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٦.

(٢) الجنيد البغدادي: جنيد بن محمد خزا أصله من نهاوند، سكن بغداد، اشتهر بالصوفية وبصحبة خاله السر السقطي وأبى حارث المحاسبي، ودخل العلم وهو ابن عشرين سنة، وله مؤلفات كثيرة في الزهد، توفي سنة ٢٩٧هـ.

انظر: طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج ١، ص ١٢٦. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٦٧.

(٣) ازدراء: أفسى أنواع التأنيب للنفس.

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار: ج ٢، ص ٩٨٣.

(٤) وَثَبَ: شَبَّ وَتَحَرَّكَ.

انظر: الْمُتَجَدِّدُ فِي اللُّغَةِ. علي بن الحسن الهُتَائِي الْأَزْدِي: ج ١، ص ٣٣٨.

(٥) الْفَاقَةُ: الْحَاجَةُ، وَلَا فِعْلَ لَهَا.

انظر: : تَهْذِيبُ اللُّغَةِ. محمد الهروي: ج ٩، ص ٢٥٥.

(٦) زَفِيرَةٌ: زَفَرٌ، وَسَخٌ، دَرَنٌ.

انظر: تَكْمَلَةُ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ. رينهارت: ج ٥، ص ٣٣٧.

(٧) دِهَالِيزُكُمْ : مِنْ دِهْلِيزٍ : وَهُوَ مَسْلُكٌ طَوِيلٌ ضَيِّقٌ.

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار: ج ١، ص ٧٧.

لنا فأكلها، وقال: إذا قدمت إلى فقير شيئاً فقدم مثل هذا^(١).

وتدل الآثار أنَّ المحاسبي جاء على بغداد في مرحلة شبابه وليس في صغره أو صباه - كما ذكر في بعض الكتب - وبديل تأثره بعلماء أهل البصرة من المحدثين والفقهاء وما روى عنهم من حديث وأثر، ويتضح أنَّه دخل مجالس العلم في البصرة منذ الصغر، وإنَّ فكر الحسن البصري كان أعمقهم أثراً فيه^(٢)، حيث قال في وصفه لعلماء أهل البصرة: ((ليتنى بزهد الحسن البصري، وورع ابن سيرين، وتوكل عبادة بن عامر العنبري، وفقه سعيد بن المسيب))^(٣).

ومن بعض هذه الرويات الغير صحيحة بالنسبة لقدم المحاسبي في صغره إلى بغداد والتي لا تطابق التسلسل الزمني في العمر بين الراوي والمحاسبي^(٤)، حيث روي في عدة كتب^(٥) عن أبي علي بن خيران البغدادي (ثلاثمائة وعشرون هجرية)^(٦)، أنَّه رأى الحارث باب الطاق^(٧) وسط الطريق متعلقاً بأبيه والناس اجتمعوا عليه، ويقول لأبيه: أُمِّي طَلَّقَهَا؛

(١) انظر: طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج ١، ص ١٧٦. تاريخ بغداد. الخطيب: ج ٩، ص ١٠٨.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٣. طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٣) . انظر: تاريخ دمشق. لابن عساكر: ج ٢٦، ص ١٦.

(٤) انظر: موسوعة خلفاء المسلمين. الكبي: ج ٢، ص ٩٣.

(٥) انظر: طبقات الشافعية. للسبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. الرسالة القشيرية. زين الدين القشيري: ص ٥٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبي نعيم: ج ١٠، ص ٨١.

(٦) علي بن خيران هو الحسين بن صالح بن خيران القاضي الفقيه البغدادي الشافعي، في عهد حكم القاهرة بالله ابن المنصور العباسي الإمام شيخ الشافعية أبو علي البغدادي الشافعي، هو أحد كبار علماء الشافعية توفي، سنة ٣٢٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٥، ص ٥٩. موسوعة خلفاء المسلمين. زهير الكبي: ج ٢، ص ٩٣.

(٧) باب الطاق: من المحلات المهمة في الجانب الشرقي من بغداد وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى الطاق الذي كان في الأصل قسمًا من قصر أسماء بنت المنصور، ثم صار في زمن الرشيد مجتمعًا للشعراء، وقد أطلق اسم باب الطاق على المنطقة التي تمتد إلى الشمال والشرق منه، وصارت تعرف بمحلة باب الطاق.

انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي: ج ١، ص ٣٠٩.

أنت على دين وهي على دين، وهذا الشيء لا يطابق المنطق ولا يطابق تلقّي علوم المحاسبي فيما سبق ذكره، وقد تبين من المصادر أيضًا بعدم وجود أي تفاصيل لحياة والدته أو عائلته، وهذا حال معظم العلماء؛ لكون أن النساء بحكم الآداب الدينية والعرفية لا يُذكرن بشيء^(١).

قال جنيد: كنت كثيرًا أقول للحارث: عَزَلْتِي أَنْسِي تُخْرِجُنِي إِلَى وَخْشَةِ رُؤْيَةِ النَّاسِ وَالطَّرُقَاتِ، فيقول: كَيْفَ تَقُولُ أَنْسِي عَزَلْتِي؟! لَوْ أَنَّ نَصَفَ الْخَلْقِ تَقَرَّبُوا مِنِّي مَا وَجَدْتُ بِهِمْ أَنْسًا، وَلَوْ أَنَّ النِّصْفَ الْآخَرَ نَأَى عَنِّي مَا اسْتَوْحَشْتُ لِبُعْدِهِمْ^(٢). وقد تبين في هذه المرحلة من حياة الشيخ انتشار خبر نية الخلوة والأنس بالله للمحاسبي ووصل للمريدين، فجاءه أحدُهم وقال له: يا معلم، ما هو الأنس بالله؟

قال المحاسبي: التوحش من الخلق.

فقال المريد: فما علامة التوحش؟

أجاب المحاسبي: الفرارُ إلى مواطن الخلوات، والتفرد بعذوبة الذكر؛ فعلى قدر ما يدخل القلب من الأنس بذكر الله يخرج التوحش، وفي قول الله تعالى لداود عليه السلام: ((كُنْ يَاسْتَسْنَأُ وَمِنْ سِوَايَ مُسْتَوْحِشًا))^(٣).

- ويبدو أن هذه الأسئلة كانت في لقائه الأخير بتلاميذه في بغداد قبل الخلوة - هجر الناس لرَبِّ الناس بخلوة وعزلة دامت - تسعة أعوام -.

وقد جاء في بعض الكتب أن خروج المحاسبي من بغداد كان بسبب صدود المريدين عنه وعن علمه^(٤)، وهذه المعلومة ليست دقيقة، وإنما جاءت الخلوة لعدة أسباب، ومنها حال بغداد وأحوال العلماء والنزاع

(١) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٨.

(٢) انظر: الكواكب الدرية. مناوي: ج ١، ط ٣، ص ٥٨٦. تاريخ بغداد. الخطيب: ج ٩، ص ١٠٨.

(٣) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ١٠٧.

(٤) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٨. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٨٥.

القائم فيها، عند الخوض في تسلسل الأحداث الزمنية لعصره^(١)، وقد تلخّصت الأسباب بمايلي:

أولاً: ضيق صدر المحاسبي من صراعات المدارس الدينية التي كانت ما بين المحدثين والمعتزلة^(٢)، وصراع الفقهاء مع المحدثين، والمعتزلة والفقهاء، وكان بعض المحدثين يهاجمونه وينتقدونه في بعض الأحيان بسبب رده على المعتزلة ولخوضه في علم الكلام والجدل^(٣). وكانت بداية المواجهة حين رد المحاسبي علماء المحدثين فقال: ((إنَّ الردَّ على البدعة فرض، أجابه الإمام أحمد: نعم ولكن حكيت شبهتهم أولاً، ثم أجبت عنهم فلم تأمن أن يطالع الشبهة مَنْ تعلّق بفهمه ولا يفهم الجواب))^(٤)، وانتهى الجدل فيما بينهما، ليسلك طريق التأويل والكلام عند البعض، ولكن تطور العلم في الفقه والاصول وهو علم يُعتبر كسائر بقية العلوم قد جاء بالرد بعد برهنة من بعض العلماء الذين تأثروا بالمحاسبي وساروا على نهج فكره، فقال فيما سبق ذكره:

((ما ذكره الإمام أحمد حقاً في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر، فأما إذا انتشرت فالجواب عنها واجب))^(٥)، لينهي الجدل في الموضوع، ولكنه لم يسلم من بعض أسلاف المحدثين الذين دسوا في كتاب إحياء علوم الدين بعض المسائل المشوهة فأمر بحرقها، وقد قيل: ((لو لا كتاب الرعاية للمحاسبي ما كان كتاب إحياء العلوم للغزالي))^(٦) الذي كان ينص على نهج فكر المحاسبي^(٧).

(١) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج٣، ص٩٥.

(٢) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٣.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراني: ج١، ص١٣٩. طبقات الصوفية. للسلمي: ص٢٢.

(٤) أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٣.

(٥) انظر: المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص٣٢.

(٦) انظر: الموسوعة الصوفية. عبد المنعم الحنفي: ص٣٠٦.

(٧) انظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. للكنوي: ص١٧٦.

وثانياً: إِنَّ أَسْلُوبَ تعامل الخليفة العباسي المتوكل ومعاملته لرجال الدين والتكليف بهم، وحياة الترف التي كان يعيشها الخلفاء المسلمون، وتقرّب بعض العلماء للخليفة لنصرة مذهبه لم تُرَقْ للمحاسبي^(١)، فخرج المحاسبي من بغداد قاصداً الكوفة سنة مائتين واثنين وثلاثون هجرية^(٢) قاصداً العزلة وسالكا طريق الخلوة^(٣)؛ فقد ترك المريدين وترك الوعظ قاصداً الأنس بالله بعد سنّ تجاوز ثلاثة وستين وهو اقتداءً أتبعه أسلاف علماء التصوف من بعده في الخلوة^(٤).

لم يرجع المحاسبي إلى بغداد إلا بعد أن ورد خبر وفاة الإمام أحمد، وذلك لحضور جنازة الإمام أحمد التي حضرها كبار العلماء^(٥)، فلم يتعرف عليه تلاميذه وأصحابه حينها، ولا الذين في بغداد؛ فالمدّة طويلة وقد مرّت على المريدين أهوال وأحوال، فكان الرحيل عن بغداد للأنس والخلوة بالله، وعاد لتأدية الواجب والصلاة على عالم وصديق، وهذه الحقيقة تخالف بعض الكتب في رحيل المحاسبي عن بغداد والعودة لها^(٦).

ولهذا قيل؛ إن جاء تنكيل بالعلماء فهو داءٌ قديمٌ في البشر يستظهر الإنسان برأي كبير من العلماء؛ ليهدم علم آخر، ولكن شاء الله تعالى إبطال حجة الهادم في مجمل الأحداث، التي ذكرت فيما سبق، بحججٍ بائدةٍ أجرت على قلمه ولسانه وللدليل خطئه ولو بعد حين.

اجتمع المحاسبي بأصدقائه والمريدين القدامى بعد غياب طويل عنهم، وقبل موته بمدة قصيرة قال لهم: عندما يأتيني الموت إن رأيت ما أحب

(١) انظر: مروج الذهب. للمسعودي: ج٤، ص٧٧. طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٨.

(٢) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦. طبقات الصوفية. للسلمي: ص٢١.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص١٩٦.

(٤) انظر: عوارف المعارف. السهر وردي: ج٢، ص٤٠. ص٤٢. تذكرة الأولياء. النيسابوري: ص٢٩٣. التعرف لمذهب أهل التصوف. محمد بن اسحاق الكلاباذي: ص١١٤.

(٥) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج٤، ص٨٤. طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٩.

(٦) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦.

تَبَسَّمْتُ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَ ذَلِكَ تَنَسَّمْتُ^(١) فِي وَجْهِ، فَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ^(٢)
عَنْ هَذَا الْأَمْرِ: حَضَرْتُ وَفَاةَ الْحَاسِبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ مَاتَ، وَقَوْلُهُ
تَنَسَّمْتُ فِي وَجْهِ بَفَتْحِ التَّاءِ الْمَثْنَاءِ مِنْ فَوْقَ بَعْدَهَا نُونٌ وَسِينٌ ضَبْطُهَا
لِكَيْلَا يَتَصَحَّفَ^(٣)))^(٤).

توفي الحاسبي رحمه الله. سنة (مئتين وثلاثة وأربعين هجرية)^(٥)، ودُفِنَ
في مقبرة الكرخ ببغداد^(٦)، وصلى عليه أربعة فقط من تلاميذه، كَانَ زَاهِدًا
حَتَّى فِي مَوْتِهِ، أَكْفَى بِأَرْبَعَةِ عُلَمَاءٍ مِنَ التَّصَوُّفِ عَلَى حَشْوِ النَّاسِ^(٧)؛
لِيَفَارِقَ الْخَلْقَ إِلَى الْخَالِقِ وَيَلْقَى رَبَّ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ اسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ،
عَاشَ الْحَاسِبِيُّ تِسْعَ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

وَيَبَيَّنُ أَنَّ فِي وَصِيَّةِ الْحَاسِبِيِّ لِلْمُرِيدِينَ رِسَالَتَانِ مِنْ بَعْدِهِ حَوْلَ قَبُولِ
تَعَالِيهِ مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ، وَكَمَا يَلِي:

(١) تَنَسَّمَ: هبوبَ الرِّيحِ وَجَدَ لَهَا خَفًّا الَّتِي تَجِيءُ مِنْهَا بِنَفْسٍ ضَعِيفٍ.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الأزهرى: ج ١٣، ص ١٥.

(٢) أبو ثور: هو إبراهيم بن خالد، الإمام الحافظ الحجة المجتهد، مفتي العراق أبو ثور الكلبي
البغدادى الفقيه، ويكنى أيضا أبا عبد الله، وسمع من: سفيان بن عينة، وعبيدة بن حميد، ويزيد بن
هارون، ثقة مأمون، أحد الفقهاء، مات سنة ٢٤٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: ج ١٢، ص ٧٤.

(٣) والتَّصْحِيفُ: الْخَطَأُ فِي الصَّحِيفَةِ.

انظر: : القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي: ج ١، ص ٨٢٦.

(٤) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٨. أستاذ الساترين. عبد الحليم محمود: ص ٣٢٣.

(٥) وردت في بعض المصادر ٢٤٢هـ. والأغلبية كانت ٢٤٣هـ.

انظر: مخطوطة النصائح. الحاسبي: ص ١، موسوعة الخلفاء المسلمين. الكبي: ج ٢، ص ٥٥.
طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٨. الكواكب الدرية. مناوي: ج ١، ط ٣، ص ٥٨٦. تذكرة
الأولياء. النيسابوري: ص ٢٩٣. الرسالة القشيرية. نور الدين القشيري: ص ٥٩. الطبقات الكبرى.
الشعراني: ج ١، ص ١٣٨. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ١١٠.

(٦) انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج ١، ص ٤٤٤. أنباء أبناء الزمان. ابن
خلكان: ٦١.

(٧) انظر: الكامل. لابن الاثير: ج ٦، ص ١٢٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٣.

أولاً: كان حريصٌ بتلقي إشارات قبول نهجه من رب العالمين في موته، وهي في معنى كلمة تنسّم ذلك في وجهي؛ لكي تكون بشرى لتلاميذه وتصديقاً لنهجه المتبع من بعد موته.

ثانياً: حثهم بالسعي الدائم لمقام ذكر الموت كعارفين لا مستأنفين؛ لكونه قد شدّد القول في مقام ذكر الموت فقال: ((المستأنف: هو المبتدئ الذي يغلب على قلبه ذكر فيترك الزلل مخافة العقاب، فكلمها حاج ذكر الموت من قلبه ماتت الشهوات عنده، وأما العارف: فذكره للموت محبة له اختياراً على الحياة وتبر ما بالدنيا التي قد سلا قلبه عنها شوقاً إلى الله ولقائه رجاء أمل النظر إلى وجهه والنزول في جواره؛ لما غلب على قلبه من حسن الظن بربه))^(١).

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٩١.

شيوخه وتلاميذه

إنَّ مسارَ نهج الوعظ عند المحاسبي في الأحاديث والرواية تؤكد خطى آثاره في تلقي العلوم؛ فنجدُ قد تحدّث عن: هشيم بن بشر الواسطي^(١) وشيوخ آخرين سيذكر تفاصيلهم سلفاً جاءت بلفظ -حدثنا- وهي تفيد بالرواية المباشرة في الأحاديث والنصوص، وتسند على أنّها من أعلى مراتب الرواية في الأحاديث، واتضح أنّ مدينة واسط^(٢) جاءت بعد البصرة في تلقي علومه وتبين ذلك عند سرده الأحاديث والأثر، فجاء إسنادُهُ عن عبادة بن العوام^(٣)، وعليّ بن عاصم الواسطي^(٤)، وعند هشيم بن بشر، فقد اتّبع نهجَ علم الفقه عند العدة وتوبة الزاني ومقادير الزكاة والصدقات، وقد تمّ تصنيف هذه المرحلة بالأولى من تلقي علومه من المشايخ^(٥).

و بعد أن تجاوزَ الثلاثين من العمر انتقل المحاسبي إلى بغداد وتلمذَ

(١) هشيم بن بشر: هو أبو معاوية هشيم بن بشير الواسطي الحافظ أحد الأعلام، سمع من: ابن عمر، والزهري، روى عنه: مالك بن أنس والترمذي، أحمد بن حنبل، أبو عبيد القاسم، كان ثقة كثير الحديث، مات سنة ١٨٣هـ.

انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج ١٤، ص ٩٠.

(٢) وهي مدينة في العراق ما بين الكوفة والبصرة، وقيل جاءت تسميتها لهذا المعنى، ولها تسمية قديمة اسمها واسط القصب، أول من عمرها الحجاج بن يوسف الثقفي فقد استنطاب ليلها وعذب نهرها فجعلها مدينته بعد أن ضجر من أهل الكوفة.

انظر: معجم البلدان. الحموي: ج ٥، ص ٣٤٩.

(٣) عباد بن عوام ابن عمر بن عبد الله بن المنذر الإمام المحدث الصدوق أبو سهل الكلابي الواسطي، حدث عن: أبي مالك الأشجعي، وعبد الله بن أبي نجيب المكي، وأبي إسحاق الشيباني، وعنه: أحمد بن حنبل، وعمر بن الناقذ، وزيد بن أيوب، وعلي بن مسلم الطوسي، كان من نبلاء الرجال في كل أمره، توفي سنة: ١٨٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٥١٢.

(٤) علي بن عاصم ابن صهيب، الإمام العالم، شيخ المحدثين، مسند العراق أبو الحسن القرشي النخعي، وروى عن: حصين بن عبد الرحمن، وبيان بن بشر، ويحيى البكاء، وعنه: يزيد بن زريع مع تقدمه، وأحمد بن حنبل. مات سنة ٢٠١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٢٤٩. طبقات ابن سعد: ج ٧، ص ٧٣.

(٥) انظر: العقل وفهم القرآن. للمحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ٧.

على يد الإمام الشافعي ما بين سنة ((١٩٥ ١٩٧ هجرية))، فهو بمن عاصره وشاهده واختار مذهبهُ وأتبع نهجهُ في الفقه والتفسير^(١)، وحدث عن علماء الشافعية في بغداد، ومنهم مروان بن شجاع في العلوم واللغة والقرآن، وعن أبي عبيد القاسم سلام البغدادي الذي دل نهجهُ في مفهوم العام والخاص والناسخ والمنسوخ في التفسير والأحاديث. ويبدو أن المحاسبي قد تأثر به كثيراً، ويتضح من مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح أن الاقتباس جاء عند المحاسبي من العلماء بصورة مباشرة بسبب أن سرد الحديث جاءت بصيغة (حدثنا)^(٢).

ومما سبق ذكره يتبين أن المحاسبي قضى مجمل حياته في تلقي العلوم بين بيئة المحدثين والفقهاء؛ مما كان له الأثر العميق في نهج فكره بعلم الجدل وأسماء الرجال والرواية والفقه والتفسير، ويتبين أنه قد أدرك منذ الوهلة الأولى في مراحل تلقي العلوم أن النزاع القائم بين الفرق الإسلامية كان بسبب التأويل في الكلام والخوض به عند تفسيرهم للقرآن الكريم، والأحاديث، والأثر؛ لذلك كان شديد الحرص على تلقي علومه من جميع المشايخ الموثوق بهم في البصرة، واسط، بغداد. بل وحتى عندما كان يخرج من بغداد قاصداً مكة والمدينة المنورة للحج يبحث عن العلماء والمشايخ لتلقي العلوم في اللغة والتفسير والفقه.

(١) طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٨. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٤.

(٢) انظر: مخطوطة الأعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٣. العقل وفهم القرآن للمحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ١٧.

وندرج أدناه البعض من المشايخ الذين سمع عنهم وسمع منهم:

عبيد الله بن حصين العنبري (١٦٨هـ)^(١). مروان بن شجاع الجزري (١٨٤هـ)^(٢). عبد الله بن مبارك (١٨١هـ)^(٣). سفيان بن عينة (١٩٦هـ) عالم تصنيف الأحاديث في المدينة المنورة^(٤). وكيع بن جراح (١٩٧هـ) عالم أهل الحديث في العراق^(٥). روح بن عبادة (٢٠٥هـ) من كبار المحدثين في البصرة^(٦).

يزيد بن هارون (٢٠٦هـ) من رواة الحديث وعلم التفسير^(٧). محمد بن كناسة (٢٠٧هـ) من رواة الحديث والأدب والشعر^(٨). هاشم بن قاسم الليثي أبو النضر (٢٠٧هـ) شيخ المحدثين^(٩). مطرف بن عبد الله بن شخير (٢٠٧هـ)^(١٠). عبد الله بن بكر السهمي (٢٠٨هـ) حديث

(١) عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري بن عمرو بن تميم، ولي قضاء البصرة، وكان محموداً ثقة عاقلاً من الرجال، سمع عن: داود بن أبي هند، وخالد الحذاء، وسعيد الجريدي، روى عنه: عبد الرحمن بن مهدي، ومعاذ بن معاذ القاسمي، وخالد بن الحارث الهجيمي، قدم بغداد أيام المهدي، كان فقيهاً، مات سنة ١٦٨ هـ.

انظر: الأنساب. السمعاني: ج ٤، ص ٢٤٦.

(٢) مروان بن شجاع: أبو عمر الجزري صاحب حديث ورج، نزل بغداد ودرس أولاد المهدي، روى عنه: أحمد بن حنبل، سعيد بن سليمان الواسطي، شريح بن يونس، مات سنة ١٨٤ هـ.

انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج ٣، ص ١٤٧.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٣٧٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٤٥٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ١٤١.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٤٠٣.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٣٥٨.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٥٠٩.

(٩) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٥٤٦.

(١٠) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٤٤٥.

ولغة العرب^(١). عطاء الخرساني (١٣٥هـ) عالم حديث^(٢). محمد بن كثير الكوفي (٢١٦هـ) حديث ورواية^(٣). سليمان بن حرب أبو أيوب البصري (٢٢٤هـ) علم الرجال وفقه وحديث^(٤). سنيد بن داود (٢٢٦هـ)^(٥). سُريح بن أبي يونس المروزي (٢٣٥هـ) رأس السُّنَّة والحديث^(٦). عبد الله بن سعيد البصري الكلابي (٢٣٨هـ) علم الجدل والنظر من المتكلمين بالسُّنَّة^(٧). محمد بن بشار بن عثمان (٢٥٢هـ)^(٨).

لقد أثبتت مخطوطة أعمال القلوب والجوارح أسماء العلماء الذين كسب الحارث المحاسبي علمه من خلال صحبتهم^(٩) كما ورد فيما سبق، وهذا لا يطابق الحديث في عدة مصادر التي ورد فيها أن لدى المحاسبي أستاذ واحد فقط وهو يزيد بن هارون^(١٠)، إن الاطلاع الواسع للمحاسبي على آراء العلماء جعله يقف من جميع الآراء في عصره موقف الناقد مُغْبِرٌ في وجوه مخالفه لا يقبل شيئاً إلى أن تظهر حجته^(١١)، فقد استطاع أن ينشئ بفكره مدرسة في علم الكلام والجدل عند المريدين وسط بيئة المحدثين والفقهاء.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٤٥١.

(٢) انظر: تاريخ دمشق. ق. ابن عساكر: ج ٣٨، ص ٤٤٨.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٣٨١.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٣٣١.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٦٢٨.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١١، ص ١٤٦.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١١، ص ١١٧. الملل والنحل. الشهرستاني: ج ١، ص ٢٧.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ١٤٥.

(٩) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١١٥. ص ١٤٦.

(١٠) انظر: تاريخ الأدب العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨.

(١١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٥. طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٩.

يتضح أنَّ جميع أفكار ونهج المحاسبي في الوعظ قد أوصى بها علماء^(١) أسلاف مدرسة الأشعرية^(٢) الذين أقاموا الجدل عند أهل السنة في الرد على المعتزلة^(٣)، والتي كانت في عدّة مسائل منها خلق القرآن وصفات الله سبحانه، وجاء الاختيار لنهج فكره بسبب أنَّ علم الرد بالمسائل لديه يحكمه العقل والنص، وهذا الأمر استند عليه أسلاف العلماء في علم الكلام في تطوّر علمهم حتى الوقت الحاضر^(٤). وقد تبين ذلك عند بعض المشايخ والمريدين الذين أكملوا المسيرة في فكره، وروى بعضهم الحديث والأثر من بعده، ومنهم :

(١) انظر: سيرة الشيخ محمد بن خفيف. علي الديلمي: ص ١٠٩.

(٢) الأشعرية: هم أصحاب أبي الحسن الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري.

انظر: الملل والنحل. الشهرستاني: ج ١، ص ٨١.

(٣) انظر: الغنية لطالبي الحق. عبد القادر الكيلاني: ج ١، ص ١٨٧. الملل والنحل. الشهرستاني: ج ١، ص ٣٨.

(٤) انظر: علم الكلام والمجتمع. جوزف فان اس: ج ١، ص ٤٠.

بشر بن الحارث الحافي (٢٢٧هـ)^(١). سر السقطي (٢٥٧هـ)^(٢).
 محمد الورد (٢٦٢هـ)^(٣). محمد بن عبد الله ميمون (٢٦٢هـ)^(٤). سمسون
 المحب (٢٧٠هـ)^(٥). إسماعيل بن إسحاق السراج الطوسي (٢٨٦هـ)^(٦). أحمد

(١) بشر بن الحارث الحافي أبو نصر، جاءت التسمية لأنه كان يمشي حافيًا، أصله من مرو وسكن بغداد، من أعلام التصوف كبير الشأن من أقران الجنيد، وكان يصاحب الصوفية. مات في بغداد سنة ٢٢٧هـ.

انظر: الرسالة القشيرية. نور الدين القشيري: ص ٥٤.

(٢) أبو الحسن سر السقطي خال الجنيد كان تلميذ المعروف الكرخي وصاحب الحارث المحاسبي، مات ٢٥٨هـ.

انظر: الرسالة القشيرية. نور الدين القشيري: ص ٥٢.

(٣) محمد بن أبي الورد قريب الجنيد، له طريق للمسالك الصوفية صحب الحارث المحاسبي وسر السقطي وبشر الحافي، سار ذكره في العراق وانتهت إليه مشيخة الصوفية في بغداد، وله حديث عن المحاسبي، مات سنة ٢٦٢هـ.

انظر: الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٦٩٦.

(٤) محمد بن عبد الله بن ميمون شيخ جليل فاضل نبيل، له محاسن جمّة من زهد وديانة، وتصوف، وحديث وفقه، ونسك، وشعر رقيق أغلب أحاديثه للمحاسبي -رحمه الله- وردت عنه، توفي سنة (٢٦٢هـ).

انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ١٠٦. طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٨١. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ٤٨٠.

(٥) سمسون المحب: كان صوفيا مقبولا لأهل زمانه، وقد سمي لقوة محبته لله تعالى، كان من أقران جنيد، توفي سنة ٢٧٠هـ.

وهو صاحب الشعر الذي أبكى المحاسبي في مجلس الذكر، الذي قال فيه :

أنا في الغربة أبكي ما بكث عین غريب لم أكن يوم خروجي من بلادي بمُصِيب.

انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار: ج ١، ص ٢٩٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٦) إسماعيل بن إسحاق السراج الطوسي، سكن هو وأخوه بغداد. فحدث عن : يحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، وعدة، ولازم الإمام أحمد، توفي سنة ست وثمانين ومائتين.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٣، ص ٢٠.

بن قاسم بن نصر دوست (٢٩٣هـ)^(١). الجنيد البغدادي (٢٩٨هـ)^(٢).
أحمد بن محمد بن مسروق (٢٩٨هـ)^(٣). أبو عبد الله بن إسماعيل المغربي
(٢٩٩هـ)^(٤). أحمد بن حسن بن عبد الجبار الصوفي (٣٠٦هـ)^(٥).

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران الفقيه (٣٢٠هـ)^(٦). محمد بن

(١) أحمد بن قاسم بن نصر الإمام الزاهد العابد، حدث عن المحاسبي عن أبي الدرداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».
انظر: تاريخ مدينة السلام الخطيب البغدادي: ج ٥، ص ٥٧٦. سنن الترمذي. محمد بن عيسى:
ج ٤، ص ٣١٨.

(٢) جنيد البغدادي: النهاوندي، ثم البغدادي القواريري، والده الخزاز هو شيخ الصوفية، ولد سنة
نيف وعشرين ومائتين وتلقاه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، ومن الحسن بن
عرفة، وصحب أيضاً الحارث المحاسبي وأبا حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتآله
وتعبد، وتطق بالحكمة، وقل ما وري، توفي سنة ٢٩٨هـ.
طبقات الأولياء. ابن ملقن: ج ١، ص ١٦١. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٤، ص ٦٧.

(٣) أحمد بن محمد بن مسروق من أهالي مدينة الطوس، جاء إلى بغداد متصوفاً، وتلمذ الحارث
المحاسبي، مات في بغداد ٢٩٨هـ. قال حدثنا المحاسبي: ((ثلاثة أشياء عزيزة معدومة: حسنُ
الوجه مع الصيانة، وحسنُ الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة)). وقال أيضاً: ((لكل شيء
جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل التوفيق)).
انظر: تاريخ مدينة السلام: الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ١٠٦. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢،
ص ٢٨١.

(٤) أبو عبد الله بن إسماعيل المغربي، أستاذ إبراهيم بن شيبان كان عجيب الشأن يأكل الحشائش،
وقال: الأعمال عمارة الأوقات بموافقة القلوب. وهذا المقال هو ضمن منهج أعمال القلوب والجوارح
عند المحاسبي رحمه الله.
انظر: الرسالة القشيرية: نور الدين القشيري: ص ٩٤.

(٥) أحمد بن حسن بن عبد الجبار الصوفي، صاحب حديث، حدث عن المحاسبي: قال في الحديث
«قد شغل النبي شيء من أمر المشركين فلم يصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما فرغ
صلاه الأول، الأول». وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف.
انظر: شذرات الذهب. لابن عماد: ج ٤، ص ٢٩. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ١، ص ٣٥٥. تاريخ
بغداد. الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ١٠٥. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٦. حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ١١٠.

(٦) الحسين بن صالح بن خيران: الإمام شيخ الشافعية أبو علي الحسين بن صالح بن خيران،
البغدادي الشافعي. هو أحد كبار علماء الشافعية، وقد حدث عن المحاسبي في أواخر حياته،
توفي سنة ٣٢٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٥، ص ٥٩. موسوعة خلفاء المسلمين. زهير الكبي: ج ٢، ص ٩٣.

علي بن حكيم الترمذي (٣٢٠هـ)^(١). أحمد بن حسن الانصاري (٤١٢هـ)^(٢).
 محمد بن أحمد هارون الزنجاني (٥٠٠هـ)^(٣). أبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ)^(٤).
 سعيد بن حسن الأندلسي أبو مدين الغوث (٥٩٤هـ)^(٥). الفيلسوف رينيه
 جينو والذي سمي بعد إسلامه بالشيخ: عبد الواحد يحيى (١٨٨٦م)^(٦).

(١) حكيم الترمذي: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى سنة (٣٢٠ هـ)، وقد جاء في كتابه ختم الأولياء حدث عن الحارث المحاسبي في شرح مسألة إصرار العمل في استواء السريرة والعلانية وشهوات النفس عند المريدين.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٣، ص ٤٤٠. ختم الأولياء. حكيم الترمذي: ص ١٧١.

(٢) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الأنصاري الهروي الماليني، الصوفي، الملقب بطاووس الفقراء، جال في طلب العلم ولقاء المشايخ إلى نيسابور وأصبهان وبغداد، وله معرفة وفهم، جمع وصنف. وقال الشيخ أحمد الأنصاري: سئل المحاسبي عن العقل، فقال: ((هو ثورة الغريزة مع التجارب، يزيد ويقوى بالعلم والحلم)).

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٧، ص ٣٠٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨١.

(٣) محمد بن أحمد هارون الزنجاني، كان فقيهاً متقناً، الإمام المعمر أبو بكر الشافعي. روى للحارث بسند أحمد بن مسروق: ((كل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل التوفيق)).

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٩، ص ٢٣٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين المزي: ج ٥، ص ٢١١.

(٤) أبو حامد الغزالي: الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان من العلماء الأجلاء الذين أكملوا مسيرة المحاسبي وسار على نهجه، ولديه كتب منقولة من فكر المحاسبي، وهي: إحياء علوم الدين، محك النظر، معراج السالكين. مأخذ الخلاف. الدرة الفاخرة. مكاشفة القلوب. روضة الطالبين. توفي سنة ٥٠٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٩، ص ٣٢٢.

(٥) هو سعيد بن حسن الأندلسي، شيخ مشايخ الصوفية في المغرب العربي، العلامة المتصوف وشيخ الشيوخ، إنه الشيخ الورع الشاعر، لقد تنقّف من مصادر القرآن الكريم، مات الأندلسي سنة ٥٢٤هـ. ويبدو في المسائل التي قدمها المحاسبي في محاربة النفس والزهد تحولت إلى قصائد شعر صوفيه لازلت تتردد.

انظر: أبي مدين الغوث. الإمام عبد الحليم محمود: ص ٥٢. ديوان أبي مدين الغوث: ص ٢٥.

(٦) وهو رينيه جينو فيلسوف فرنسي من أسرة فرنسية كاثوليكية، كان متطلع للمعرفة بمعناها الصوفي، اعتنق الإسلام سنة ١٩٢١م، وسمي باسم الشيخ عبد الواحد، كتب عن انحراف الماسونية والبروتستانتية وانتقد الروح المزيفة، وله عدة دراسات منها العقائد الهندية والتبصيرية، وتأمّلات حول الباطن، مات سنة ١٩٥١م.

انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٦. مقالات رينيه جينو، ت: زينب عبد العزيز: ص ٨.

يبدو أنَّ التصنيفَ الذي جاءَ حولَ عددِ تلاميذِ المحاسبي في بعض الكتبِ والمصادرِ غيرِ مطابقةٍ لكونِ أنَّ المادةَ المعروفةَ عن الموضوعِ تبرَّرُ تأثَّرَ عدد كبير من العلماءِ بفكره في عصره ومن بعده^(١).

ولا يخفى أنَّ تعاليمَ التصوّفِ عند المحاسبي والمشايع الذين لازموا فكره من بعده لم يسلموا من الانتقاداتِ والتجريحِ حتى بعد موتهم^(٢)، ورغم ذلك بقي تأثيرهم كبيراً وتمَّ قبولُ تعاليمهم، وذلك لأنَّ المحاسبي بحث في الفقه الإسلامي تأثير الرّوح والنفس على أعمال القلوب والجوارح وفرّق فيما بينهما، وأخرج لنا المفهومَ الحقيقي للتصوّف من هذا العِلْم؛ فهو شيخُ المدرسة التي تكشفُ العِلل التي أصابت النفس وهذا سبب تقدمه.

فقال: ((العملُ بحركاتِ القلوبِ في مُطالعاتِ الغيوبِ أشرفُ من العملِ بحركاتِ الجوارحِ))^(٣).

وقال: ((تفاوتُ النَّاسِ في الزَّهْدِ على قَدَرِ صَحَّةِ العقولِ وطهارةِ القلوبِ؛ فأفضلُهم أَعْقَلُهم وأفهمُهم عن الله))^(٤).

إنَّ منزلةَ المحاسبي لا تقتصرُ على أنَّه كان جامعاً للعِلْم عاملاً به، بل صاحبُ فكرٍ لمدرسةٍ تصفُ بالتحليل والكشفِ عن عللِ الأمةِ الإسلامية في عصره وكلِّ العصورِ من بعده^(٥)، فقد تَکَشَّفَتْ لَهُ الحُجُبُ واستنارَ فيه فِکْرُ التصوّفِ والوعظُ وشرحِ آفاتِ النفسِ البشرية وداءِ القلوبِ فيها^(٦)،

(١) جاء في بعض الكتب والمصادر أن المصنف كان تأثيره الشخصي ضئيل جداً.

انظر: كتاب تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) انظر: المآخذ العقيدية على كتاب إحياء علوم الدين: ص ٢٤٠. كشف الظنون. الحاج خليفة جلبي: ج ١، ص ٩٠٨.

(٣) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. زين الدين المناوي: ج ١، ص ٥٨٧.

(٤) انظر: مصدر نفسه: ج ١، ص ٥٨٨.

(٥) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار: ص ٢٩٠.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية. زين الدين القشيري: ص ٥٧.

والذي دافع بجدارةً بنهج الإسلام عن فطرة الإسلام التي أوصى بها
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

إنَّ الورعَ والزهدَ في عصرِ المحاسبي كانَ إتهامًا، وكانتِ المعرفةُ
بالأصولِ الإسلاميةِ عزيزةَ المنالِ، وكانَ الجهلُ في النفوسِ وعليلها متفشيًا،
إنَّ المرحلةَ التي كانَ يعيشها المحاسبي وفكرُهُ في تأسيسِ مدرسةِ الزهادِ
في مدينةِ بغداد، واتضحَ أنَّها من المراحلِ الصعبةِ في الثباتِ على النهجِ
الإسلامي الصحيح في عصره، فقد كَشَفَ المحاسبي عن ذلك كله في
كتبهِ بطريقةٍ سهلةٍ عن طريقِ الوعظِ والنصح^(٢).

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٧٤.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراني: ج ١، ص ١٣٨.

ثناء أهل العلم عليه

لقد برع المحاسبي في الكشف عن فئات المجتمع، ومنهم العلماء والصوفية والزهاد والأغنياء ببراعة؛ فهو عالم العارفين في زمانه^(١)؛ مما شكّل لديه ثراث هائل من علم النفس وآفاتهما الذي مازال ينتظر الكشف عنه، ويبدو أنّ نهج الوعظ عند المحاسبي اتخذ مجرى آخر فيما بعد عند بعض أسلاف الصوفية، ومنهم أبو مدين الغوث الذي نظم كلمات الوعظ على منهج قصائد شعرية تغنت بها الصوفية^(٢)، ولم تقف عند قصائد الشعر، بل جاءت عند الشيخ أبي حامد الغزالي كمنهج في التفصيل والشرح المفصل لكلمات الوعظ ومحاربة النفس، ووجدت للغزالي مصنفات ورسائل عديدة لفكر المحاسبي فتمثلت بعلمه خير تمثيل^(٣).

وجاءت على شكل نقاط تفصيلية في محاربة آفات القلب وإخلاص العمل وتدرج لطبقات العبادة عند مؤلفات محمد بن علي بن حكيم الترمذي^(٤)، وقد جاءت فيها بعض المواعظ كشرح مفصل عن أعمال القلوب بعد مطابقة مع مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح في مسائل الزهد والورع في إرشاد المريدين والسالكين في مذهب التصوف^(٥).

(١) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٧.

(٢) يقول أبو مدين في شعره: (ما لذة العيش إلا بصحبة الفقراء). وكلمات وعظ المحاسبي تقول: (من أراد التلذذ بصحبة أهل الجنة ونعيمها فليقتنع بصحبة أهل الفقر). وقصيدة الشعر أبو مدين الغوث:

(قد طال شوقي للنبي محمد... هل لي إلى ذلك المقام وصول). وجدت هذه الأبيات في غلاف مخطوطة كتاب العلم للمحاسبي في مكتبة السلিমانيّة.

انظر: تذكرة الأولياء. النيسابوري: ص ٢٩٤. طبقات الأولياء. ابن ملقن: ج ١، ص ١٧٥. ديوان أبي مدين الغوث: ص ٤٠. أبو مدين الغوث. عبد الحليم محمود: ص ٥٢. مخطوطة العلم. المحاسبي: ص ٣٢.

(٣) انظر: النفوس. للمحاسبي: ص ٥٩. انظر: أحياء علوم الدين. الغزالي: ص ٣٦. المنقذ من الضلال. الغزالي: ص ٣٢.

(٤) انظر: ختم الأولياء. الترمذي: ص ١٧١. مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٨.

(٥) انظر: مذهب التصوف. محمد الكلاباذي: ص ١١٣، ص ١١٤. مخطوطة أعمال القلوب. المحاسبي: ص ١١٨، ص ١٣٨.

أما عن أسلوب فكر ووعظ وكبح النفس عند المحاسبي تمثلت عند (الشيخ عبد الواحد محيي) في تعبير صادق عن آفات النفس في بداية ظهور مؤلفاته في بداية القرن العشرين، وقد تبين أن القصائد الشعرية للمحاسبي كان لها صدى كبير، ولكن لم يصل إلينا منها إلا القليل؛ لكونها بقيت حبيسة^(١) المكتبات، ومنها:

الخوف أولى بالمسيء إذا تأله الحزن

والحب يحسن بالمطيع وبالتقي من الدرن

والشوق للنجباء والأبدال وعند ذي الفطن^(٢).

يا عايب الفقر ألا تزدر عيب الغنا أكثر لو تعتبر

تقصي الإله لتنال الغنا ولا تطعه لكي تفتقر^(٣).

ويجمع المال حبا لا يفارقه وقد علم أنه للغير يجمعه

تراه يشفق من درهم يضع له وليس يشفق من زري يضيئه^(٤).

وأما بيت الشعر الذي كان قد تأثر به المحاسبي ويكي حتى يرحمه كل من كان قد حضر درسه من المريدين، وهو بيت للشعر لأحد مشايخ التصوف في بغداد^(٥):

(١) الخبئ جمع الحبس: يقع على كل شيء وقفه صاحبه.

انظر: تهذيب اللغة. المؤلف: محمد الهروري: ج ٤، ص ١٩٨.

(٢) انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ١٠٦.

(٣) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٥.

(٤) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ١٠.

(٥) ان الشاعر لهذه الأبيات هو الصوفي سمنون بن حمزة المحب (٢٧٠هـ)، والمادة تدل انه كان في حلقة لتلقي العلم

عند الشيخ المحاسبي الذي القى الشعر عليه فيكي.

انظر: الرسالة القشيرية. زين الدين القشيري: ص ٨٩. الطبقات الكبرى. الشعراني: ج ١، ص ١٣٨.

أنا في الغربة أبكي ما بكت عين غريب

لم أكن يوم خروجي من بلادي بمُصيب^(١).

كان المحاسبي يجالسُ الإمام الشافعي رضي الله عنه وتحلّى بصحبته ويحلّى العقد الفريد من العلم^(٢)، واعتُبر من العلماء الأوائل الذين سمعوا الحديث منه، وجمعوا الفقه والكلام واللغة وعلم القرآن^(٣)، وقد أشاد العلماء بعلمه في فقه الظاهر وفقه الباطن وفي طرق التصوف والمعاملات^(٤).

وتمّ قبولُ تعاليمه من ضمن الشيوخ الخمسة الذين تُقبل تعاليمهم وتطبق شرعاً وأفعالاً؛ لأنه جمع بين العلم والحقائق^(٥)، وعندما صُنِّفَت طبقات العلماء اعتُبر من الطبقة الأولى في طبقات الصوفية من حيث الزهد والورع والمعاملات وحب الله^(٦)، وولي من الأولياء في ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم في الأقوال والأفعال^(٧)، وصُنِّفَ من الأوائل في العقد الثالثة في طبقات الزهد حسب إحصاء فيمن توفي بعد المائتين إلى نهاية القرن الثالث^(٨)، وله الأثر في مناقب علماء الصوفية حول أقوالهم وحكمهم

(١) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار: ج ١، ص ٢٩٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٨. التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٣.

(٣) انظر: التعرف لمذهب التصوف. محمد بن اسحاق الكلاباذي: ص ١٢. الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. المناوي: ص ٥٨٥.

(٤) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل. ابن خلدون: ص ٤٥. انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ج ٢، ص ١٠٦.

(٥) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. مناوي: ج ١، ص ٥٨٦. الطبقات الكبرى. الشعراني: ج ١، ص ١٣٩.

(٦) انظر: طبقات الصوفية. للسلمي: ص ٢١.

(٧) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار: ج ١، ص ٢٩٠.

(٨) انظر: الكامل. ابن الأثير: ج ٦، ص ١٢٨. الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. مناوي: ج ١، ص ٥٨٥.

ونصائحهم وإرشاداتهم الثمينة^(١)، وكانَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ مائَتَيْ مُصَنَّفٍ لَمْ يَكْشَفْ إِلَّا عَنِ الْقَلِيلِ مِنْهَا، وَقَدْ تَمَّ تَحْقِيقُهَا، وَالْبَاقِي مَخْطُوطَاتٌ بِلَا عَنَّاوِينَ^(٢).

وقد قيل عنه في فِكْرِ وَعِلْمِ المعاملات:

- ♦ عديم النظير في زمانه علماً وورعاً، معاملةً وحالاً^(٣).
- ♦ هو إمام في التصوّف وفي الفقه والحديث والكلام^(٤).
- ♦ أحد من اجتمع لَهُ الزَّهْدُ والمعرفة بعلم الظاهر والباطن^(٥).
- ♦ عالمٌ مشايخ القوم بعلم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، أستاذ أكثر البغداديين^(٦).
- ♦ قال جنيد البغدادي: تَفَقَّهْتُ عَلَى أَصْحَابِ مَذْهَبِ الْحَدِيثِ، صَحِبْتُ الْحَارِثَ الْمَحَاسِبِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ كَانَ سَبَبَ فَلَاحِي؛ إِذْ عَلِمْنَا هَذَا مُضْبُوطٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ^(٧).
- ♦ المحاسبي من الزَّهَادِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْمَوَاعِظِ، كَانَ فَقِيهَا مُتَكَلِّمًا وَعَرَفَ مَذَاهِبَ النَّسَاكِ^(٨).

(١) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراني: ج ١، ص ١٣٨.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢، ص ٢٧٦. طبقات الشافعية. السبكي: ج ١، ص ٥٨٦. تاريخ التراث العربي. سزكين: ج ٤، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية. القشيري: ج ١، ص ٥٧.

(٤) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٩.

(٥) انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج ٨، ص ٢١٤.

(٦) انظر: طبقات الصوفية. لأبي عبد الرحمن السلمي: ص ٢١.

(٧) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٨) انظر: الفهرست. لابن نديم: ٢٦١.

- ♦ الزَّاهِدُ النَّاظِقُ بِالْحِكْمَةِ^(١).
- ♦ من علماء القوم بعلوم الظاهرِ وعلوم الأصولِ وعلوم المعاملاتِ، عديم النظر في زمانه^(٢).
- ♦ كان لألوان الحقِّ مُشاهدًا ومراقبًا، ولآثار النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مساعدًا ومصاحبًا، في علمِ الأصولِ راسخًا وراجحًا، وللمريدين قابلاً ناصحًا^(٣).
- ♦ جمعَ فقهَ الباطنِ وفقهَ الظاهرِ، وعِلْمَ الورعِ وعملَ القلوبِ^(٤).
- ♦ المحاسبي صَنَّفَ بالمعاملاتِ وَجَمَعَ الفقه والكلامَ واللغةَ وعِلْمَ القرآن^(٥).
- ♦ إمامُ الطريقةِ ولسانُ الحقيقةِ، العارفُ معدنَ الأسرارِ والحكمِ، اجتمعَ لَهُ عِلْمُ الظاهرِ والباطنِ، لَهُ تصانيفٌ في السلوكِ والمواعظِ والأصولِ^(٦).
- ♦ عالم من علماء الطريقةِ، مرجع أولياء زمانه في المعاملاتِ والإشاراتِ، وكان العلماءُ في عصره يرجعون إليه في كلِّ فَنٍّ مختص بالتجريدِ والتوحيدِ والمجاهدةِ والمشاهدةِ، شيخُ بغداد^(٧).
- ♦ عِلْمٌ وأستاذ صوفي، برعَ في عدَّةِ فنونٍ، واعظٌ، إمامُ المسلمين في الفقهِ والتصوّفِ والكلامِ، أحيَا القلوبَ بوعظه، وَشَفِيَتِ الأسماعُ بِدُرِّ لَفْظِهِ^(٨).

(١) انظر: شذرات الذهب. لابن العماد: ج ٣، ص ١٩٧.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى. للشعراني: ج ١، ص ١٣٩.

(٣) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٧٤.

(٤) انظر: شفاء السائل في تهذيب المسائل. لابن خلدون: ص ٣٥.

(٥) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف. الكلاباذي: ص ١٢.

(٦) انظر: مرآة الجنان وعبرة البقطن. علي اليافعي: ج ٢، ص ٦١.

(٧) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين النيسابوري: ص ٢٢٥.

(٨) انظر: الكوكب الدرّي في طبقات الصوفية. المناوي: ج ٢، ص ٥٨٥.

♦ خَيْرُ الْأُمَةِ فِي عِلْمِ الْمَعَامِلَةِ، وَلَهُ السَّبْقُ عَلَى جَمِيعِ الْبَاحِثِينَ عَنْ عيوبِ
النَفْسِ وَآفَاتِ الْأَعْمَالِ وَأَغْوَارِ الْعِبَادَاتِ، وَكَلَامُهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يُحْكَى^(١).

قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ إِنَّ الْحَارِثَ الْمَحَاسِبِيَّ يَتَكَلَّمُ فِي عُلُومِ
التَّصَوُّفِ، وَيَحْتَجُّ لَهَا بِالْأَيِّ وَالْحَدِيثِ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامَهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، حَدَّثَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ، أَنَّ أَحْمَدَ قَالَ لَهُ:
يَبْلُغُنِي أَنَّ الْحَارِثَ يُكْثِرُ السُّكُونَ عِنْدَكَ، فَلَوْ أَحْضَرْتَهُ مَنَزْلَكَ وَأَجْلَسْتَنِي
مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي فَأَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَقَالَ: قَصِدْتُ الْحَارِثَ وَسَأَلْتُهُ أَنْ
يَحْضُرَنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَتَسَلَّ أَصْحَابَكَ أَنْ يَحْضُرُوا، فَقَالَ الْحَارِثُ: يَا
إِسْمَاعِيلُ، فِيهِمْ كَثْرَةٌ، فَلَا تَزِدْهُمْ عَلَى الْكَسْبِ وَالتَّمَرِ، وَانْصَرَفْتُ إِلَى أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَحَضَرَ وَصَعِدَ إِلَى غُرْفَةٍ فِي الدَّارِ فَاجْتَهَدَ فِي وَرْدِهِ، وَحَضَرَ
الْحَارِثُ وَطَلَبُوهُ فَأَكَلُوا ثُمَّ قَامُوا لِلصَّلَاةِ الْعَتَمَةِ - اللَّيْلِ - وَقَعَدُوا بَيْنَ يَدَيِ
الْحَارِثِ لَا يَنْطَقُونَ إِلَى قَرِيبِ نِصْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ ابْتَدَأَ رَجُلٌ فَسَأَلَ عَنْ
مَسْأَلَةٍ؛ فَأَخَذَ الْحَارِثُ فِي الْكَلَامِ وَأَصْحَابُهُ يَسْتَمْعُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْكِي
وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْنُ^(٢)، وَهُوَ فِي كَلَامِهِ. فَصَعِدْتُ إِلَى الْغُرْفَةِ؛ لِأَتَعَرَّفَ حَالَ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ فَوَجَدْتُهُ قَدْ بَكَى حَتَّى غُثِيَ عَلَيْهِ، فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِمْ وَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ
حَالُهُمْ حَتَّى أَصْبَحُوا فَقَامُوا وَتَفَرَّقُوا، فَصَعِدْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُتَغَيِّرُ
الْحَالِ فَقُلْتُ: كَيْفَ رَأَيْتَهُمْ؟ فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ،
وَلَا سَمِعْتُ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ مِثْلَ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ، كُنْتُ أَسْمَعُ خِلَافَ
هَذَا، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ^(٣).

(١) انظر: إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالي: ص ٥٨. الكواكب الدرية في تراجم الصوفية.
المنأوي: ج ١، ص ٥٨٦.

(٢) يَحْنُ: مَنْ حَنَّ: نَزَّاعُهَا بِصَوْتٍ وَيَغْيِرُ صَوْتَهُ. وَالْأَكْثَرُ أَنْ الْحَنِينَ بِالصَّوْتِ.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن سيده: ج ٢، ص ٥٤٣.

(٣) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. منأوي: ج ١، ص ٥٨٨. الطبقات الكبرى. الشَّعْرَانِي:
ج ١، ص ١٣٩.

فكر المحاسبي في علم الكلام.

لقد تركز منهج الفكر عند المحاسبي في عصره على ردّ اختلاف المسائل في علم الكلام مع المحدثين من جهة، والبلاغة وإتقان الحجج الكلامية في مواجهة المعتزلة، ومن جهة أخرى استطاع ردّ الخلاف الفكري عند مفهوم الفلاسفة والناقلين له في عصره بالكلام، ومنها نقض مفهوم العقل عند مقارنة العقل بالقلب بقوله: (إن القلب بموته يموت الإنسان، ولكن العقل عند الضياع يصبح الإنسان مجنوناً؛ فلذلك يعتبر القلب أوسع فائدة للإنسان من العقل)^(١)، وكان هذا الفكر يناقض تمامًا مفهوم العقل عند الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي (٢٥٦هـ)، الذي قال عنه: ((مبدأ أول بالقوة، وجوهر بسيط مُدرِك للأشياء بحقائقها))^(٢).

إن فكر علم الكلام للمحاسبي لم يقتصر في مدينة بغداد فقط، بل جاوز ذلك ليصل لجميع أرجاء البلاد الإسلامية؛ لكونه يسير في طريق الثبات ولا يهتم إلا لرضى الله عز وجل^(٣)، وقد أبدأ بوصف كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح، وبالأخص عند المسألة الخامسة عشر في تسمية النذر الخامس، والمعروف عن الموضوع أنها أربعة فقط^(٤)، وقد أسند التسمية حسب آيات القرآن الكريم والأحاديث والأثر، كما هو متعارف عليه في نهج كتبه.

إنّ العبارات اللغوية التي كان يستخدمها المصنف رحمه الله سواء في الرواية، أو علم الكلام، أو الفقه، أو التفسير تنتمي إلى بيئة أهل الحديث والمتكلمين، وبيئة اللغويين والفقهائ الذين أبدأعوا في التفسير القرآني،

(١) انظر: مخطوطة مائية العقل. المحاسبي: ١٠٥.

(٢) انظر: رسائل الكندي الفلسفية. الكندي: ج ١، ص ١٦٦.

(٣) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين: ص ٢٢٥. الكواكب الدرية لطبقات الصوفية. المناوي: ج ٢، ص ٥٨٦.

(٤) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٤٥.

وَيُعْطَرُّهَا بِلَذَّةِ الطَّاعَةِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ، وَبِمُحَارَبَةِ النَّفْسِ؛ فَهُوَ فِي الرَّدِّ وَالْمُنَاطَرَةِ يُظْهِرُهَا وَيُجَلِّلُهَا وَيُعْطِي دَرَجَةً غُرُورَهَا فِي قَلْبِ الْمُرِيدِينَ، وَاتَّضَحَ مِنَ الْبَحْثِ أَنَّ الْمَحَاسِبِي صَاحِبُ الْفِكْرِ الْأَوَّلِ فِي مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَغَيْهَا، وَقَالَ: (إِنَّ ذَكَرَ اِطْلَاعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الضَّمِيرِ وَالْجَوَارِحِ يَوْلَدُ الْحَيَاءَ) ^(١).

لقد امتاز أسلوب وعظ المحاسبي في التأويل والتفسير وعلم الكلام بمنهج الجدَلِ بطريقة إسناد الحديث بآيات قرآنية، ويليها بعد ذلك حديث شريف، فهذه الطريقة تسمى الناسخ والمنسوخ، وهو علم أبي عبيد الله بن حصين العنبري الزاهد في البصرة، وكان يصنف من تلاميذ الإمام الشافعي في الأسلوب البياني في تمييز النصوص وربطها بمصادر التشريع ^(٢).

قال المحاسبي: (إِنَّ الْعِلْمَ يورثُ الْخَافَةَ، وَالزُّهْدَ يورثُ الرَّاحَةَ، وَالْمَعْرِفَةَ تورثُ الْإِنَابَةَ، وَخِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ لَا تَشْغُلُهُمْ دُنْيَاهُمْ عَنْ آخِرَتِهِمْ، وَمَنْ حَسُنَتْ مُعَامَلَتُهُ فِي ظَاهِرِهِ مَعَ جُهْدٍ بَاطِنِهِ وَرَّثَهُ اللَّهُ الْهُدَايَةَ إِلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} ^(٣)).

كَانَ يَذْهَبُ بِالتَّأَمُّلِ الْأَوَّلِ لِلنَّصِّ بِاتِّجَاهِ مَجَازِ الْمُفَسِّرِينَ الْأَوَائِلِ وَلَيْسَ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ لَكُونِهَا عِنْدَ الْفُقَهَاءِ عَمَلِيَّةً لُغَوِيَّةً وَأُسْلُوبِيَّةً بَحْتَةً، وَعِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ صَرَفُ النَّصِّ عَنْ ظَاهِرِهِ بِمَا يَتَّفَقُ وَتَنْزِيهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُكْمَتِهِ. لِذَلِكَ هُوَ لَا يَخْتَلِفُ عَنْهُمَا فِي اعْتِبَارِ الْبَيَانِ وَمَنْهَجُ نَجَاحِ الْحُكْمِ فِي التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ، وَقَدْ كَانَ لَهُ رَأْيٌ مُتَمَيِّزٌ فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ: (اعْلَمْ فَالْقُرْآنُ أَرْبَعُ آيَاتٍ: فَآيَةُ تَأْمُرُكَ، وَآيَةُ تَنْهَاكَ، وَآيَةُ تَشَوْفُكَ، وَآيَةُ تَخَوْفُكَ، فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ الْقُرْآنِ عَدَلْتَ عَنِ الشِّفَاءِ، وَإِنْ لَزِمْتَ الْقُرْآنَ

(١) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. مسألة النفوس. المحاسبي: ص ١٣٩.

(٢) انظر: كتاب الأم. الشافعي: ج ١، ص ٤٧.

(٣) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٨٨. طبقات الصوفية. للسلمي: ص ٢٣.

هبطت على رياض الجنة^(١).

فهو يستند على تأويل النص في ضوء مفهوم المريدين عند ضوء فكرة القلب الذي يزيده العلم قوة بالإيمان والصبر، فعند المحاسبي القلب قد تجاوز تصورات العقل في عصره؛ ولذلك استطاع أن يحافظ على فكر الجدل ومحاربة النفس.

إن التقلبات السياسية وسيطرة بعض المدارس التي يتخالف معها في الفكر والمنهج، وظهور مدارس أخرى حاولت فرض آرائها عليه بالقوة، مستغلة الدعم الذي يُقدم إليها من الخلفاء العباسيين^(٢)، لم تثني المحاسبي؛ فقد أثبت للجميع أنه ماضي وسائر على منهج القرآن والسنة النبوية الشريفة بحكم الجدل والوعظ في آراءه الفقهية والتفسير للمريدين لآخر يوم في حياته.

سُئل المحاسبي من أحد المريدين ماهي محبة الله للعبد.

فقال: للسائل ما الذي كشف لك عن طلب هذا العلم.

فقال المريد: لقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ^(٣) فعلمت أن علاقة محبة العبد لله اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال سبحانه: {يُحِبُّكُمْ اللَّهُ}.

فأجابه المحاسبي: سألت عن شيء غاب عن أكثر القلوب، إن علامة محبة الله للعبد أن يتولى الله سياسة همومه فيكون في جميع أموره هو المختار لها؛ فأخلاقه على الساحة، وجوارحه على الموافقة.

فقال المريد: وما الدليل على ذلك؟

(١) انظر: مخطوطة شرح المعرفة وبذل النصيحة. المحاسبي: ص ٤٦.

(٢) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٣، ص ٩٧.

(٣) آل عمران: ٣١، الآية.

قال المحاسبي: خَبَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا جَعَلَ لَهُ وَعَظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ بِأَمْرِهِ وَبِنَهَاهُ »^(١).

فقال المريد: زِدْنِي مِنْ عِلَامَاتِ الْمَحَبَّةِ لِلْعَبْدِ.

فقال المحاسبي: أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ بِمَسَارَعَةٍ مِنَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهَا كَثْرَةُ النَّوَافِلِ^(٢).

لقد عَبَّرَ المحاسبي الوصفَ فِي عَصْرِهِ؛ لِاخْتِلَافِهِ بِالنَّهْجِ الْفِكْرِيِّ عَنِ الْعُلَمَاءِ، فَقَالَ: ((فقد انتهى إلينا أَنَّ هذه الأُمَّة تَفْتَرِقُ عَلَى بَضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، مِنْهَا فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِسَائِرِهَا^(٣)، فَلَمْ أَزَلْ بَرْهَةً^(٤) مِنْ عَمْرِي أَنْظُرُ اخْتِلَافَ الْأُمَّةِ، وَأَتَمَسُّ الْمُنْهَاجَ الْقَوِيمَ الْوَاضِحَ، وَالسَّبِيلَ الْقَاصِدَ، وَأَطْلُبُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ فِي جَدَّةِ^(٥) الْإِسْلَامِ، وَاسْتَدَلَّكَ عَلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ بِإِرْشَادِ الْعُلَمَاءِ، وَعَقَلْتُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَأْوِيلِ الْفُقَهَاءِ، وَتَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ الْأُمَّةِ وَنَظَرْتُ فِي مَذَاهِبِهَا وَأَقَاوِيلِهَا؛ فَعَقَلْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا قُدِّرَ لِي، وَرَأَيْتُ اخْتِلَافَهُمْ بَحْرًا عَمِيقًا قَدْ غَرِقَ فِيهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَسَلِمَ مِنْهُ عَصَابَةٌ قَلِيلَةٌ، وَرَأَيْتُ كُلَّ صَنَفٍ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ النِّجَاةَ قِي مَذْهَبِهِمْ وَهَالِكُ مَنْ خَالَفَهُمْ))^(٦).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٣، ص ٣٨. الزهد الكبير. البيهقي: ص ٣٠٧.

(٢) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٩٩.

(٣) بِسَائِرِهَا : أَي مَهَازِيلَ. يُقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَرْبِيةِ عَلَى الْمُتَلَاغِ لِمَالِهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٩٦.

(٤) بَرْهَةٌ: زَمَنٌ.

انظر: : تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهر: ج ٦، ص ١٥٨.

(٥) جَدَّةٌ: عِظْمَةٌ. وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {جَدِّ رَبِّنَا} أَي عِظْمَةُ رَبِّنَا.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج ١، ص ٥٧٦.

(٦) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٢٩.

ومن أحاديث ومواعظ الشيخ المحاسبي:

- عن الحارث المحاسبي قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَثْقَلُ مَا يُوَضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ»^(١)
- التصوف: الأخذ بالأصول، وترك الفضول، واختيار ما اختاره الرسول^(٢).
- حسن الخلق: احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الرحمة، وطيب الكلام^(٣).
- خير الرزق ما يكفي: هو قوت يوم بيوم، ولا تهتم لرزق غدا^(٤).
- الشوق سراج نور من نور المحبة، غير أنه يزيد عن نورها^(٥).
- الكون توهم في الحقيقة، ولا تصح العبارة عما لا حقيقة له^(٦).
- تفاوت الناس في الزهد على قدر صحة العقول وطهارة القلوب؛ فأفضلهم أ عقلهم وأفهمهم^(٧).
- الظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمه الناس، والقانع غني وإن جاع، ومن لم يشكر الله تعالى على النعمة فقد استدعى زوالها^(٨).

(١) انظر: البحر الزخار. بزار: ج ١٠، ص ٣٦. سنن الترمذي: ج ٤، ص ٣٢٢.

(٢) انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٤.

(٤) نظر: مسند أحمد: ج ١، ص ١٧٢. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥.

(٥) انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: ج ١، ص ٥٨٧.

(٦) انظر: التعرف لمظهر أهل التصوف. الكلاباذي: ص ١١٤.

(٧) انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: ج ١، ص ٥٨٨.

(٨) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٣.

- صفة العبودية أن لا ترى لنفسك مُلكًا، وتعلم أنك لا تملك لنفسك لا ضرًا ولا نفعًا^(١).
- التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من غير تغير منه في الظاهر والباطن^(٢).
- من أراد أن يذوق لذة طعم معاشرّة أهل الجنة؛ فليصحّب الفقراء الصادقين^(٣).
- ومن استغنى بشيء دون الله جهل فكيف تجيب دُعاه^(٤).
- أصل الطاعة الورع، وأصل الورع التقوى، وأصل التقوى مُحاسبة النفس، وأصل مُحاسبتها الخوف والرّجاء، وأصلها معرفة الوعد والوعيد، وأصل معرفة الوعد والوعيد داءٌ عظيمُ الجزاء، وأصل ذلك الفكرة والعبرة^(٥).
- وقال: أصدق بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه:
- وما حملت من ناقة فوق كورها أعزّ وأوفى دَمّة من محمد^(٦).
- مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لساني إلا من سرّي، ثم ثلاثين لا يسمع سرّي إلا من ربّي^(٧).

(١) انظر: طبقات الصوفية. للسلمي. ص ٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٢.

(٣) انظر: طبقات الأصفياء. ابن ملقن: ج ١ ص ١٧٥. تذكرة الأولياء. العطار: ٢٤٩.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٣.

(٥) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. العسقلاني: ج ٧، ص ١١. طبقات الصوفية. للسلمي. ص ٢٢.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٣. الإصابة في تمييز الصحابة. العسقلاني: ج ٧، ص ١١.

(٧) انظر: المصدر نفسه.

- العلم يُورث المخافة، والزَّهْدُ يورث الرَّاحَةَ، والمعرفة تُورثُ الإنابة.^(١)
- أكمل العارفين من أقرَّ بالعجزِ أَنَّهُ لا يبلغُ كُنْهَ^(٢) معرفته.^(٣)

(١) انظر : المصدر نفسه.

(٢) كُنْهٌ: غَايَتُهُ.

انظر : البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم: ج ١، ص ٥٩٣.

(٣) انظر : مصدر سابق: ج ١، ص ٥٨٧.

((إِنَّ الْجَنِّ فِي الْآخِرَةِ يَكُونُونَ عَكْسَ مَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا؛ بِحَيْثُ
نَرَاهُمْ وَلَا يَرُونَا))^(١).

الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ

(١) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أيوب بن موسى الحسيني: ج ١، ص ٣٥٢.



الكتب المحققة من المستشرقين:

إنَّ عددَ مخطوطاتِ المحاسبي قد بَلَغَتْ مائتينَ مصنفٍ حسبَ ما وَرَدَ في المصادرِ، ويبدو أنَّ ما حُقِّقَ مِنْهَا إِلَّا جزءٌ بسيطٌ وهي التي وُجِدَتْ في المكتباتِ المصريَّةِ والتركيَّةِ^(١)، ويظهر أنَّ المخطوطاتِ والرسائلَ بَقِيَتْ قروناً حبيسةَ خزائنِ المكتباتِ ومحفوفةً في الصدورِ المخلصِ، حتى بادَرَ على إخراجها المستشرقون، وأتَّضحَ أنَّ جميعَ الموسوعاتِ والدراساتِ النفسيةِ ومناهجِ التَّصوِّفِ التي كُتِبَتْ بالإنجليزية وترجمَتْ إلى لُغَاتٍ أُخرى كانتَ عبارةً عن شرحٍ وتوسُّعٍ وسردٍ لرسائلٍ وعظٍ وتفسيرٍ لكلامِ الشيخِ المحاسبيِّ.

واتَّضحَ بعدَ البحثِ أنَّ جميعَ ما حُقِّقَ بالعربيةِ في مطلعِ القرنِ العشرينِ كانتَ عبارةً عن نَسْخٍ وترجمةٍ لكتبِ المستشرقين مع تَغْيِيرَاتٍ طفيفةٍ للمَقَدِّماتِ، أو في سيرةِ حياةِ المحاسبيِّ، أو آراءٍ للناسخِ أو المَحَقِّقِ حَسَبَ مُتطلباتِ النشرِ لنهْجِ الفِكرِ الدينيِّ في عصرِ الكاتبِ أو المَحَقِّقِ، وهذهِ الآراءُ كانتَ تُكْتَبُ إمَّا داخلَ النصوصِ أو الفصولِ^(٢)، وقد تأتي في بعضِ الأحيان بتغييرِ جذري عندَ الأسماءِ والأبوابِ والمسائلِ مِنَ المَحَقِّقِ، وقد تكونُ أيضًا بسببِ النسخِ التي بين يَدَيْهِ وعدمِ مقابلتها بنسخِ أُخرى للخروجِ بالمفهومِ الصحيحِ للكلامِ، وتبيِّنُ ذلكَ في بعضِ الكتبِ المترجمةِ وفي بعضِ مناهجِ المخطوطاتِ المحققةِ بالعربيةِ^(٣)، والتي جاءتْ فيها

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٥٧. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٣. كشف الظنون حاج خليفة جلي: ج ٢، ص ١٤٩٠. فهرست المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٤٣. الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٦. الكواكب الدرية في الطبقات الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥.

(٢) مخطوطة الرعاية لحقوق الله. المحاسبي: ص ١.

(٣) انظر: البرهان في القرآن. للزركشي: ج ١، ص ٢٣٧. العقل وفهم القرآن للمحاسبي، ت:

بعض أبواب المصادر المترجمة والفهارس العربية على أنها كتبٌ مستقلةٌ
والبعض الآخر كتبٌ مفقودة^(١)، ولذلك السبب تمَّ تقسيم الكتب المحقَّقة
بينَ المستشرقين والعربِ حسبَ التصنيفِ أدناه.

القولتي: ص ٧.

(١) انظر: الفهرست. ابن خير الإشبيلي: ج ٢، ص ٢٧٣، ص ٣٣٦. تاريخ التراث العربي. فواد
سزكين: ج ٤، ص ١١٩.

فهرست المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٤٣.

كتب محققة من المستشرقين مُترجمة إلى العربية:

• كتاب الإنابة إلى الله.

حققه (French orientalist Halmon Ritter)، سنة (١٩٣٥)^(١) ولم يُشر إلى منهج الكتاب في التحقيق، وحُققت أيضًا باللغة العربية في كتاب التوبة وجاءت بعنوان: (العودة والإنابة إلى الله) سنة (١٩٧٧)^(٢)، وطُبعت مرةً أخرى سنة (١٩٨٦) ضمن مجموعة كتاب اسمه الوصايا وهو عن (مخطوطة النصائح)، وجاء ضمن مجموعة لكتب المحاسبي، وقد أشار المحقق إلى منهج تحقيق المخطوطة، وذكر أن المخطوطة كانت بمكتبة الجزّار بعكا، وقال: هي من ضمن كتب أخرى للمحاسبي^(٣)، وقد جاء موضوع المخطوطة عبارة عن مجموعة من الرسائل ألّفها المحاسبي على أبي جعفر محمد بن موسى الرضا وهو السائل، وأبو جعفر المحيب، وتحدث عن بيان البلوى والاختبار، وبعد الاطلاع على المخطوطة الأصلية اتّضح أن المحقق أضاف بعض التعليقات خارج المتن، وهي عبارة عن معلومات اعتمد عليها من بعض الكتب العربية، والتي جاءت هي الأخرى بتسميات مختلفة للمخطوطة وبعناوين أخرى^(٤).

ويتضح مما سبق ذكره أن التحقيق المتّبع للمخطوطة جاء بمنهج تغيير أسماء الأبواب وتقطيع المسائل، وهذا نهج أغلب الكتب المحققة

(١) انظر: كتاب الإنابة إلى الله للمحاسبي، ت: هلمون ريتز: ص ٥. التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٦.

(٢) انظر: كتاب التوبة (الإنابة والعودة إلى الله). المحاسبي: ت: عبد القادر عطا الله: ص ٢١.

(٣) انظر: كتاب الوصايا (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٥٤.

(٤) انظر: الوصايا (النصائح). المحاسبي: ت: عبد القادر: ص ٢٢٢. فهرست المخطوطات. الشطي: ص ١٧٦.

عند العرب للمحاسب^(١)، وقد تمّ تحقيق المخطوطة مرةً ثانية لسنة (١٩٩١)، وذكّرَ فيها منهج التحقيق، وكانت نسخة المخطوطة المعتمدة من مكتبة السليمانية^(٢).

• كتاب التوهم.

تمّ تحقيق المخطوطة من المستشرق (A.J. Arberry : London) : orientalist، لسنة (١٩٣٧)، وترجم إلى العربية في نفس السنة، ولم يُذكر في النسخة المترجمة على أيّ مخطوطة تمّ الاعتماد عليها^(٣)، وحققت أيضًا سنة (١٩٨٦)^(٤)، وأعيد نسخ الكتاب مرةً أخرى سنة (١٩٩١)، وتمت الإشارة إلى نسخة المستشرق البريطاني المشار إليه فيما سبق من الكاتب^(٥)، وترجم إلى التركية بتسمية ((افترض أنك ميت لسنة ٢٠٠٦))^(٦).

• كتاب الخلوة والتنقل في العبادات ودرجات العابدين.

عُرِضَت المخطوطة على شكل مواضيع في علم الكلام والعبادة لمستشرقين، حقّقهُ الراهبُ أغناطيوس عبده لسنة (١٩٥٢)، ولا توجد تفاصيل عن النسخة المحققة^(٧).

(١) انظر: معاني النفوس. المحاسب، ت: محمد عبد القادر ص ٤٠. كتاب الوصايا. المحاسب: عبد القادر: ص ٥٠.

(٢) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج ٢، ص ٣٣٧. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٦.

(٣) الإنابة. المحاسب، ت: عبد القادر عطا: ص ١٨. الإنابة لله. المحاسب، ت: مجدي فتحي السيد: ص ١٦.

(٤) هنالك تقارب كبير من حيث المحدثين ووصف الروايات بين كتاب الوهم ومخطوطة أعمال القلوب والجوارح.

انظر: كتاب التوهم: ت. آرثر جون ترجمة: أحمد أمين: ص ٣. مخطوطة أعمال القلوب. المحاسب: ص ١٣٠.

(٥) انظر: الوصايا (النصائح). للمحاسب، ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٣٨٩.

(٦) انظر: كتاب آداب النفوس. ت: عبد القادر عطا: ص ١٤٩.

(٧) انظر: عبد العزيز الخطيب، ISBN:9759066222، 2006.

(٨) انظر: مخطوطة الخلوة. المحاسب: ص ٢. تاريخ التراث العربي. سزكين: ج ٤، ص ١١٨.

• كتاب الصبر والرضا.

ورَدَ اسم كتاب الصبر والرضا في مخطوطة أعمال القلوب والجوارح^(١)،
وحققه المستشرق الألماني (German Orientalist: Josef Vin As) لسنة (١٩٣٤)، وذكر منهج التحقيق والنسخة بالمكتبة الهندية^(٢).

• كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل.

كان أول تحقيق للمخطوطة في سنة (١٩٣٦) (London oriental-ist: Margaret Smith اعتمد المحقق على ثلاثة نسخ من المخطوطات في التحقيق، ويتضح أنه تميّز في النهج^(٣)، وقد حُقّق أيضاً من شيخ الأزهر الشريف لسنة (١٩٨٥) ولم يذكر النسخ المعتمدة في التحقيق^(٤)، وحُقّق لمرّة ثالثة لسنة (١٩٨٥) ولم يذكر أيضاً النسخ المعتمدة في التحقيق سوى الإشارة لكتب المستشرقين والثناء عليها^(٥).

الخلوة والتنفّل في العبادات. المحاسبي، ت: أغناطيوس عبد خليفة: ص ٢٩. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص ٢٥.

(١) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٨. كتاب العلم. المحاسبي: ت: المزالي: ص ٢٣.

(٢) انظر: كتاب الصبر والرضا. المحاسبي، ت: فان اس: ص ٦. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص ٢٥. تاريخ الأدب العربي بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

(٣) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله، المحاسبي: ت: مارغريت سميث: ص ١٥.

(٤) انظر: كتاب الرعاية، المحاسبي، ت: عبد الحليم محمود، وعبد الباقي سرور: ص ٤.

(٥) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله، المحاسبي، ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٢٢.

الكتب المحققة من العرب:

اعتمدَ منهجُ تحقيقِ مخطوطاتِ المحاسبي في الدول العربية في أغلب الأحيان إمَّا نسخَ للمخطوطة بدونِ مقابلة مع نسخٍ أخرى، أو ترجمة عن كتب للمستشرقين، ويبدو أنَّ جميع المخطوطات التي تمَّ تحقيقُها هي في الأغلب للمستشرقين وجاءتْ بعدَ الانفتاح العربي على الدول الغربية في مطلع القرن العشرين، ولكنَّ الغريبَ في الموضوع أنَّ المحاسبي من البصرة وسكنَ بغداداً ولم تشهدْ كُتبه أيُّ تحقيقٍ أو بحثٍ من باحثٍ لهذا البلد طيلة القرون الماضية رغم الحركة الثقافية والانفتاح في تلك المرحلة، ويمكن أن يرجع الأمرُ لعدم وجود المخطوطات في العراق، أو أنَّ منهجَ التصوف وعلم الكلام لا يطابقُ ما يفكرُ به أهلُ بغداد؛ لكونه لا يطلبُ الشهرة أو السياسة، وفيما يلي أدناه أهمُّ الكتب التي حُقِّقت من العرب:

• كتاب آداب النفوس:

تم تحقيقه سنة (١٩٩١م) أدرج فيه منهج التحقيق وهو عن مخطوطة جار الله دون ذكر اسم الناسخ^(١)، وترجم إلى التركية وبنفس العنوان لسنة (١٩٩٨)^(٢).

• كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح:

تم تحقيق المخطوطة لسنة (١٩٦٩)، وجاءت الطبعة الثانية فيهلجنة (١٩٨٥)^(٣)، واتضح أنَّ النسخ المعتمدة في التحقيق كانت من المكتبة

(١) انظر: كتاب آداب النفوس للمحاسبي، ت: عبد القادر: ص ٢٢. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ١١٦.

(٢) انظر: شاهين فليز، هويلا وجك. 1998، ISBN: 9755741933.

(٣) انظر: كتاب أعمال القلوب والجوارح والعقل. للمحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٤٩. معاتبة النفس. المحاسبي: ت: محمد عبد القادر عطا الله: ص ٢٢.

الأزهرية، وتمت الإشارة إليها من المحقق على أنها نسخ مكتبة عكا^(١).

ويبدو من تجميع المادة أن التحقيق اعتمد في النهج على نسخة واحدة بسبب الأخطاء التي وردت في الأعلام والأحاديث النبوية الشريفة مع ظهور أخطاء لغوية في الكلمات^(٢)، وقد تبين أن مخطوطة مكتبة الجزائر - عكا - لديها رقم تسلسل مطابق لنسخة مخطوطة مكتبة الأزهر الشريف^(٣)، وبعد الاطلاع عليها اتضح فيها تلف الحروف وعدم وضوح الكلمات بسبب سوء التخزين وإضافات لكلمات والتقطيع في النصوص وتسمية المسائل في المخطوطة حسب منهج وقراءة المؤلف، وكان من الممكن تجاوزها وعدم الوقوع في هذه الأخطاء عند مفهوم الكلمات لو اعتمد المحقق في تحقيق المخطوطة على أكثر من نسخة، ولهذا الأسباب كانت المخطوطة المحققة عن مكتبة الجزائر - عكا - في موضع نقد وتعليق دائم طيلة السنوات الماضية^(٤).

(١) وهي تحت اسم: تصوف، رقم التسلسل / ١٣٦٧، عدد صفحات ٧٩، من (ص ٩١ . ١٧٠)، وهي عن مكتبة الأحمديّة أحمد باشا الجزائر. عكا، التوثيق عن المكون البغدادي.

انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٥. المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٩٢. الوصايا (النصائح). للمحاسبي. ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٤٠. كتاب العلم. المحاسبي. ت: محمد عابد مزالي: ص ٧. العقل وفهم القرآن. المحاسبي. ت: حسين القوتلي: ص ٧.

(٢) ومن هذه الأخطاء: المعنى (للغي، والعي)، جاءت في معناها الخطأ في الجمل عند الكتاب أعمال الجوارح والعقل، وكلمة الخف وردت في الكتاب الخلف، وهناك أخطاء كثيرة.

انظر: كتاب أعمال القلوب والجوارح والعقل. للمحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ١٢٠، ص ١٣٢. مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣١، ص ١٤٣.

(٣) انظر: العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص ٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٥. الوصايا. المحاسبي ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٤٠.

(٤) إن النهج المتبع في تحقيق أعمال القلوب والجوارح من حيث إشارة المحقق لكتاب العقل قال: (من خلال الفترة التي كنت فيها في إعداد تحقيق كتاب العقل وفهم القرآن، نشر الأستاذ أحمد عطا الله في القاهرة كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح والعقل، ولكنه تضمن الكثير من السهو والخطأ والاجتهادات الشخصية في تغيير النص مما لم أوافق عليها).

انظر: العقل وفهم القرآن للمحاسبي. ت: حسين القوتلي: ص ٧. (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٥٤.

طُبِعَ كتاب آخر في السعودية لسنة (١٩٨٦)^(١)، والكتاب هو نسخة مطابقة عن كتاب طبعة مصر لسنة (١٩٨٥) المفقود من المكتبات، وبعد الاطلاع عليه تبين أنه عن نسخة مخطوطة الأزهر أيضًا ويتشابه بالمضمون مع كتاب الطبعة الثالثة الذي سيتم ذكره وله نفس الأخطاء، ولم يذكر المؤلف فيه أي تفاصيل عن نهج المخطوطة عند طبع الكتاب.

وجاءت الطبعة الثالثة لكتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح لسنة (٢٠٠٥) ضمن مجموعة كتب أخرى للمحاسبي، ومنها: كتاب الزهد، وكتاب المكاسب، وكتاب العقل، ويبدو أن الكتاب المطبوع ليس فيه أي وصف للمخطوطة أو للمصادر، وتبين أيضًا عدم وجود اسم للمحقق أو عن أي مخطوطة تم تحقيقها، وقد اكتفى الكتاب بوجود ختم فيه يوضح حقوق النسخ لمكتبة التحقيقات الإيرانية^(٢)، وبعد الاطلاع عليه قد تبين من الأخطاء اللغوية ومعاني الكلمات التي تم سردها بصيغة المؤنث أنها عن مخطوطة الأزهر أيضًا.

واتضح بعد تجميع المادة أن الكتب والمفردات في المناهج المتبعة لتحقيق مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح في جميع الكتب المطبوعة فيما سبق ذكرها كانت عن مخطوطة المكتبة الأزهرية، وقد شككت فارقًا كبيرًا بالمضمون والمحتوى بعد الاطلاع عليها والمقارنة بينها وبين مخطوطة مكتبة السليمانية من حيث الكلمات والأسماء والأعلام وإسناد الأحاديث؛ فقد وردت في الكتب كلمات وتُجمل كثيرة مشطوبة ومضافة بعيدة عن النص، وهنالك أخطاء في التقارب الزمني للحدث مع الرواية، ومن هذه الأخطاء :

(١) انظر: المسائل في أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي : ص ٢.

(٢) وهو مكتب تحقيقات دراسات إيرانية، وطبع الكتاب كان في بيروت.

انظر: المسائل في أعمال القلوب والجوارح والزهد والعقل والمكاسب. المحاسبي، ف.ح: خليل عمران: ص ٢.

♦ وَرَدَ اسْمُ: عبید الله بن الحسن التمیمی (١٦٨هـ) في مخطوطة السليمانية، وهو الاسمُ صحيح من ناحية اقتباس الحديث في عصر المحاسبي، ولكن في نسخة الكتب المطبوعة عن نسخة المكتبة الأزهرية قد جاء الاسمُ تحت مسمًى: عبد الله بن الحسين (٦١هـ)، وكانت صيغة الحديث في الكتاب تحت رواية (حدثنا)^(١)، وهذا الأمرُ جعل الرواية لا صحة فيها؛ لعدم التطابق الزمني بين المحدث والسامع للحديث، فيصبح الحديث مقطوعاً.

♦ عَدَمَ تكملة الأحاديث عند ذكر اسم: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب الطبعة الثالثة، رغم ورود الأسماء في مخطوطات السليمانية والأزهر^(٢).

♦ أخطاء في تسلسل سرد الأحاديث من حيث المعنى.

♦ شطبُ الكلمات^(٣).

♦ وجود تكملة في أسماء الأعلام عند بعض الكتب، علماً أنّها لا توجد في مخطوطة الأزهر ومخطوطة السليمانية. جاء اسم: الحسن في جميع الكتب المطبوعة (الحسن البصري)، وإبراهيم سمي (إبراهيم النخعي)، والمنكدر سمي (محمد بن المنكدر)، ومبارك سمي (عبد الله بن مبارك)^(٤).

♦ جاءت تسميات للمسائل وهي بدون اسم في مخطوطات مكتبة السليمانية والأزهر^(٥).

(١) انظر: مخطوطة مسائل أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣١. كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح والزهد. المحاسبي، ف.ح: خليل منصور: ص ٨٣.

(٢) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١١٤. كتاب أعمال القلوب والجوارح والزهد للمحاسبي، ف.ح: خليل منصور: ص ٧٨.

(٣) كتاب أعمال القلوب والزهد المحاسبي، ف.ح: خليل منصور: ص ٦٦.

(٤) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح: ص ١٣٣. كتاب أعمال القلوب والزهد المحاسبي، ف.ح: خليل منصور: ص ٥٧، ص ٥٩.

(٥) انظر: مخطوطة كتاب أعمال المسائل في القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٩. المسائل في أعمال القلوب والجوارح والزهد: ف.ح: خليل منصور: ص ٧٩. معاتبة النفوس. المحاسبي، ت:

• كتاب العلم:

حُقِّقَ وبصورةٍ علميةٍ جيدةٍ مع ضبطٍ للمصادر الأجنبية لسنة (١٩٧٥)، وقد ذُكِرَ منهج التحقيق، وكانت المخطوطة عن نسخة مكتبة ميلانو^(١).

• كتاب المسترشد:

تم تحقيق الكتاب سنة (١٩٦٤) وطبع تحت اسم رسالة المسترشدين، وقد أشار المحقق في الكتاب لمنهج التحقيق واستند على مخطوطتين، اتَّضَحَ أنَّ الأولى الأصلُ من مكتبة المحقق^(٢)، وأما الثانية كانت عن مكتبة الإسكندرية^(٣)، وقد تُرجمَ الكتاب إلى اللغة التركية باسم ((رسالة المسترشدين))^(٤) لسنة (١٩٧٨)، وطبع الكتاب الثاني جاء تحت اسم ((الأخلاق والفشل))^(٥) لسنة (٢٠١٠).

• كتاب المكاسب:

حققت المخطوطة لسنة (١٩٨٠) لم يذكر النسخ المعتمد في التحقيق^(٦).

محمد عبد القادر: ص ٢٥.

(١) انظر: مخطوطة العلم. المحاسبي، ت: عبد المزالي: ص ٣٢. تاريخ التراث ا. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٧.

(٢) ويتضح أن نسخته الشخصية بعد مقابلتها مع مخطوطة المسترشد هي نسخة مكتبة السلمانية. إسطنبول/ شهيد علي باشا رقم ١٣٤٥ عدد صفحات سبعة فقط، نسخت سنة ٨٠٠هـ.

انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠. رسالة المسترشدين. فتاح أبو غدة: ص ٩.

(٣) إن المخطوطة التي أشار إليها الشيخ فتاح أبو غدة بنسخة الإسكندرية تحمل رقم ٣٠٢٤.

انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج ٤، ص ١١٤. رسالة المسترشدين. أبو غدة: ص ٩.

(٤) انظر: رسالة المسترشدين. المحاسبي، تر: علي أرسلان، 1978، ISBN:5054014.

(٥) انظر: المسترشد (الأخلاق والفشل). المحاسبي: تر: رقية كراكوسا، SBN:6054214167، .

(٦) انظر: . الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٩. كتاب المكاسب للمحاسبي، ت: سعد كريم الفقهي: ص ١.

• كتاب الزهد:

قد تمَّ تحقيقه لسنة (١٩٦٩)، وكان بداخله نسخةً لكتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح المشار إليها فيها سبق، وأعيد طبعه مرةً ثانية لسنة (١٩٨٥)، ويتضح من المادة أنه طبع مرةً ثالثة لسنة (٢٠٠٥)، مع تغيير اسم الكتاب واستبدال بعض محتويات الكتاب ببعض كُتب أخرى^(١)، تُرجم إلى اللغة التركية لسنة (٢٠٠٦) تحت اسم دير الزهد^(٢).

• كتاب الوصايا:

جاء الكتاب تحت اسم الوصايا، وهي عن مخطوطة بخط مغربي وجاءت مختلفة في الاسم ومتشابهة بالمتن لمخطوطة النصائح في مكتبة السلمانية، تمَّ تحقيق وطبع الكتاب لسنة (١٩٨٦)، وقد شكّل محتوى الكتاب مع كتب وأبواب أخرى للمحاسبي^(٣).

• كتاب شرح المعرفة وبذل النصيحة:

حقّق الكتاب لسنة (١٩٩٣)، تمَّ فيه وصف منهج التحقيق والمخطوطة كانت عن المكتبة الأزهرية^(٤)،

قال المحاسبي: ((عملت كتاباً في المعرفة وأعجبت به، فبينما أنا أنظره مُستحسناً إذ دخل عليّ شابٌ وسَلَّم، وقال: يا أبا عبد الله هل المعرفة حقٌّ للحقّ على الخلق، قلت: حقٌّ للحقّ على الخلق، قال: هي أولى أن

(١) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص ٢. العقل وأعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ت: عبد القادر عطا الله: ص ٤٣. أعمال القلوب والجوارح والزهد. المحاسبي، ف.ح: خليل عمران: ص ١. التراث العربي: ج ٤، ص ١١٧.

(٢) انظر: الزهد (دير الزهد). المحاسبي، تر: عبد الرقيب ارسلان، ISBN:9750033957.

(٣) الاختلاف واضح عند المقارنة بين مخطوطة مكتبة السلمانية في إسطنبول وبختم وهي، كتبها الحاج حسن محمد الخروبي تحت رقم / بغداد ٦١٤. والمخطوطة المعتمد عليها التحقيق؛ فهي بخط مغربي ونقوش في الصفحة، نسخة كتاب الوصايا والصورة المرفقة عن المخطوطة.

انظر: كتاب الوصايا عبد القادر عطا: ص ٥. مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٥. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

(٤) انظر: مخطوطة شرح المعرفة. المحاسبي: ص ٣٧. تاريخ التراث العربي: ج ٤، ص ١١٧.

يَكشِفُهَا مُسْتَحَقَّهَا، قُلْتُ: بَلْ حَقٌّ لِلخَلْقِ عَلَى الْحَقِّ، قَالَ: هِيَ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَظْلَمَهُمْ، ثُمَّ سَلَّمَ وَخَرَجَ، فَغَسَلْتُه^(١)، وَقُلْتُ: لَا أَتَكَلَّمُ فِي الْمَعْرِفَةِ بَعْدَهَا أَبَدًا^(٢).

• فهم القرآن:

نَمَّ تَحْقِيقُ الْكِتَابِ لِسَنَةِ (١٩٧١)، كَانَ مِنْ ضَمَنِهِ كِتَابُ مَائَةِ الْعَقْلِ^(٣)، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُحَقِّقُ تَفَاصِيلَ الْمَخْطُوطَةِ، وَتُرْجِمَ إِلَى اللُّغَةِ التَّرْكِيَّةِ لِسَنَةِ (١٩٦٦)، (٢٠٠٤) وَبِنَفْسِ الْعِنَانِ^(٤). وَقَدْ جَاءَ تَأْلِيفُ الْكِتَابِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ^(٥).

• كتاب معاتبة النفس:

حُقِّقَ لِسَنَةِ (٢٠٠٣) وَذُكِرَ فِيهِ مِنْهَجُ التَّحْقِيقِ، وَكَانَتْ نَسْخَةُ الْمَخْطُوطَةِ مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ^(٦) وَاتَّضَحَ أَنَّ هُنَالِكَ تَشَابُهًا بَيْنَ مَسْأَلَةِ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ فِي مَخْطُوطَةِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ وَكِتَابِ مُعَاتِبَةِ النَّفْسِ^(٧).

(١) غَسَلُ: هِيَ غَسَلُ الشَّيْءِ إِزَالَةُ الْوَسْخِ وَنَحْوِهِ، وَتَأْتِي بِنَحْوِ ضَرْبٍ. وَإِذَا كَثُرَ ضَرَابُهُ وَلَمْ يَلْقُحْ. انظر: التعريفات الفقهية. محمد البركتي: ج ١، ص ١٥٧. شمس العلوم ودواء كلام. نشوان اليميني: ج ٨، ص ٩٨٩.

(٢) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية: ج ١، ط ٣، ص ٥٨٥. الطبقات الكبرى. للشعراني: ج ١، ص ١٣٨.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي: ج ٤، ص ١١٩. العقل وفهم القرآن. المحاسبي. ت حسين القوتلي: ص ٤.

(٤) انظر: العقل وفهم القرآن: ترجمة: فيسر أكد دوغان، ISBN:9753501390 2004. أحمد إيتاش، ١٩٦٦.

(٥) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٢٢.

(٦) انظر: تاريخ التراث العربي فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٨. معاتبة النفس. المحاسبي: ت: محمد عبد القادر: ص ٢٤.

(٧) انظر: أعمال القلوب. المحاسبي: ص ١٣٨. معاتبة النفس للمحاسبي: ت: محمد عبد القادر: ص ٢٤، ص ٢٢.

• كتاب مائة العقل ومعناها واختلاف الناس فيه:

تمّ تحقيقه لسنة (١٩٦٩)، ويذكر فيه نسخة المخطوطة من مكتبة الجزائر - عكا^(١)، وكان الكتاب يحتوي على كتاب أعمال القلوب والجوارح، وطُبِعَ وَحُقِّقَ من ضمن كتاب العقل وفهم القرآن^(٢) لسنة (١٩٧١).

• القصد الرجوع إلى الله:

حُقِّقَ سنة (١٩٨٢م)، وجاء من ضمن كتاب الوصايا، وقد أشار المحقق في منهج التحقيق وقال: إنها نسخة فريدة في مكتبة الشهيد علي^(٣)، وعند الاطلاع في مصادر المخطوطات في تركيا اتضح أنها من مكتبة جاز الله ونُحِتَ رقم (١٧٨٢)، ويوجد نسختين بتواريخ نسخ مختلفة في المكتبات التركية تحت نفس العنوان^(٤)، وترجم إلى اللغة التركية سنة (٢٠٠١) باسم / البحث عن الله^(٥).

(١) انظر: الزهد (مائة العقل). المحاسبي: ص ١٠٤. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٩٢. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٦. العقل وأعمال القلوب. ت: عبد القادر عطا: ص ٢٣٧. كتاب العلم. المزالي: ص ٢٧.

(٢) انظر: العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ٣. تاريخ التراث العربي: ج ٤، ص ١١٩

(٣) انظر: الوصايا (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٥٢.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ١، ص ١١٨.

(٥) البحث عن الله. المحاسبي، تر: عثمان آرب ISBN:9757105236 .

وقد جاءتْ بعضُ الأبوابِ والرسائلِ عند بعضِ المصادرِ العربيةِ والأجنبيةِ على أنَّها كتبٌ^(١)، وُبعدَ الاطلاعِ والتدقيقِ اتَّضحَ أنَّها أبوابٌ لمسائلٍ وليستْ كتبًا، وهي كما يلي:

• أحكام التوبة:

حُقِّقَ سنة (١٩٧٢م) ضمن مجموعة كتاب الإنابة لله، ولم يُشرح المنهج أو عن أي نسخة تمَّ التحقيق^(٢).

• دواء داء القلوب:

جاءتْ في بعضِ المصادر أنَّ النسخة مكان وجودها غير معروف^(٣)، واتَّضحَ أنَّها حُقِّقَت ضمنَ كتاب

آداب النفوس لسنة (١٩٩١)، وهي عن مخطوطة آداب النفوس^(٤).

• فهم الصلاة:

حُقِّقَ ضمن مجموعة كتاب الوصايا-النصائح، وأشار إلى نهج التحقيق، وهي عن نسخة مصورة من مكتبة جابر الله سنة (١٩٨٢م)^(٥).

(١) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٨. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٩٢.

(٢) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص ٥٢. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٨. (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر: ص ٣٥٥.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٩.

(٤) انظر: مخطوطة آداب النفوس. للمحاسبي: ص ٥٩، ص ٦٤. آداب النفوس. المحاسبي: ت: عبد القادر عطا: ص ٤٠.

(٥) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص ٥٢. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٨.

• فهم السنن:

وجدت في فهرس مخطوطة كتاب الخلوة والتنقل في العبادات ودرجات العابدين في إحدى أبوابها المدرجة في مصادر الكتاب^(١).

• مختصر المعاني:

هي مجموعة أبواب وردت ضمن كتب المحاسبي، وليس كتاباً منفصلاً كما أشارت بعض المصادر^(٢)، وقد جاءت تسمية الأبواب في الخوف واليقين والمعرفة والرجاء، وقد حُقِّقَت بعض الأبواب من ضمن كتاب الرعاية لسنة (١٩٣٦)^(٣)، وكتاب آداب النفوس لسنة (١٩٩١).

(١) انظر: مخطوطة الخلوة والدرجات بين العباد. المحاسبي: ص ١.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٩.

(٣) انظر: مخطوطة آداب النفوس. المحاسبي: ص ٦٧. كتاب آداب النفوس. المحاسبي: ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٥٢، ص ٧٦، ص ٨٩، ص ١٢٠. كتاب العلم. المحاسبي. المزالى: ص ٣٤. كتاب الرعاية لحقوق الله. المحاسبي، ت: مارغريت سميث: ص ٣٨٩.

انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٧. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

المخطوطات الغير مُحَقَّقة والبعض قد جاء بالمفقودة:

ظَهَرَتْ في البحوث والاستطلاعاتِ أَنَّ أغلبَ مخطوطاتِ المحاسبي المتواجدة في المكتبات العربية وفي تركيا وحتى الأوروبية قد جنى ثمارها في التحقيق المستشرقون في بداية مطلع القرن العشرين، وتَّضح ذلك بعدَ معاينة المصادر وربطها بالمخطوطات، ومن أهمَّ المخطوطات التي جاء فيها التباسٌ^(١) في التحقيق:

• مخطوطة البعث والنشور:

وُجِدَتْ هذه النسخة في مكتبة السليمانية ومتأثرة جدًا بالرطوبة والكلمات فيها غير مفهومة، ويبدو أَنَّ نَسْخَ المخطوطة جاءَ بخط اليد وليس تصويرًا عن الأصل، وتتكون المسألة من خمس عشرة صفحة مع غلاف كُتِبَ عليه لسنة (١١٠٤هـ)، وقد جاءت في بعض المصادر مفقودة^(٢)، واتَّضح أَنَّ الإمام الغزالي أفادَ منها في (الدرة الفاخرة)^(٣).

• مخطوطة التنبيه على أعمال القلوب في دلالة الوجدانية:

اتَّضح أَنَّها موجودةٌ في مجموعة كتاب الزهد، وقد جاء في نهاية باب العظمة^(٤).

(١) التباس: شك «أمر تقع عليه بعض الشُّبهات».

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار: ج٢، ص١١٦٢.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٧. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

(٣) الدرة الفاخرة. أبي حامد الغزالي: ص٣١. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص١١٩.

(٤) انظر: الزهد. المحاسبي: ص٢٨. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٦. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٥٣.

• مخطوطة العظمة:

لم يتم تحقيق هذه المخطوطة من ضمن كتاب الزهد رغم تحقيق الكتاب لأكثر من مرة، يبدو أن نسخة المخطوطة يتم تجاوزها عند التحقيق، أو لم ترد ضمن نسخ المحققين؛ والسبب أن جميع الكتب المحققة تم الاعتماد عليها من مخطوطات المكتبة الأزهرية^(١)، وبعد الاطلاع عليها يتضح أن مواضيعها في ردّ الفلاسفة الغربيين بطريقة علم الكلام، وهي عن نسخة مكتبة السليمانية - تركيا^(٢).

• المراقبة والمحاسبة:

وُجدت نسخة مصوّرة عن مخطوطة الأصل في مكتبة السليمانية تحت اسم (OZEL-632)، وهي من مكتبة دبلن والنسخة مكتوبة بخط اليد، والصحف الأولى تعرضت للتلف، عددها ست وأربعون صفحة^(٣)، ويشير في نهاية المخطوطة إلى «كتاب التفكير»^(٤).

• النصيحة للطالين:

وجاء اسم الكتاب متشابه مع أسماء كتب أخرى، مثل: كتاب الوصايا، ومخطوطة النصائح، وكتاب شرح المعرفة وبذل النصيحة التي وردت فيها سبق، ولكن يبقى الحدّ الفاصل في البتّ بالعنوان هو ملاحظة

(١) تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ص ١١٦.

(٢) انظر: مخطوطة كتاب الزهد. المحاسبي: ص ٢٥. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٨٢.

(٣) مخطوطة المراقبة والمحاسبة. المحاسبي: ص ٥، ص ٦، ص ٧.

(٤) نسخة: A، توجد في (Dublin. Chester Beate Library)، الجمهورية الأيرلندية، تحت رقم ٤٨٩٣، نسخة: B، توجد في مصر، مكتبة سوهاج، تحت اسم تصوف، رقم / ١٣٦، عدد صفحات ٢٠، نسخت سنة ١٠٢٣.

نسخة: C، مكتبة برلين، ألمانيا، تحت رقم ١٤٣٥، من (ص ١ ص ٧) عن مكتبة.

انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٨. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

المخطوطات الموجودة في جامعة أنقرة ومقارنتها مع الكتاب المحقق^(١).

• مخطوطة بلا عنوان:

توجد النسخة في المكتبات التركية^(٢)، نُسخَت سنة ٨٠٠هـ^(٣).

• مخطوطة في التصوف:

ذُكرت في بعض المصادر^(٤)، وقيلَ فيها كلماتُ التقشفِ لله تعالى، عددُها اثنان وعشرون صفحةً^(٥).

• مخطوطة محاسبة النفوس:

جاء اسم الكتاب متشابهاً مع أسماء كتبٍ أخرى، مثل: مُعابة النفوس وآداب النفوس، لكن يبقى الحد الفاصل في البتّ بالعنوان وهو مُلاحظة المخطوطات ومقارنتها مع الكتاب المحقق^(٦).

(١) نسخة: A، توجد في (Ankara University Saab Ankara Turkey) تحت رقم / ٣٣٩١. من (ص٢٣. ٣٦)، نسخت سنة ٧٣١هـ. نسخة: B، توجد في (Ankara University Saab Ankara Turkey) تحت رقم ٥٢٨١. من (ص١. ٨). نسخت سنة ٩٠٠هـ.

انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج٤، ص١١٨.

(٢) توجد النسخة في مدينة بورصة. تركيا، مكتبة الجامع الكبير تحت رقم / ١٤٢٨، من (ص٣٤. ٤٠).

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٨.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٨. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٥٣.

(٥) انظر: كشف الظنون. خليفة جلبي: ج١، ص٩٠٨. العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص٢٩. الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٦١.

(٦) توجد المخطوطة في: نسخة: A، توجد في المتحف البريطاني، تحت رقم ملحق ١٢٤٢، مخطوطات شرقية ٤٠٢٦/٣، من صفحة (٤. ٢٦)، سنة ١٠٢٤هـ. نسخة: B، توجد في مكتبة برلين تحت رقم ٢٨١٤، من (ص٨٠. ٨١).

نسخة: C من (ص١. ٧) كتبت بتاريخ ٨١٣هـ.

انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج٤، ص١١٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

أَمَّا عَنْ أَهَمِّ الْكُتُبِ الَّتِي مَازَلْتُ مَفْقُودَةً وَتَمَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ:

لا تزال المخطوطات المفقودة تشكل الأهمية الأوسع والأشمل؛ فهي تحتاجُ إلى بحثٍ وجهدٍ عالٍ من الباحثين للبحث والتحري عنها في المكتبات الأوروبية والتركية، وَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ:

♦ كَفُّ الشَّجَارِ مَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ كِتَابُ الدَّمَاءِ^(١).

♦ أَخْلَاقُ الْحَكِيمِ^(٢).

♦ كِتَابُ الْغِيَةِ^(٣).

♦ كِتَابُ التَّنْبِيهِ^(٤).

♦ كِتَابُ حُبِّ اللَّهِ^(٥).

♦ كِتَابُ التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ^(٦).

أَمَّا عَنْ اخْتِفَاءِ فِيهَا وَرَدٍ مُسَبِّقًا؛ فَهِيَ لَتَعَرِّضَ مِنْهَجَ وَفِكْرَ الْمُحَاسِبِيِّ وَمَنْ اتَّبَعَ نَهْجَهُ إِلَى انتقاداتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَدَارِسِ الدِّينِيَّةِ، وَكَانَتْ أَهَمُّ هَذِهِ الْأَسْبَابِ فِي اخْتِفَاءِ أَغْلَبِ الْكُتُبِ:

(١) انظر: التهذيب. لابن حجر: ج ٢، ص ١٣٥. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص ٣٤.

(٢) انظر: مخطوطة كتاب أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٤١.

(٣) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج ٢، ص ٢٧٣.

(٤) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج ٢، ص ٢٧٣.

(٥) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج ٢، ص ٢٧٣.

(٦) مخطوطة المحاسبة والمراقبة. المحاسبي: ص ٤٣.

أولاً: موقف مدرسة المحدثين من مدرسة الفقهاء، إذ أنَّ المعروف عن المحدثين ضيق صدرهم بكلِّ من يخرج عن الحديث ولو قليلاً عن إسنادهم، يبدو أنَّ الإمام أحمد شدَّد بالتنكيل فيمن يتكلَّم بعلم الكلام في عصره، والحارث يتكلَّم فيه؛ لذلك يمكن الاستنتاج عن مبررات الخلاف والعزلة بينه وبين الإمام أحمد^(١).

قد جاءت قضية الشيخ المحاسبي والإمام أحمد بالكثير من التأويل والحديث وفيها التباسٌ عند بعض الكتب، وبالأخص بعد القرن الثالث الهجري، فهناك مؤلفات كثيرة ضدَّ علم الكلام والجدل والزهد^(٢)، ولهذا السبب أصبحت جميع رسائل العلماء الذين اتبعوا نهج المحاسبي، ومنهم الإمام الغزالي، في محل نقد دائم حتى الوقت الحاضر^(٣)، ورغم ذلك فقد أصبحت تعاليم المحاسبي في علم الكلام ذات تأثير كبير^(٤).

ثانياً: اضطهاد المعتزلة للصوفية والذي كان معروفاً عنهم مقتهم لناهج الجدال بالسنة النبوية والوعظ بالقرآن، ولأنَّ المحاسبي من الفقهاء ومتصوِّف الطباع^(٥)، قد كان أشدهم براعة وأمتهم كلاماً في الرد على المعتزلة^(٦).

ثالثاً: أنَّ التأثيرات السياسية وتداخلها في نهج العلماء قد بانت واضحة في مدينة الخلافة بغداد في عصر المحاسبي ومنهجه الرافض والمستمتر في انتباء المدارس الدينية لعطف الخلفاء وسياستهم في الحكم الذي كان يتجسّد في تدمير منهج المدارس المعارضة لسياستهم^(٧). وينبغي الإشارة

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٣.

(٢) انظر: تلبيس إبليس. عبد الرحمن الجوزي: ص ٤٩، ص ٨١، ص ٨٣، ص ١١٦، ص ١٢١، ص ١٣١.

(٣) انظر: المآخذ العقائدية على كتاب الإحياء: ص ٥٠.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى. الشعرائي: ج ٢، ص ٢٧٥. تاريخ بغداد. الخطيب: ج ٨، ص ٢١١.

(٥) انظر: بدء من أناب لله. المحاسبي ت: مجدي فتحي: ص ١١.

(٦) انظر: الملل والنحل. الشهرستاني: ج ١، ص ٣٧.

(٧) انظر: إحياء علوم الدين. الغزالي: ص ٣٩. مروج الذهب. للمسعودي: ج ٤، ص ٤٤.

إلى صدقِ حَدسِ المحاسبي في أغلب المصنفات أنَّ النزاع سيستمرُّ ما بَيْنَ
الفرق الإسلامية حين قيام الساعة^(١).

❖ كان المحاسبي صدوقًا مع نفسه باحثًا عن العلم، وحتى بعد أن
نقموا عليه بعض زهده ونهج تصنيف كتبه يبدو أنه أوَّل متصوِّفٍ
مُتبع للسُّنَّة تتضح فيه ثقافة كلامية متكاملة، فهو القائل: ((فتح الله
عليه علمًا اتَّضح لي برهانه، وأنار لي فضله، ورجوتُ النجاة وجعلته
أساسَ ديني، وبنيتُ عليه أعمالي))^(٢).

□

(١) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢.

(٢) انظر: كتاب الوصايا للمحاسبي: ت: عبد القادر أحمد: ص ٢٠. العقل وفهم القرآن: ت: حسين
القوتلي: ص ٢٥.

((كُلُّ زَاهِدٍ زُهْدُهُ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ، وَمَعْرِفَتُهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ، وَعَقْلُهُ
عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ إِيْمَانِهِ))^(١)

الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ .

(١) انظر : الكواكب الدرية في طبقات الشافعية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٧.





بعد عناء كبير ما بين الكتب والعناوين المتشابهة والمخطوطات في المكتبات العربية، والتي جاء فيها تسميات لأبواب بَدَل العناوين الرئيسية للكتب، وجاءت أخرى بتسميات حسب رغبة المحقق، وعدم دقة بعض المصادر في وصف كتب المحاسبي، والتي كانت سبباً لفتح المجال أمام المحقق بالاجتهاد بتسميات المسائل والأبواب مما يخالف مضمون المخطوطة؛ فيكون من الصعوبة على الباحث أن يختار موضوع المخطوطة؛ لينجز البحث من خلال العناوين.

بدأت المشوار بصعوبة، وكانت الوجهة الأولى في البحث عن مخطوطات المحاسبي في تركيا، ونقطة البداية مكتبة السلمانية في إسطنبول، وبعدها اتجهت لمكتبة الجامع الكبير في بورصة، ومكتبة جامعة إسطنبول والمكتبة المركزية الحكومية للمخطوطات في شارع بايزيد، وقد استغرق البحث شهراً ما بين المكتبات، وأخيراً وجدت مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح^(١) في مكتبة السلمانية - إسطنبول -، وحتى لا أقف عند التسميات الخاطئة في العناوين من الكتب والمصنفات اجتهدت بشراء جميع النسخ لمخطوطات المحاسبي من المكتبات التركية^(٢).

وبعد دراسة المخطوطة اتضح من مادة الموضوع أن مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح كانت خلاصة لفكر المحاسبي في الرد بعلم الكلام بمواضيع الصمت والكلام في الوعظ، والجِدال في أسباب الدنيا^(٣)، ويبدو أن المدّة الزمنية لكتابة هذه المخطوطة كانت في الربع الأخير من

(١) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٦. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٥. الفهرست. ابن خير الإشبيلي: ج ٢، ص ٣٣٦. طبقات الأولياء الأصفياء. الأصفهاني: ج ١٠، ص ٩٩.

(٢) انظر: مخطوطة كتاب الزهد. المحاسبي: ص ٥. مخطوطة الإنابة إلى الله. المحاسبي: ص ٢٠. مخطوطة النصائح: ص ٢.

مخطوطة المسترشد: ص ٢٤. مخطوطة المراقبة والمحاسبة. المحاسبي: ص ٥. مخطوطة الرد على بعض الأغنياء. المحاسبي: ص ٢١٧. مخطوطة فهم القرآن ومعانيه. المحاسبي: ص ٨٣. مخطوطة الرعاية لحقوق الله. المحاسبي: ص ٢.

(٣) مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣١، ص ١٣٥.

حياة المحاسبي^(١)؛ لورود المسائل فيها كرد صريح ومباشر على منهج كلام
الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي (٢٥٢هـ).

(١) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٧٤. العقل وفهم القرآن للمحاسبي: ت: حسين
القوتلي: ص ٣٢.

تفاصيل مخطوطة جامع السلیمانیة -الأصل-

كُتِبَ على غلافها مِنْ كلام أبي عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري رحمة الله عليه، وفيه باب من الخلوة وما يستفاد بها مِنْ وجوه المنافع في الدين، وجاء الختم على الغلاف مُشابه مع الختم الموجود في نهاية الكتاب، وهامش بخط اليد وَرَدَ فيه من اللطف على عبد الله ولي الدين جار الله^(١) مِنْ كُتِبَ: أبي محمد بن رستم لعبد محمود السرفلي^(٢).

وكانت نسخة المخطوطة ضمن مجموعة كُتِبَ أخرى لمخطوطات المحاسبي ضمن كتاب الزهد^(٣)، تمَّ نسخُ المخطوطة سنة (٥٢٣هـ)، والورق فيه أصفر اللون، وجاء كتابُ المسائل في خمسة عشر مسألة في اثنين وثلاثين صفحة، أمَّا تسلسل أرقام الصفحات في الكتاب يبدء: (ص ١١٤-١٤٦). والتسلسل الرقمي فيها يشمل صفحتين متجاورتين، وكل جزء من الصفحة يحتوي على عشرين سطرًا، ويتألف السطر مِنْ أربعة عشر كلمة، وطول الصفحة (٢٦سم)، أمَّا عرض الصفحة (٣٦سم)، وجاءت الكلمات بخط واضح في بداية المخطوطة، وفي الربع الأخير يسوء خط النسخ بسبب تداخل الحروف وتداخل الجمل فيها بعضها مع بقاء المفهوم للمعنى.

(١) وهي مكتبة لأحد رجال تصنيف الكتب في إسطنبول الذين عملوا على التصنيف والبحث عن المخطوطات في عاصمة الدولة العثمانية. إستنبول. ويعتبر أن أستاذه تلميذ المؤرخ والأديب الحاج خليفة جلبي، وقد سعى جار الله أفندي مع السيد النبهاني في تبويض مسودة كتاب كشف الظنون والفنون للحاج الجلبي بعد وفاته ١٠٦٧.

انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. الجلبي: ج ١، ص ٩.

(٢) هو: الخطاط فخر الدين بن محمد بن رستم البغدادي ٥٤٩هـ، وهو نفس الناسخ لمخطوطة الرعاية في حقوق الله، المتواجدة في بورصة، بعد الاطلاع عليها ومطابقة اسم الناسخ.

انظر: الوافي بالوفيات: ج ٢٢، ص ٣٢٩.

(٣) مخطوطة المسائل في الزهد. المحاسبي: ص ١١٤.

أما وصفُ الصفحةِ الأولى من مخطوطة المسائل في أعمال القلوب
والجوارح بدأت بعبارة:

«بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم، قال: أبو عبد الله الحارث بن
أسد بن عبد الله المحاسبي رحمه الله مسألة في الحسبة في إدخال السرور على
المؤمن.»

وتنتهي المخطوطة عند مسألة التذوُّر، ويذكر فيها: «تمَّ كتابُ المسائل
في أعمال القلوب والجوارح للمحاسبي، والحمدُ لله حقَّ حمده وصلواته
على سيدنا محمد نبيه وآله وسلَّم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وذلك في
العشر الأول من المحرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة.»

وَجَاءَ خَتَمُ آخِرٍ فِي نِهَآيَةِ الْمَخْطُوطَةِ يُشِيرُ إِلَى مَكَانٍ إِيدَاعِهَا وَهِيَ:
(مكتبة وليِّ الدين جَارِ اللَّهِ فِي إِسْطَنْبُول)^(١).

(١) قال فيها: وقف هذا الكتاب أبو عبد الله، والي الدين جَارِ اللَّهِ، بشرط أن لا يخرج من خزائن
بناها جامع محمد نجيب سلطان القسطنطينية، سنة ١٠٧٢هـ، وهو نفس الختم في مقدمة كتاب
الزهد.

انظر: مخطوطة الزهد - المحاسبي: ص ١١٣.

تفاصيل مخطوطة المكتبة الأزهرية -الأزهر-

وُجِدتْ مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح في مكتبة الأزهر الشريف بالقاهرة تحت اسم: تصوّف، رقم تسلسل / ١٣٦٧ لعدد صفحات بلغت (٧٩)، ابتدأت بصفحة رقم (٩١) وتنتهي بصفحة (١٧٠)، واتضح أنّها عن مكتبة الأحمديّة -أحمد باشا الجزار- عكا، وهي عن المكوّن البغداديّ كوثيق.

ويبدو أنّ الصفحات فيها بلون أبيض وهي مصورة عن الأصل، وكانت طول الصفحة (١٦ سم) وعرض الصفحة (١٨ سم)، ومسطرة بواقع (٢٠) سطرًا في الصفحة الواحدة، ويتكون كل سطر من إحدى عشر كلمة^(١)، وكانت المخطوطة في مكتبة الأزهر ضمن مجموعة من كُتُب ورسائل أخرى مصورة قد تمّ نسخها في القرن السادس الهجري، والمخطوطة جاءت بخط غير واضح، وكان لدى الناسخ أخطاء كثيرة، وعلى سبيل المثال منها تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، والتأخير والتقديم بالكلمات، ولم يضع الناسخ عنوانًا للمخطوطة والمسائل فكتبها بنسق واحد^(٢)، وقد أثّرت فيها الرطوبة تأثيرًا بالغًا من حيث عدم وضوح الكلمات وتسلسل أرقام الصفحات، وجاءت بعض الصفحات غير متشابهة من كثرة الضرر، أمّا تسلسل المخطوطة بالكامل فقد ابتدأ من صفحة (٤٣) وانتهى في الصفحة (٢٥٩)، وجاءت أول مسألة فيه عن الزهد،

(١) انظر: معهد المخطوطات العربية الشنطي: ص ١٩٢. تاريخ الأديب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٥. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٣.

(٢) إشارة عبد القادر عطا الله وصف المخطوطة في كتابة الإنابة والعودة إلى الله. وحسين القوتلي في كتاب العقل وفهم القرآن. وعابد المزالي في كتاب العلم للمحاسبي.

انظر: كتاب الوصايا (الإنابة والعودة إلى الله). المحاسبي: ت: عبد القادر: ص ٤٥. العلم. المحاسبي ت: المزالي: ص ٢٧.

كتاب العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ٧.

وَجَاءَتْ بَعْدَهَا فِي التَّسْلِسِلِ مَخْطُوطَةُ الْمَسَائِلِ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ،
أَمَّا مَخْطُوطَةُ الْمَكَاسِبِ جَاءَتْ الثَّالِثَةُ، وَالْإِنَابَةُ لِلَّهِ وَمَسْأَلَةُ الْعَقْلِ الرَّابِعَةُ^(١).

(١) كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص ٢٧. الإنابة إلى الله. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٤٤.

منهج التحقيق والمقابلة ما بين
نسخة الأصل ونسخة الأزهر:

إنَّ عمليةَ نهج التحقيق استندتْ على مخطوطة مكتبة السلليانية، وقد سُميت -بالأصل-، وجاء اختيارها لعدة أسباب وكما يلي:

- وضوح المخطوطة.
- النسخة الأقدم حسب المقارنة بتاريخ النسخ.
- تحتوي على تفاصيل أكثر من حيث اسم الناسخ وسنة النسخ ومكان وجود المخطوطة.

جاءت البداية بدراسة وتحديد المنهج المتبع في المخطوطة، واتَّضح أنَّها نصائحٌ قُدِّمتُ للمريدين على شكل مسائل؛ لذلك سُميت (المسائل في أعمال القلوب والجوارح)، وقُدِّمها المحاسبي في أسلوب شرح آيات القرآن الكريم بطريقة الوعظ^(١) وبجمل كلامية رقيقة، ولم يختلف أسلوبه في الوعظ عن نهج كُتبه الأخرى، وجاءت في جميع المسائل على شكل سؤال وجواب؛ لتمكين المريدين في إيجاد الطريق الصحيح لفكرة فهم الجمل والوصول للمنهج المقصود.

ويبدو أنَّ جميع المسائل اتخذت منهج الوعظ بإسناد آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وتُبيِّن معاني الكلمات في النصوص على المفهوم الفقهي الظاهر من الآيات وتفسير الباطن منها بين الحد والمطلع^(٢).

(١) الوعظ: تنكير بخير فيما يرق له القلب وزجرٌ بتخفيف.

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل. الكجراتي: ج ٥، ص ٦٦٠.

(٢) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٤٥.

بلْ واتَّخَذَ التسلسلَ الموضوعي فيها، وهذا يدلُّ على إدراكِ المحاسبي بإسنادِ كلماتِ الوعظِ بآياتِ القرآن الكريم وتفسيره على نهجِ الأحاديث والأثر.

اتضح من المادةِ عن الموضوع أنَّ مخطوطةَ المسائل في أعمال القلوب والجوارح من نفائس^(١) الكتب -من حيثُ المواضيع والفكر-، لقد اتخذَ المحاسبي من القرآن والسُّنة النبوية نهجًا في الوعظ والجدل بالكلام، وأسندَ جميع الكلام بالأحاديث في أغلب النصوص وبأعلى مراتب الرواية وتحت صيغة «حدَّثنا» ويسندُ من شيوخه الذين تتلمذَ على علمهم في: البصرة، واسط، بغداد، الكوفة، المدينة المنورة.

ومَّا وَرَدَ أعلاه كان لابدَّ من دراسة المسائل في المخطوطة بشكل مكثف، ومن ثَمَّ الرجوع إلى تفسير آيات القرآن الكريم عند أغلب المواضع للوصول إلى فكرة علم الكلام عند المحاسبي، وجاءت المرحلة الأولى في الدراسة في عدَّة خطوات، وهي كما يلي:

- قراءة المخطوطة.
- كتابة المتن.
- تخرِيج آيات القرآن الكريم.
- تخرِيج الأحاديث والروايات.
- التعريف بالأعلام.
- إعطاء معاني الكلمات.
- قراءة كلام المحاسبي وفكره بمؤلفاته الأخرى.
- مقابلة مخطوطة السليمانية -الأصل- مع مخطوطة المكتبة الأزهرية -الأزهر-.

(١) نفائس: أي كرائم. وتقدر بالمال الوفير.

انظر: التعريفات الفقهية. البركتي: ج ١، ص ١٨١.

وجاء العمل عند مقابلة مخطوطة الأصل مع مخطوطة الأزهر في عدة نقاط، وكما يلي:

- تمّ الاعتمادُ على نسخة الأصل؛ بسببِ بلاغة النصّ وأقربها إلى الصواب في المعنى.
- اتُّخذَ منهجُ النقل المباشر من مخطوطة الأصل للحفاظ على النص بدون أيِّ إضافات.
- تمّ العملُ على ضبط مفهوم الكلمات وضبط النصوص في داخل المتن^(١).
- العملُ على التعويض من مخطوطة الأزهر بكلمات جاءت ناقصة في مخطوطة الأصل، وتمّ الإشارة لها بالهوامش^(٢).
- وردت بعض النصوص والكلمات خارج المتن على جوانب صفحات مخطوطة الأصل مع وجود إشارة لها داخل المتن تشير إلى مكان النصّ والكلمات، وقد تمّ إدخال الكلمات والنصوص حسب الإشارات وبما يناسب المعنى في المتن، وقد تمّ التحقق والتأكد من صحة النصوص عند المقابلة^(٣).
- تم ضبط الكلمات بالمعاني عند تخريجها من النصوص، وتبيّن أنّها جاءت ببلاغة القرآن الكريم، وهذا أسلوبٌ ينفرد به المحاسبي في اختيار الكلمات والنصوص عند الوعظ والتفسير في تصانيفه.

(١) متن: الميم والثاء واللون أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على صلابَةٍ في الشيء مع امتدَادٍ وطولٍ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد الرازي: ج ٥، ص ٣٩٤.

(٢) انظر: مسألة الحسبة ص ١١٦، مسألة إسرار العمل ص ١١٨. مسألة نظرة الفجأة ص ١٤٤.

(٣) الكلمات المضافة على المتن، هي (يقول، فهو، من الرجال، على، يستحسن، السود من، قلبه، الذي، من، قد، أراه قد بقي منه فقد تأدب بأدب الله عز وجل، فخر ساجداً، قال.

انظر: مسألة الحسبة ص ١١٦. مسألة الشهرة: ص ١١٩. مسألة فيمن أمّ قوماً: ص ١٢٣. مسألة إزالة الخوف: ص ١٢٦. مسألة في النواقل: ص ١٢٧. مسألة الصمت والكلام الوعظ: ص ١٣٤.

• إهمال الإشارات والتنقيط فوق الحروف في المخطوطة، وذلك بسبب الحفاظ على المعاني والصفات والأفعال داخل النصوص، ولعدم الوضوح أيضاً.

• اتخذت المخطوطتين عند النصوص مسارين مختلفين في المعنى؛ فعند نسخ الأزهر دلت صفة التأنيث للأفعال والصفات عند النصوص. وعند نسخ السلمانية دلت على صفة المذكر للأفعال والصفات^(١)؛ لذلك تم التأكد من الحركات في معاني الكلمات.

• اتضح أن نسخ مخطوطة الأزهر من أصول غير عربية وسكن القاهرة، وذلك بسبب معاني الكلمات المختارة لديه؛ لذلك تمت المقارنة بين الصفات والكلمات التي وردت في المخطوطتين عند المقابلة للخروج بكتابة المعنى الصحيح في المتن.^(٢)

• جاءت بعض معاني الكلمات بتشديد المعنى في النص عند نسخة الأصل، والمادة المعروفة عن المصنف تُبرر أن الخطأ جاء عند النسخ بسبب التكرار في الكلمات ذات معنى واحد في النصوص^(٣).

• وأخيراً اتصف منهج تحقيق المخطوطة بالاعتماد على نص وكلمات واضحة المعنى في البلاغة في كلا المخطوطتين عند المطابقة؛ ليتمكن القارئ الوصول بسهولة للمفهوم الفكري دون أي تشتت ذهني أو فكري قد يكون بسبب النسخ أو التحقيق.

(١) لكلمات هي: (وهو/ وهي، تستوجب/ يستوجب، رأى/ رأت) وقد وردت هذه الملاحظات منفصلة في المسائل.

انظر: إزالة الخوف: ١٢٥. إسرار العمل: ص ١١٨. مسألة معرفة النفس: ص ١٣٨. ومسألة النذور: ص ١٤٥.

(٢) رضى يكتبها رضا، وهو يعني الاسم وليس فعل. كما يلاحظ في إيجاز الكلام. ووردت أيضاً كلمة أخرى، مجاورتهم وهي. من الجيرة. في اللغة المصرية، علماً أن معنى الكلمة في المتن حسب الجملة يجب أن تكون محاورتهم وليس مجاورتهم.

انظر: مسألة بدون عنوان: ص ١٢٩.

(٣) الكلمات مثل (تبجيل/ تعظيم، وشجون / حزن) .

انظر: مسألة فيمن أمّ قوما ولزم قلبه الحذر: ص ١٢٣، ص ١٢٤.

عندَ المقابلةِ أيضًا وَجَدَتْ كلمات ونصوص ناقصة كثيرة في مخطوطة الأزهر وفي الكُتُب التي حَقَّقَتْ عنها طيلة الأعوام الماضية مما جاءَ فيها بنقص المعنى وتغيرِ مفهوم النصوص، علماً أنَّ النصوص موجودة في مخطوطة مكتبة السليمانية -الأصل - وهي كما مدرج أدناه :

- (أَنْ يَكُونَ قَدْ سَخَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ فَمَا دُونَ عِزَّةِ اللَّذَّةِ أَكْثَرُ فِي قَلْبِهِ مِنْ إِصَابَةِ اللَّذَّةِ)^(١).
- (كالرجلين إلى جانب أو كما يسير أو غير ذلك)^(٢).
- (ومن ذلك ما روي عن وائل بن حجر أنه رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، عليهم البرانس^(٣) ولا يتتقد العامة زيهم وفعلهم، وهو قول إبراهيم: البس من الثياب ما لا يزدريك السفهاء ولا يشهرك العلماء؛ فهو لباس كل زمان في علمائهم وعامتهم)^(٤).
- (قد تزكّه نفسه على ذلك)^(٥).
- وقال بني تميم: (وأبيك إنَّ خطيبه أخطب من خطيبنا، وإنَّ شاعره أشعر من شاعرنا فذمَّ بعض البيان)^(٦).
- وقال: (ويعترني من الإفراط آفات كثيرة، فإذا أسلم الكلام من جميع الآفات وَوَجَدَ بِقَوْلِهِ مَوْضِعًا وَأَمَلًا فَأَمِلَ الْمُنْفَعَةَ لَهُمْ جَاءَ بِقَوْلِهِ لِكَافٍ مع ذلك)^(٧).

(١) انظر : مسألة إسرار العمل : ص ١١٩ .

(٢) انظر : مسألة الشهرة : ص ١١٩ .

(٣) البرانس : قلنسوة طويلة، وكان الزهاد يلبسونها في صدر الإسلام .

انظر : لسان العرب . ابن منظور : ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

(٤) انظر : مسألة في الشهرة : ص ١٢٠ .

(٥) انظر : مسألة في الشهرة : ص ١٢١ .

(٦) انظر : مسألة في الكلام والوعظ : ص ١٣٣ .

(٧) انظر : مسألة في الكلام والوعظ : ص ١٣٤ .



ملخص المسائل

تتلخّص المسائل في أعمال القلوب والجوارح في خمسة عشر مسألة، وكما يلي:

♦ مسألة في الحُسبة في إدخال السرور على المؤمن: قلتُ كيف الحُسبة....

وفيها كيفية إدخال السرور على المؤمن، ويكون ذلك في عدّة طرق، أولها الزكاة مع العمل بصدق النية وشروط الثواب المقدم، وقد أسند كلمات الوعظ بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة مع شرح موجز لبعض آيات القرآن الكريم وفيمن أنزلت، وقد وصف المحاسب رحمة الله: (أن من أدخل السرور على المؤمنين منزله منزلة الصّديق والأبدال^(١) في عبادة الله).

♦ مسألة في إسرار العمل: قلتُ كيف الإسرار بالعمل.....

حدّث فيها عن أنواع الإسرار في العمل، ومنها أعمال الجوارح وما يخصّ القلوب، وكيف يكون العمل بها لله، وماهي أوجه استواء الأعمال ما بين السرّ والعلانية معتمداً على عمل الجوارح والقلوب في النية، وكيف يكون الأجر عند المؤمنين الصادقين، وهي مسألة جاءت من النهج النبوي الشريف (أنّ العبد إذا أظهر العمل بجوارحه استوت سريره وعلانيته).

(١) الأبدال: وهو يدل الشيء بديله أو جاء خلفاً له، ويأتي المعنى في أمم الخلفاء والأنبياء والرسل، وهم أرباب حقائق التوحيد.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٤، ص ٢٣١.

♦ مسألة في الشهرة^(١): قلتُ ما الشهرة....

وَرَدَ فِيهَا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَيْئَةُ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، وَمَا هُوَ اللَّبَاسُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَتَقَلَّدَ بِهِ حَسَبَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ وَلِبَاسِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَا يَجُوزُ مِنْهَا وَمَا نَهِيَ عَنْهَا وَالْأَسْبَابُ، وَقَدْ أَسْنَدَ الْمُحَاسِبِيُّ الْمَسْأَلَةَ بِأَحَادِيثٍ وَأَقْوَالٍ لِلتَّابِعِينَ، وَقَالَ فِيهَا: (أَنَّ الشَّهْرَةَ تَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْأَزْمَنَةِ لَا عَلَى قَدَرِ الْفِعَالِ).

وَأَسْنَدَ الْوَعْظَ بِالْمَسْأَلَةِ أَيْضًا بِمَلْبَسِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي الزَّهْدِ وَزِيَّ الشَّهْرَةِ لِبَعْضِهِمْ، وَقَدْ وَضَعَ الْحَدَّ فِي قِيَاسِ التَّصَنُّعِ مَا بَيْنَ الشَّهْرَةِ وَالْوَرَعِ وَأَفْعَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ عِنْدَ التَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لِلْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي الْمَلْبَسِ.

♦ مسألة فيمن أمَّ قومًا فالزم قلبه الحذر: قلتُ: فما يقول في رجل يؤمُّ القوم.....

اِحْتَوَتْ الْمَسْأَلَةُ عَلَى مَعَالِجَةِ رِيَاءِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَوَجَّهَ لِلصَّلَاةِ، وَشُرُوطُ إِمَامِ الْجَمَاعَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَكَيْفَ يَتِمُّ النِّجَاةُ مِنَ الْوَسْوَاسِ الَّذِي يَدْرُكُ الْإِمَامَ فِي الصَّلَاةِ، وَشُرُوطُ الْوَاجِبِ تَوَافُرُهَا فِي دَوَافِعِ الْإِمَامِ عِنْدَ الْبَدْءِ بِالصَّلَاةِ، وَقَدْ شَرَحَ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ مُسْتَنَدًا بِالْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ، وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ: بِسَنَدِهِ لِلْحَدِيثِ «لِكُلِّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ»، أَمَّا ظَاهَرُهَا: فَتَلَاوُتُهَا، وَبَاطِنُهَا: فَتَأْوِيلُهَا، وَأَمَّا حَدُّهَا: فَمُنْتَهَى فَهْمِهَا، وَمَطْلَعُهَا: فَمَجَاوِزَةُ حَدِّهَا بِالْغُلُوِّ وَالتَّعَمُّقِ وَالفُجُورِ وَالْمُعَاصِي. وَعَالَجَ مَسْأَلَةَ الْخَوْفِ فِي تِلَاوَةِ الْآيَاتِ عِنْدَ الْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَقَدْ أَسْنَدَتِ الْمَسْأَلَةَ بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ.

(١) المسألة فيها أحاديث ومقاطع كلامية قد تم ذكرها في كتاب الرعاية لحقوق الله للمصنف رحمه الله.

انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله. مارغريت سميث: ص ٣٧٥.

♦ مسألة في إزالة الخوف^(١): قلتُ ما الذي يزيلُ الخوفَ.....

وهي مسألة معالجة وإزالة الخوفِ والوقوفِ على العلة الحقيقية للخوفِ، وكيف يتم السيطرةُ عليه، وتمثلُ بصفات المريدِين عند الوقوع بالخوفِ والأسباب التي تؤدي إلى الخوفِ ومعالجتها، وذكر في المسألة مواعظَ لقمان الحكيم لابنِهِ، وقد أسند جميع النصوص إلى الأحاديث وآيات القرآن الكريم.

♦ مسألة في النوافل: وقال: جميع ما تطوَّعَ به العبد.....

شرح فيها المحاسبي رحمه الله النوافل، وكيف يتم التعويض عنها في نقص الفروض، وقال: (وهي ست خصال تكفيراً للسيئات وتكميل للفرائض وتجريداً للقلوب). مستنداً بالأحاديث، وشرح فيها أيضاً بعض أقوال الصحابة رضي الله عنهم في العمل المحبب لله وبعض ما روي عنهم من الأعمال الصالحة، ودرج فوائد الذكر والحزن الذي وصفه أنه عبارة للقلب، وجاء بالأحاديث وآيات القرآن الكريم وفوائد الذكر والحزن، وشرح أيضاً ما يجب أن يكون من ليس المصلي في الصلاة وطريقة الغسول بعد الجنابة وهي الصلاة (ركعتان) حسب ما جاء في السنة النبوية، وذكر أيضاً صفات المتحابين في الله ومنزلتهم في ارتفاع الدرجات عند الله عز وجل.

♦ مسألة من أعمال القلوب^(٢): قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أوجبَ حقوقاً في القلب.....

تكلم الشيخ في هذه المسألة عن حقوق الله على العبد في أعمال القلوب وليست أعمال الجوارح، وقد تم تقسيمها إلى ثلاثة حقوق: (اعتقاد الإيمان، واعتقاد السنة، واعتقاد الطاعة)، ووصف الحقوق تفصيلاً وما

(١) المسألة جاءت في كتاب آداب النفوس على شكل باب. قال المصنف فيه: (الخوف يكون على قدر الذنوب).

انظر: مخطوطة آداب النفوس. المحاسبي: ص ٦٨.

(٢) الأصل: ليس لها عنوان.

يحبُّ على العبدِ العملُ به في سبيلِ الوصولِ إلى حقوقِ الله في قلبه، وتكلَّم عن حكمةِ عَظْمَةِ الخالق عزَّ وجلَّ من الخلق، وقد وَرَدَتْ أيضًا رسالة الكلثوم بن عمرو العتابي الشاعرِ الواعظِ الأديبِ في عصره المقرب لدى الخليفة وهو يقدِّمُ له النصَّح بما يرى ويدورُّ في دهاليز الحكم العباسي^(١)، وتُبيِّن الرسالة المنهج الواضح الذي وصل إليه المحاسبي من الزهد والثبات على نهج فِكْرٍ وعِلْمِ الكلام بالوعظ، وقد عُرف عن العتابي بالناقدِ الصريح في مجالس العرب ومجالس الخليفة العباسي دون خوف، فيقول في نصِّح المحاسبي: اعْلَمْ أَنَّ الاحتراسَ من النَّاسِ عقلٌ حاضرٌ؛ فاحترسْ مِنْ سَلَكِ طريقِ الجهلِ فإنك تَغْنَمُ، وإياك ومُحَالِطَتِهِمْ فإنك تَنْدُمُ، والعزلةُ شرفٌ ورين، واشتهر العتابي بقصيدة في رثاء سيدنا عثمان رضي الله عنه^(٢).

♦ مسألة في الصمت والكلام في الوعظ والبلاغة: قلت: الصمت أفضل أم الكلام.....

هذه المسألة جاءت عن الخوض في الحكمة والكلام والتأويل، وفيها الرَّدُّ على أسلوب التأويل ومتى يكون السكوت واجبًا، أمَّا إن كانت من دافع النفس فهي فتنة، وجاء فيها متى يكون الرَّدُّ من الحكمة في الدفاع عن القرآن والسنة النبوية، بشرط أن تكون بلاغة اللسان بنهج القرآن والسنة النبوية، فقال: (فهو بيان عن الحق إن كان بدون تشقيقٍ وعَدَمِ الإسرافِ بالكلام؛ لأنَّ الكلامَ المسرفَ تضييعٌ للحق).

وتعتبر هذه المسألة هي قلب المسائل في مخطوطة أعمال القلوب والجوارح؛ ففيها البلاغة العربية في الكلمات بفارق نقطة؛ حيث وُجِدَتْ في كلمة (الغي، والعَي) والتي يتضح أن المصنف رحمه الله استخدمها لبيان الفرق بين -الفلسفة والحكمة- لمعنى

(١) انظر: مروج الذهب. للمسعودي: ج٣، ص٢٩٤. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٢، ص٣٥.

(٢) قصيدة الشعر: ضحوا بأشمط عنوان السجود به.. يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا.

انظر: مروج الذهب: ج٣، ص٢٩٣. البيان والتبيين. الجاحظ: ج١، ص٢٢٠.

هاتين الكلمتين؛ فقد تمَّ استخدامها بمواقع عديدة من النصوص، ويبدو أنَّ النصوص التي استخدم فيها الغيَّ بدل العيِّ تُعطي صيغة مفهوم الفكر الفلسفي للنص، وعند استخدام كلمة العيِّ بدل الغيِّ في نفس النصِّ تُعطي صيغة فكرة الرَّد بعلم الكلام على الفلسفة من مفهوم المعنى الصحيح للحكمة عند المريدين، أنَّ المحاسبي كان متمسكاً بالرَّد على الفلسفة بسبب إدراكِ العلة الفكرية في زمنه، وكان لديه العلاج الشافي بالمجادلة، وهذا ما أخذ عليه من بعض العلماء^(١). واتضح من معاني الكلمتين أنَّ القصد هو عدم الخوض في الفلسفة معتبراً إياها بلاغة في الكلام^(٢).

وقد جاء في الحديث النبوي: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سَحَرًا، وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلًا، وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمًا، وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عَيْلًا»^(٣) وقد أسند المحاسبي المسألة لموقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صدر الإسلام في ذم كلام الشعراء، إنَّ الفلسفة عند المحاسبي عبارة عن كلام بدون بيان، وعلم الكلام إسناد الكلام بالبيان.

وقال المحاسبي: (يزيدُ البيانُ الفصاحة للبلاغة) وهذا معنى مُعرِّز في الرَّد على الفلاسفة والذين تأثروا بكلامهم.

وقال المحاسبي: (الكلام أفضل عند الله إذا أُريد به وجهه وقصد فيه مع الإصابة؛ فكلم كل قوم على قدر فهمهم ولغو ألسنتهم، ولا تفرط أيضًا في الصمت كما لا تفرط في الكلام؛ لأنه إن أفرط في الصمت ضيع كثيرًا من حقوق الله تعالى أن يقوم بها بلسانه).

(١) انظر: الطبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٥. كشف الظنون. الحاج جليبي: ج ١، ص ٩٠٨.

(٢) جاءت هذه المسألة عند الإمام أبي حامد الغزالي ٥٠٥ هـ. وينفس الإسناد والموضوع مع شرح مطول عن المسألة وأسندها بنفس الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرها المحاسبي، بل وحتى الآيات القرآنية. وقد أشار الغزالي أنه قرأ كل كتب المحاسبي وكتب علماء علم الكلام تحت باب القول وعلته.

انظر: إحياء علوم الدين. للغزالي: ص ٤٦. المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص ٣٠.

(٣) انظر: مسند أحمد. أحمد بن حنبل: مسألة ١٧٨٥٣.

تطابق رأي المصنّف مع بعض شعراء المسلمين الذين سبقوه، ومنهم الشاعر أبو أسود الدؤلي (٦٩هـ)^(١)، فهو يذمّ البلاغة في الكلام واعتبرها من الغي، واستند المسألة أيضاً ببعض الأبيات لشعر عمرو بن كلثوم العتابي (٢٠٨هـ)^(٢)، (الذي يصف الكلام أنّه فنّ يمكن أن يجعل الحق باطلاً)^(٣)، وقول الشاعر عمرو الأشدق (٧٠هـ)، الذي وصف كلام الشعراء (ما هو إلا التوسّع في الخطب). اتّضح ممّا ورد أنّ المحاسبي أراد أن يثبت (أنّ الفلسفة لغة كلام لا تخرج عن بلاغة الخطبة أو فن الكلام أو الشعر الذي يكثر فيه التشدّق)، وفي ختام المسألة يصف الجدال بالفلسفة، المحاسبي طريق مغلق مقتدي بكلام بعض السلف لقولهم: (المستعان الله على ألسنة تصفّ وقلوب تعرف وأعمال تحالف)^(٤)، وجاء أسلوب المصنّف المتبع في الردّ ما بين الحدّ والمطلع؛ فجميع الأحاديث جاءت متسلسلة زمنياً وتمّ إسنادها لأكثر من حديثٍ لمنهج السرد حسب تاريخ كل حدث، أكدت المصادر أنّ ظهور الفكر الفلسفي كان في بداية عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما فتح المسلمون بعض البلاد العربية المتأثرة بنهج الفكر الفلسفي^(٥).

(١) وهو ظالم بن عمر بن سفيان حكيم اللغة والأدب الذي وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف في اللغة العربية، وقرأ القرآن على عثمان وعلي (رضي الله عنهما). وكان على مكانة عالية في البصرة في الفقه. توفي سنة ٦٩هـ.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب. الجزري: ج ١، ص ٥١٤.

(٢) وهو عمرو بن كلثوم بن أيوب العتابي، شاعر وأديب من الطبقة الأولى، وله معلقة من الشعر من الجزيرة العربية. توفي العتابي سنة ٢٢٠هـ.

انظر: جمهرة أنساب العرب. علي الأندلسي: ج ١٢، ص ١٠. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٤.

(٣) كتاب البيان والتبيين. الجاحظ، قد ورد تعريف البلاغة كما ذكر في كتب المحاسبي، مع تغيير كلمة واحدة وهي: (ممن يشبهه) جعلها (الو يشبهه) وهو عن بيت شعر العتابي كما سبق ذكره.

انظر: البيان والتبيين: ج ١، ص ٢٢٠. مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٣.

(٤) انظر البيان والتبيين: ج ١، ص ٢٨٤.

(٥) تأتي تفاصيل الرواية عندما حرر المسلمون الإسكندرية على يد القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد كان هنالك فيلسوف وطبيب قبطي يسمى يحيى النحوي ٢٧هـ. وهو طبيب وعنده علم الفلسفة من الإغريق وبلاغة الكلام وعلوم الطب التي كانت تزدهر بها الإسكندرية في زمن الإغريق.

♦ مسألة في الجدال في أسباب الدنيا: قلتُ: والجدالُ في أسبابِ الدنيا منه....

المسألة تبحثُ حول الجدالِ في الممدوح والمذموم، وقد جاءتْ بطريق يستفاد منه القضاة الشرعيين في مسائل اتخاذ القرار الصحيح بالحق والمجادلة به، وكيف يتم الجدال بالحق للدفاع عن المظلوم وأخذ حقه حتى إن كان الظالمُ ذا قرب من القاضي؛ فيعطيه المصنفُ طريق الخروج من هذه المحنة بالاعتداء بآيات القرآن الكريم والسنة النبوية.

♦ مسألة في التفويض: قلتُ: ما التفويض.....

قد جاءتْ المسألة فيها عن معنى التفويض ولماذا لا يسمى بالتوكّل، ويوضحُ فيها أيضًا مستوى النية ويصنّفُ المفوضين أمرهم إلى الله، وذكرَ في المسألة بعض صفات العلماء الساسرة الذين يتاجرون بالدين، ومشاكل النفس البشرية في التفويض وطريقة الوقاية من النفس للوصول إلى الثقة التي توصلك إلى التوكّل في الأمور كلها إلى الله سبحانه، وقد ذكر المحاسبي شيخ المتوكلين ((عامر العنبري زاهد البصرة))^(١).

وأشارَ أيضًا في المسألة إلى -مخطوطة كتاب الرضا-^(٢) وبعض التفاصيل عن النهج الفكري فيها، ومما سبق ذكره وجدتُ المخطوطة أيضًا في عدة مصادر أخرى^(٣).

انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. أبي صبيعة، ت: عامر النجار: ج ٦، ص ٣٧٤.

(١) وهو: عامر بن عبد الله بن قيس العنبري نزيل البصرة، ويسمى زاهد البصرة، وكان ورعًا، وكان دائم التفويض، وفي تفويض الأمر ((أنه كان في بلاد الشام فجاءه أسد نام بجانبه ولم يهرب منه؛ فنام بقربه حتى أصبح)).

انظر: تاريخ دمشق: ج ٢٧، ص ٢٢.

(٢) انظر: مخطوطة مسائل أعمال القلوب. المحاسبي: ص ١٣٨.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠، تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٧.

♦ مسألة في معرفة النفس: قلتُ أخبرني عن الإِزراءِ على النفسِ.....

وهي مسألة في آفاتِ هلكة النفس البشرية وكيفية معالجتها من خلال كبح الشهواتِ وتشخيص مشاكل خَلل النفس البشرية وطرق معالجتها حسبَ درجة التكَلّف، ومنها كيف يتمّ التعامل مع النفس في الطريق وفي السوقِ ومعاتبَةِ النفس، وكيف تلزم قلبك الشهواتِ، وجاءَ إسناد المسألةِ بآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وبصفات عُمر بن الخطاب رضي الله عنه في الزهد ومحاربة النفس؛ لخوفه من الله عزّ وجلّ، ويتخلّلها دعاءٌ للمحاسبي في طلبِ العفو والمَغفرة من زلاتِ النفسِ البشرية^(١).

♦ مسألة في الغفلة والنسيان: قال: الغفلة غفلتان، والنسيان نسيانان....

جاءت المسألة في أنواع الغفلة، وعرّف النسيان والفرق فيما بينهما، ويشرح بعض آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بغفلة المؤمن، ومتى تكون الغفلة نسياناً، وما تسميه الغفلة في الصلاة ومتى تسمى غفلةً، ومتى يمكن أن نطلق عليها نسياناً، وعندما يدخل وقت الصلاة ما بين الغفلة والنسيان ما تسميتها، وما هي أنواع الغفلة، والفرق بين غفلة النية وغفلة البائنة، وفيها آراء العلماء في غفلة الصلاة، وقد أشار المحاسبي إلى مخطوطة -أخلاق الحكيم-^(٢) والتي وردت عند بعض المصادر أنها مفقودة^(٣).

♦ مسألة فيما يحلّ من النظر: قلت: ما يحلّ لي من النظر إلى الأمة والحرّة.....

المسألة تتحدّث عن النظرة المسموح بها إلى الأمة والحرّة، وما هو الحلال في النظرة إلى أجزاء الجسم في المرأة، وكيف يتمّ التمييز في نظرة اللذة ونظرة النية واللمس للمرأة ما له وما عليه، وجميع الوعظ جاء

(١) قال: (نعوذ بالله من حلول عقوباته، ونسأله النقلة إلى ما يحب ويرضى بنبوة تظهر من كل ما يكره، وإقبال عليه والشغل به عن الدنيا وأهلها، ونسأله أن يجعل ذلك سريعاً بمنه).

انظر: مخطوطة مسائل أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٨.

(٢) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٤٢.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٩.

ذكره في المسألة مستنداً إلى القرآن والسنة.

♦ مسألة في نظر الفجأة: قلت ما نظرة الفجأة من غيرها.....

ورد في المسألة معنى نظرة الفجأة، وما هو المقصود بها، وهل تجوز للمؤمن أم للفاجر، وهل هي نظرتان أم نظرة واحدة، وقد وضح المحاسبي عدة جوانب مهمة فيها مبتدئاً بالنظرة القريبة والنظرة في المسير والنظرة بالاتجاه، وكيف يتم المسك عن النظرة وعدم الاستسلام للنفس البشرية، وأسند الوعظ بآيات القرآن الكريم والأحاديث.

♦ مسألة في النذور: حدثنا أبو النضر..... قال: النذور أربع.

جاء فيها على أهمية النذور، وأنواع النذور الأربع؛ فهن نذر لا يسمى، ونذر لا يطاق، ونذر في معصية الله فيه كفارة، ونذر يسمى ويطاق لا معصية فيه، وأما النذر الفائت جاء من تسمية المحاسبي، وقد استند فيه على آيات القرآن الكريم والأحاديث، وقد ذكر في المسألة مكان التجمع الأول للصوفيين في عبادان^(١)، وكيف كانوا يعيشون على النذور المقدمة لهم، وذكر مسجد إيليا^(٢) الذي يسمى حالياً المسجد العمري وكيف كان المسلمون ينذرون الصوم فيه^(٣).

(١) عبادان: كانت عبادان قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان (رض)، والتسمية جاءت من العباد: وهو الرجل الكثير العبادة، وأما إلحاق الألف والنون فهي لغة مستعملة لأهل البصرة، وهي تحت البصرة في -جنوب العراق- قرب البحر المالح -شط العرب- حالياً، وكانت أكثر مواردهم من النذور، لكونها أرض لا خير فيها ويعيشون على اصطيد السمك، وكانوا يظهرن زهدهم في الحياة بارتداء لباس أبيض من الصوف. انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي: ج ٤، ص ٧٤.

(٢) إيليا: هي مدينة بيت المقدس، وعند العرب تسمى إيلياء، وافتتحها أبو عبيدة بعد اليرموك وحاصر أهل كنيسة إيلياء فأبوا أن يفتحوا له وسألوه أن يرسل إلى الخليفة عمر (رض) ييني المسجد، وهو -المسجد العمري اليوم-، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردانته وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك وبنى بها مسجداً مؤقتاً من الخشب؛ لاستخدامه مكاناً للصلاة من قبل الجنود المسلمين وسمي (مسجد إيلياء)، وأقام أياماً ثم رجع للمدينة.

انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي: ج ١، ص ١٤١. البدء والتاريخ: ج ٥، ص ١٨٥. كشف الظنون. حاج خليفة جلي: ج ١، ص ٩٢٥.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٥. الزهد. لأبي داود: ص ٩٠.





كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح

من كلام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن الحسن بن علي
 المجتهد البصري رحمه الله تعالى
 وفيه باب في الخلوة وما يستفاد بها من وجوه المنافع في الدين
 له أيضاً



تَحْقِيقُ مَخْطُوطَةِ الْمَسَائِلِ فِي أَعْمَالِ
الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ



بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم

قال أبو عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي رحمه الله.

مسألة في الحسبة في إدخال السرور على المؤمن.

قلت: كيف الحسبة^(١) في طلب سرور المؤمن؟ وكيف صحة النية فيه؟ وما أسباب ذلك؟ وأي الأسباب يكون طلب السرور فيها أولى من تركه؟ وأي الأسباب يكون ترك طلب السرور فيها أولى وإن صححت النية فيه؟^(٢)

قال: إن طلب السرور إنما يمكن^(٣) فيه الحسبة في المؤمن المستور^(٤) في أكثر الأحوال، فأما^(٥) المسلم المتهتك^(٦)، فلا تمكن فيه الحسبة إلا في أقل الأحوال؛

(١) الحسبة: (حسب): يستعمل في معنى الكفاية، قوله تعالى: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران: ١٧٣ وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٣٣.

(٢) أزهر: فيه النية.

(٣) أزهر: يكون.

(٤) المستور والستر: ما يستر به تغطية الشيء، وقوله تعالى: {جَجَابًا مَسْتُورًا} الإسراء: ٤٥.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٩٦.

(٥) أزهر: وإما.

(٦) المتهتك من الهتك: وهو خرق الستر عما وراءه.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٣، ص ٣٧٤.

لأنَّ تركَ معونته^(١) على معاصي الله عزَّ وجلَّ^(٢) أولى، فإنَّما يمكنُ فيه^(٣) طلبُ السرورِ عند شدَّةِ الحاجةِ في الاضطرارِ؛ كإعطائه الزكاة والتفضيل بالصدقاتِ من الحلالِ أو [من]^(٤) الحرام الذي لا تقدر^(٥) له إلا على^(٦) ذلك، أو [من]^(٧) الشُّبهاتِ إذ جُعِلَ^(٨) سبيلَ الحاجاتِ والمسكنةِ لأنَّ الصدقات لا يؤمر بها لأهلِ التَّقَى ولا لأهلِ الفجورِ لكنْ لأهلِ الحاجةِ والمسكنةِ فأجر أو تُقَى^(٩)، إلا فرقةً من الفجارِ وهم العادون^(١٠) على أمةٍ محمدٍ عليه السَّلام، و[على]^(١١) أهلِ العهدِ بالظلم والجورِ، أو بالدعاءِ إلى الضلالِ فأزوا^(١٢) المواساة^(١٣) والصدقات عنهم أولى.

(١) أزهَر: معاونته.

(٢) أزهَر: تعالى.

(٣) أزهَر: وإنما يكون من الممكن.

(٤) أزهَر: من.

(٥) أزهَر: لا يقدر.

(٦) أزهَر: عليه.

(٧) أزهَر: من.

(٨) أزهَر: جعلت.

(٩) أزهَر: نقي.

(١٠) العادون: أي من كانت عداوته من أفعال القلوب، قال تعالى {فيسبوا الله عداً بغيرِ علمٍ}، الأنعام: ١٠٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٥٣.

(١١) أزهَر: على.

(١٢) فأزوا من أزوا: أي أجهده، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسَّوهُمْ أَقْبَارُ}، مريم: ٨٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٤.

(١٣) المواساة: وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٦.

أو [وإن كان] ^(١) يخشى عليهم تَلَفَ الأَنفُسِ فينالوا مِن ذلك بِقَدَرِ ما ترجع إليهم أَنفُسَهُم ^(٢) ولا يُزادوا ما يزدادوا ^(٣) بِهِ قُوَّةٌ تَبْعُهُمْ عَلَى ضَرَرِ العبادِ، ولكن بِقَدَرِ [ما] ^(٤) تَبْلُغُ ^(٥) النَفْسُ لِيَزُولَ عَنْهَا التَّلَفُ وَتَثْبُتَ لَهَا الحَيَاةُ، والاحتساب في طَلَبِ السُّرُورِ غَامِضٌ عَلَى الْعَمَالِ ^(٦)؛ لَأَنَّ طَلَبَ السُّرُورِ لغيرِ الحَسْبَةِ ^(٧) ليس مَكشُوفٌ فِي ضَمَائِرِ النُّفُوسِ، إِنَّهُ لَغَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا التَّبَسُّ وَغَمِضٌ عَلَى الْعَمَالِ؛ لَأَنَّ الْأَثَرَ [ثَبَّتَ] ^(٨) فِيهِ بِإِيجَابِ الثَّوَابِ عَلَى مَنْ ^(٩) أَدْخَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ سُرُورًا ^(١٠) أو فَرَجًا.

فلذلك التَّبَسُّ صَحَّةُ الحَسْبَةِ عَلَى الْعَامِلِ فِي وَقْتِ غَفْلَتِهِ ^(١١) عَنْ تَهْمَةٍ ^(١٢) نَفْسِهِ، وَطَلَبِهِ تَصْحِيحِ النِّيَّةِ فِيهِ لِرَبِّهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَمَّ ^(١٣) قَلْبُهُ طَلَبَ

(١) أَزْهَرُ: وَإِنْ كَانَ.

(٢) أَزْهَرُ: نَفُوسُهُمْ.

(٣) أَزْهَرُ: وَلَا يَزَادُونَ مَا يَزِيدُونَ.

(٤) أَزْهَرُ: مَا.

(٥) أَزْهَرُ: بَلَغَ.

(٦) الْعَمَالُ: وَهُمْ: السَّاعَةُ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الصَّدَقَاتِ مِنْ أَرْيَابِهَا، قَالَ تَعَالَى: {وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا}، التَّوْبَةُ/ ٦٠، الْآيَةُ.

انظر: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابنُ مَنْظُورٍ: ص ٣١٠٧.

(٧) أَزْهَرُ: الْخَيْرُ.

(٨) أَزْهَرُ: تَثَبَّتَ.

(٩) أَزْهَرُ: لِمَنْ.

(١٠) أَزْهَرُ: السُّرُورُ عَلَى الْمُؤْمِنِ.

(١١) أَزْهَرُ: عَمَلُهُ.

(١٢) أَزْهَرُ: بِتَهْمَةٍ.

(١٣) أَزْهَرُ: أُلْزِمَ.

أُمُّ: الْقَصْدُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ التَّوَجُّهُ نَحْوَ الْمَقْصُودِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا أَمِينَ النَّبِيَّتِ الْحَرَامِ}، الْمَائِدَةُ: ٢، الْآيَةُ.

انظر: مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِي: ص ٨٧.

سُرور المسلم^(١) ظنَّ أَنَّهُ مُريدٌ للثواب وَأَنَّهُ قد ظَفَرَ بِهِ، ولا يَكُونُ مُريدًا للثواب حتَّى يَكُونَ [سُرورُ المؤمن]^(٢) نيتُهُ^(٣) صحيحة فيها الرغبة إلى الله عزَّ وَجَلَّ في أَنْ يَثْبِتَهُ^(٤) على إدْخَالِ السُرورِ عليه^(٥)، ويأجره على ذلك.

فَمِنْ هذا البابِ غمضُ على [العَمَالِ]^(٦) تصحيح النية^(٧) فيه؛ لَأَنَّ العدوَّ^(٨) يغفل العامل من اسم طلبِ السُرورِ عن الثبَتِ؛ لينظر ماذا يريد بإدخاله السُرورِ على أخيه المسلم، فيريد [العامل]^(٩) أَنْ يعظُمَ قدره عند أخيه إذا أدخل عليه السُرورَ، أو يثني عليه بذلك، أو ليكافئه على ذلك، أو يريد أَنْ يعظُمَ الله تعالى على ذلك أجره^(١٠) ويرضى بذلك عَنْهُ ويكافئه عليه.

فالعدو يغفلُ العامل^(١١) باسم طلبِ السُرورِ عن الثبَتِ والنظرِ وَمَنْ^(١٢)

(١) أزهري: المسلمين.

(٢) أزهري: سرور المومن.

(٣) أزهري: بنيته.

(٤) أزهري: أَنْ يَثْبِتَهُ.

(٥) أزهري: على المسلم.

(٦) أزهري: العامل.

(٧) النية من نوى: أي قصدت قصده، وفي الحديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٠، ص ٤٥٨٩. البخاري: ج ١، ص ٦.

(٨) الأزهري: العدو.

العدو: يبالغ فيهم في العمل.

انظر: كتاب الألفاظ: ج ١، ص ١٢٢.

(٩) أزهري: العامل.

(١٠) أزهري: أجره على ذلك.

(١١) أزهري: الناس.

(١٢) أزهري: فيمن.

يريد بذلك [هل يريد] ^(١) الخالق أو المخلوق؟ فأما الأسباب التي تطلب ^(٢) بها سرور المسلم ما ^(٣) كان فعلها بطلب ^(٤) سروره أولى، أو [كان] ^(٥) بتركها ^(٦) [أولى] ^(٧)، فَمِنْ ذَلِكَ الْحَلَالِ مِنَ الْغِذَاءِ ^(٨) والأموال، وما صادف من أخيه المسلم حاجة وشدة من غذائه أو ما أشبه ذلك.

فإذا ^(٩) أراد الله عزَّ وجلَّ، وكان ليس به ولا بِمَنْ وَجِبَ عليه حقُّه من الضرِّ ^(١٠) مثل ما [بالمسلم المطلوب سروره] ^(١١) به أو أعظم منه أو أدنى تبين له في ظاهر الأسباب أنه إن أثره على نفسه أو على مَنْ هو أوجب عليه حقًّا منه أنه ينزل به ^(١٢)، أو بِمَنْ وَجِبَ حقُّه عليه ما يدل عليه الكتاب والسُّنة أو قول العلماء [مِنْ] ^(١٣) أنه مضيع تارك [له] ^(١٤) لما هو أولى به.

أو إزالة عن مظلمة ليس له مال غير ما يؤدي ^(١٥) إلى صاحبها، أو دينٌ قد

(١) أزهري: هل يريد.

(٢) أزهري: يطلب.

(٣) أزهري: مما.

(٤) أزهري: لطلب.

(٥) أزهري: كان.

(٦) أزهري: تركه.

(٧) أزهري: أولى:

(٨) الغذاء من الغداء: التَّغْذِيَّةُ طعام لاستعادة الصحة، وكلمة (حبس الغدا) يتم استخدامها للزهاد.

انظر: تاج العروس. من جواهر القاموس. محمد الحسيني: ج ٣٩، ص ١٥٢.

(٩) أزهري: فإن.

(١٠) أزهري: الغير.

(١١) أزهري: بالمسلم المطلوب سروره.

(١٢) أزهري: بنفسه.

(١٣) أزهري: من.

(١٤) أزهري: له.

(١٥) أزهري: يؤديه.

حَرَجَ^(١) عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَوْ أَحْضَرَ^(٢) حَجًّا^(٣) فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ وَتَرَكَ التَّخَلُّفَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَطَلَبَ السَّرُورَ بِالْمَوَاسَاةِ أُولَى، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ^(٤) كَذَلِكَ فَتَرَكَهَا أُولَى، وَالْفَعْلُ بِهَا هُوَ أَوْ جَبَ فِيهَا^(٥) هُوَ فِي نَفْسِهِ وَمَنْ^(٦) أَلْزَمَهُ اللَّهُ حَقَّهُ.

فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى بِهِ زُبَيْنُ حَكِيمٌ^(٧) عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْبَرُ؟ قَالَ: أُمُّكَ ثَلَاثًا، [ثُمَّ]^(٨) قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبَاكَ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَذْنَاكَ فَأَذْنَاكَ، وَفِيهِ «وَأُخْتُكَ وَأَخَاكَ»^(٩). وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ»^(١٠).

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي دِينَارٌ، قَالَ: أَنْفَقْهُ عَلَى نَفْسِكَ، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: أَنْفَقْهُ عَلَى أَهْلِكَ، قَالَ: عِنْدِي^(١١) آخَرُ حَتَّى عَدَّ لِلْخَامِسِ، قَالَ: شَأْنُكَ

(١) أَرْهَر: خرج.

(٢) أَرْهَر: أخرج.

(٣) الْحَجُّ: تعني زيارة بيت الله، قال تعالى: {لِلنَّاسِ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا}، البقرة: ١٥٠. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢١٨.

(٤) أَرْهَر: كان.

(٥) أَرْهَر: في.

(٦) أَرْهَر: فيمن.

(٧) زُبَيْنُ بْنُ حَكِيمٍ بن معاوية بن حيدة، القشيري البصري الإمام المحدث له عدة أحاديث عن أبيه عن جده وعن زرارة بن أوفى، روى عنه: الحمدا، الثوري، روى عنه: النسائي، وابن معين، واحتج به أحمد بن حنبل، ثقة، توفي قبل ٢٥٠ هـ.

انظر: اللباب في التهذيب. ابن الأثير الجزري: ج ١، ص ٤٥٠. سيرة أعلام النبلاء: ج ١، ص ٢٥٣. (٨) أَرْهَر: ثم.

(٩) انظر: صحيح البخاري: ج ٦، ص ٦٦. صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٩٧٤. مسند الإمام أحمد: ج ٢، ص ٣٢٨.

(١٠) انظر: المستدرک على الصحيحين. الحاكم: ج ٢، ص ٤٢. مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٠. (١١) الأصل: ي. سقطت.

بِهِ»^(١). وَقَالَ: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَى»^(٢) وَمَا أُبْقِيَتْ غِنَا»^(٣)
وَأَبْدَأَ بِمَنْ تَعُولُ»^(٤)»^(٥).

وكذلك بالتفضيل على غير المحتاج إدخال السرور عليه لغير سدّ خلة^(٦)
ظهرت منه، ولكن ليسرّه ذلك أو لئلدّ به الأخ من الأغنياء، أو ممن يقدر على
القوام^(٧) كإطعامه الطعام الطيب والتفضيل عليه باللباس اللين وما أشبه ذلك.
إلا أنّه إذا أضرّ بعياله في التفضيل على من ليس [بِهِ]^(٨) له حاجة كان أعظم

(١) انظر: مسند أحمد. أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٢٥٢. مستدرک علی الصحیحین. الحاكم محمد
النيسابوري: ج ٢، ص ٤١.

(٢) الأزهري: غني.

ظهر غنى: «عشاء ليلة». جاء في الحديث عن علي بن أبي طالب (رض): قال رسول الله (ص):
«أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ» قَالُوا: وَمَا
ظَهَرَ غِنَى؟ قَالَ: عشاء الليلة.

انظر: الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج ١، ص ٣٢٥. الدر المنثور. عبد الرحمن السيوطي:
ج ٣، ص ٣٤٤. مسند أحمد. أحمد بن حنبل: ج ١، ص ١٤٧.

(٣) الأزهري: غني.

(٤) تعول: اللغة عال الرجل، إذا كثر عياله، وأعال بمعنى واحد فهو يعوّد إلى كثرة العيال.

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٣٦٧.

(٥) انظر: سنن النسائي: ج ٥، ص ٦٨. صحيح مسلم: ج ٢، ص ٦٩٣.

(٦) الخلة الحاجة والخصلة، المودة.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٩٠.

(٧) القوام: العدل. قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، الفرقان: ٦٧،
الآية.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان الحميري: ج ٨، ص ٥٦٧١.

(٨) الأزهري: به.

إِثْمًا، وكذلك إن^(١) أزاله عَنْ مَظْلَمَةٍ^(٢) أَوْ دِينَ لَيْسَ لَهُ عِنْدَهُ وِفَاءٌ [بِهِ]^(٣)، أَوْ خُرُوجَ لَحِجٍّ وَاجِبٍ [فَإِنَّ الْإِثْمَ يَلْزِمُهُ إِذَا أَضَرَ بَعِيَالِهِ]^(٤).

وقد يدخل على المريدين في ذلك أُغْلُوطَاتُ^(٥) من طَبَائِعِهِمْ^(٦) ومن عَدْوِهِمْ؛ حتى يَخِيلَ إِلَيْهِمْ أَنَّ تَرْكَ الْمَوَاسَاةِ أَوْلَى، وَأَنَّ إِثَارَ^(٧) أَنْفُسِهِمْ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ حَقُّهُ^(٨) أَوْلَى بِذَلِكَ إِذَا خَشِيَ^(٩) الْآثَامَ وَمُضِيعَ^(١٠) لِلْوَاجِبِ فِيمَا يَخِيلُ إِلَى الْمَرِيدِ نَفْسَهُ وَعَدْوَهُ.

فاذا فَحَصَ وَأَنعمَ الرَّوِيَّةُ^(١١) والنَّظَرَ في ذلك وجدَ ذلك لا يقربُهُ ولا لِمَنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ، وَأَنَّ الْمَوَاسَاةَ أَقْرَبُ لَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بل بعضها يَجِبُ عَلَيْهِ إِذَا اسْتَقَيْنَ بِالْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يَتَهَمُهُ ضَرًّا قَدْ نَزَلَ بِهِ فِي غِذَاءٍ أَوْ لِبَاسٍ أَوْ مَا أَشَبَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّهُ لَخُدْعَةٌ فِي الْعَامَّةِ بَيِّنَةٌ.

(١) الأُزْهَرُ : إذا .

(٢) الأُزْهَرُ : مَظْلَم .

(٣) الأُزْهَرُ : بِهِ .

(٤) الأُزْهَرُ : فَإِنَّ الْإِثْمَ يَلْزِمُهُ إِذَا أَضَرَ بَعِيَالِهِ .

(٥) أُغْلُوطَاتُ من الغلط: والأُغْلُوطَةُ ما يغالط بها المسائل.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة الصّحاري: ج ٣، ص ٦٠٣.

(٦) طَبَائِعُهُمْ من الطباع: ما جعل في الإنسان من طباع المأكَل والمشرب وغيره من الأطبّعة التي طبّع عليها.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة الصّحاري: ج ٣، ص ٤٣٤.

(٧) إِثَارٌ من أَثَرٍ: وهي المَكْرُمَةُ أو الفضل.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٨، ص ٢٣٧.

(٨) الأُزْهَرُ : حَقَّهُمْ .

(٩) الأُزْهَرُ : خَشَوَا .

(١٠) الأُزْهَرُ : وَتَضَيَّعَ .

(١١) الرَّوِيَّةُ:.. وَهُوَ مِنْ ثَبَّى عَلَى الشَّيْءِ إِذَا دَامَ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس القزويني: ج ١، ص ٤٠٢.

لعلَّ الرجلَ أَنْ يعلمَ الضرَّ من بعضِ قرابتهِ أو إخوانهِ أو جيرانه، فإذا عوتبَ فيهم^(١)، قال: الفرضُ أولى بنا، ويحتجُّ^(٢) بقول: حديث رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»^(٣)، لعلَّ عندهُ ما يكفيه لغذائه سنين أو أياماً، وإنما كان ذلك منه عن غفلة من^(٤) صحة المعنى، وربما كان كذباً منه على عَمْدٍ؛ لإقامة الحجة ودفع الملامة^(٥) عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَدَّمَ^(٦) بتركِ المواساة لقرباته أو إخوانه أو جيرانه.

قد يكون الضرُّ في نفس العبد أو فيمنَ يحسن للحسبة في ذلك من عياله ما لم يكن ضرّاً يقطع عن فريضة أو عن ما هو أولى به، أو لم تسمع الله تعالى يقول: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}^(٧)

فالْخَصَاصَةُ: بعض الضرِّ؛ لأنَّها في اللغة هي الحاجة^(٨)، تقول العربُ في تراجعها^(٩) بينها: قَدْ أَصَابَتْ فَلَانًا خِصَاصَةً تعني حاجةً، فَمَدَحَهُمُ الله سبحانه بذلك فقال: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}^(١٠).

(١) الأزهري: في ذلك.

(٢) الأزهري: ويحكم.

(٣) جاء في الحديث: «يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ أُمُّكَ وَأَبَاكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ». انظر: صحيح مسلم: ج ٢، ص ٧١٨، المعجم الكبير. الطبراني: ج ٨، ص ١٣٩، الجامع الصحيح. سنن الترمذي: ج ٥، ص ٢٦٣.

(٤) الأزهري: عن.

(٥) الملامة: هي من اللؤم، العُتْبِ وَالْعُدْلِ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٥، ص ٢٢٢.

(٦) يَدَّمَ من دَمَ، وَهُوَ اللُّؤْمُ فِي الْإِسَاءَةِ.

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي ج ١٤، ص ٢٩٨.

(٧) الحشر: ٩، الآية.

(٨) انظر: تفسير القرآن. شمس الدين القرطبي، أحمد البردوني: ص ٥٤٦.

(٩) الأزهري: أحاديثها.

(١٠) الإنسان: ٨، الآية.

وَلَمْ يَرِدْ أَنَّهُمْ رَغَبُوا فِي الْفُضُولِ لَطَعِ (١) الْغِذَا الَّذِي يَضُرُّ بِهِ أَنْ زَالَ عَنْهُ، وَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا اخْتَلَفَ فِي الْمُؤَثِّرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ (٢) إِنَّ الْمُؤَثِّرَ (٣) بِذَلِكَ عَلَيَّ وَفَاطِمَةَ، وَقَالَ قَوْمٌ: أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ (٤)، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْعَلُوا عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أَثَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْمُؤَثِّرِ بِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَقْرَاضٍ (٥) [مِنَ الشَّعِيرِ] (٦)، أَنَاهُمْ مَسْكِينٌ أَوَّلًا فَأَثَرُوهُ بِأَحَدِ الثَّلَاثَةِ وَأَبْقُوا الْآخَرَيْنِ لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَنَاهُمْ يَتِيمٌ فَأَثَرُوهُ بِالثَّانِي وَأَبْقُوا الثَّالِثَ لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَنَاهُ أَسِيرٌ فَأَثَرُوهُ بِالثَّالِثِ فَأَتْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ إِذْ تَحْمَلُوا الضَّرَّ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَثَرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِصَدَقِ (٧) الْإِرَادَةِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَغَيْرِ طَلَبِ مَكَافَأَةٍ، وَبِذَلِكَ وَصَفَ ضَمَائِرَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} (٨)، فَأَرَادُوا وَجْهَهُ، يَقُولُ: لَمْ يَشْرِكُوا فِي إِرَادَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ وَالتَّفَضُّلَ بِالْحَلَالِ عَلَى أَنْ [يَكُونَ فِي وَجْهِهِ] (٩) الْبَرِّ

(١) الطَّبْعُ: السَّجِيَّةُ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَصْلِهِ.

انظر: العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي: ج ٢، ص ٢٢.

(٢) العلماء: النقاش والتعلبي والقشيري والجعفي.

انظر: تفسير القرآن. شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني: ج ١٩، ص ١١٧.

(٣) الأزهر: المؤثرين.

المؤثر: والإيثار: هُوَ تَقْدِيمُ الْغَيْرِ عَلَى النَّفْسِ وَحُطُوطُهَا الدُّنْيَوِيَّةِ وَلَيْسَ عَنْ غِنَى عَنِ الْمَالِ، وَلَكِنَّهُ عَنْ حَاجَةٍ وَخَصَاصَةٍ وَهِيَ الْفَقْرُ.

انظر: التفتية في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البندنجي: ج ١، ص ٥٢.

(٤) انظر: تفسير الكشاف. جار الله الزمخشري: ص ١٠٩٥. تفسير القرآن. شمس الدين القرطبي: ج ١٩، ص ١١٥.

(٥) القرص: و(القرص) و(القرصة) من الخبز، وجمع القرصة (قُرُصٌ) للعجين.

انظر: جمهرة اللغة. محمد الأزدي: ج ١، ص ٢٨٨.

(٦) الأزهر: من الشعير.

(٧) الأزهر: بصدقة.

(٨) الإنسان: ٩، الآية.

(٩) الأزهر: يكون في وجهه.

لِمَنْ يَحِبُّهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْهَا صَلَوةُ الْقَرَابَةِ لِلرَّحِمِ وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ.

ويروى عَنْ عطاء^(١) أَنَّهُ قَالَ: (صَلَوةُ الْأَغْنِيَاءِ مِنْ أَوْلَى الْأَرْحَامِ أَفْضَلُ^(٢)) مِنْ صَلَوةِ الْفُقَرَاءِ مِنَ الْغُرَبَاءِ^(٣)) وَمِنْهَا بَرُّ أَهْلِ الْجَدَّةِ^(٤) لِعَالِمٍ يَعْلَمُ مِنْهُ إِعْظَامًا لَهُ وَعَلَى عِلْمِهِ، أَوْ لِأَنَّ يَجْرِي بَيْنَكُمْ^(٥) [مِنْ] ^(٦) الْمَوَاسِنَةِ وَالْخُلُطَةِ بِأَنْ تَسْتَفِيدَ بَعْضُ عِلْمِهِ، وَمِنْهَا بَرُّ الْمُتَعَلِّمِ يُتَأَلَّفُ [بِهِ]^(٧) عَلَى مَوَازِينِهِ عَلَى التَّعَلُّمِ وَالْعَنَایَةِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْعَالِمَ وَالْمُتَعَلِّمَ يَأْنَسَانِ وَيَسْكُنَانِ إِلَى مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهِمَا السَّرُورَ، وَلَا سِیمَا بِالنَّیْلِ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْهَا مَا يَقِي^(٨) بِهِ الرَّجُلُ عَرَضَهُ [مِنْ] ^(٩) أَنْ يَسْعَى بِهِ إِلَى سُلْطَانٍ أَوْ غَیْرِهِ.

وَفِي ذَلِكَ أَعْلَوْطَةٌ تَدْخُلُ عَلَى الْعُمَالِ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ؛ لَطَلِبِ سُرُورٍ مِنْ يَخَافُهُ لِيَنْصَرِفُوا عَنْ إِیْذَائِهِ فَيُخِيلُ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِاتِّقَائِهِمْ شَرَّ غَیْرِهِمْ بِإِدْخَالِ السَّرُورِ عَلَيْهِ، وَيَزِينُ لَهُمُ الْعَدُوَّ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْآثَارِ، كَالْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ: «وَمَا وَقَى بِهِ الرَّجُلُ عَرَضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١٠)، وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

(١) عطاء: هو عطاء بن رباح القرشي مفتي الحرم، وكان من السادات التابعين في الفقه والعلم، حدث عن: عائشة، وابن عباس، حدث عنه: قتادة وعمرو بن شعيب، ومالك بن دينار، والأعمش، فافق عطاء أهل مكة في الفتوى، توفي سنة ١١٤هـ.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب. ابن الاثير الجزري: ج ١، ص ٤٢٢. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٧٩.

(٢) الأزهر: أولى.

(٣) الغرباء من الغربة والاعتراب.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم: ج ١، ص ٣٠٨.

(٤) والجدّة: الأم، وأم الأب، وجمعها جدات.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ص ٥٦٠.

(٥) الأزهر: بينهما.

(٦) الأزهر: من.

(٧) الأزهر: به.

(٨) الأزهر: بقي.

(٩) الأزهر: من.

(١٠) جاء في الحديث: «وَمَا وَقَى بِهِ الْمَرْءُ عَرَضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ».

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مَنْ شَرَّارِ النَّاسِ مَنْ اتَّقَى فُحْشُهُ»^(١).

فتخيل النفس إلى العبد ذلك وإنما هو خوف سقوط منزلة أو خوف ضعة^(٢) عند الناس إذا [ذكروا]^(٣) أو أنفأ أو^(٤) كبراً أن يذكره من [هو]^(٥) دونه عند نفسه؛ فيبذل ماله عند ذلك ويخيل إليه أنه يريد الله عز وجل.

والذي يصح من ذلك أن يكون وقى عرضه، لأن لا يذكر عرضه فيجزع^(٦) لذلك فيستخرج منه [الجزع]^(٧) المكروه في دينه مثل ما نيل منه^(٨) [عرضه]^(٩) وأدنى وأكثر، فإذا فعل ذلك لذلك كان صوناً منه لدينه وأبقى^(١٠) منه على قلبه أن لا^(١١) يتغير ويزول عن ربه.

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج ٤، ص ٤٦٢. صحيح مسلم: ج ٢، ص ٦٩٦. مسند الإمام أحمد: ج ٤، ص ١٢٠.

(١) انظر: فتح الباري بشرح البخاري: ج ٤، ص ٤٦٩. صحيح مسلم ج ٦، ص ٢٠٠٣.

(٢) ضعة: خلاف الرقة في القدر أي: انحطاط ولؤم وخسة ودناءة نقص.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد الحسيني: ج ٢، ص ٣٤٠.

(٣) الأزهر: ذكروا.

(٤) الأزهر: أو.

(٥) الأزهر: هو.

(٦) فيجزع: أبلغ من الحزن. قال تعالى: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا}، المعارج: ٢٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٩٤.

(٧) الأزهر: الجزع.

(٨) الأزهر: من.

(٩) الأزهر: عرضه.

(١٠) الأزهر: وانفأ.

(١١) الأزهر: لئلا.

لئلاً: معناها: أن لا، فأدغمت اللام في النون، قال تعالى: {لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ}، الحديد: ٢٩، الآية.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة الصحاري: ج ٤، ص ١٨٣.

ومنه أغلوطة أدق من الباب الأول على العلماء؛ فيخيل إليهم العدو وأنفسهم أنهم قد قاموا بأعظم الأمور في عبادة الله من الإشفاق عليهم في أديانهم؛ فيبدلون أموالهم خوفاً أن تنال أعراضهم، ويخيل إليهم عدوهم وأنفسهم أن ذلك إشفاق منهم على من يخافون ذلك منهم أن لا^(١) يعصوا الله عز وجل فيهم ولا يثلموا أديانهم؛ فيطلبوا إدخال السرور عليهم ليعلموا أنهم قد سروه في أنفسهم فينصرفوا عن أذاهم، وهذه منزلة الصديقين والأبدال^(٢) أهل الحسبة^(٣) في عبادة الله في دينهم.

فيخيل إليهم العدو أنهم يريدون ذلك لذكر الآثار لقول النبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤلفة قلوبهم علقمه بن علاثة^(٤) وأبا سفيان بن حرب^(٥) والأقرع بن حابس^(٦) وغيرهم حتى غضب بعض الأنصار وقالوا: تُعطي أقواماً غنائمنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (١) الأزر: لثلا.

(٢) الإبدال: جعل الشيء مكان الآخر، ويأتي المعنى في أمم الخلفاء والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وهم أرباب حقائق التوحيد. قوله تعالى: {قَبِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ}، البقرة: ٥٩، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١١١.

(٣) الأزر: الرحمة.

(٤) علقمة بن علاثة الكلبي، أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أشرف قومه، وهو صاحب المناقرة الشهيرة مع ابن عمه عامر بن الطفيل، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يتسحر فلما فرغ من سحوره جاء علقمة بن علاثة الكلبي فدخل عليه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم للأكل، توفي سنة ٢٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج ٢٨، ص ١٣٨.

(٥) صخر بن حرب بن أمية بن عبد مناف تداركه الله بالإسلام يوم الفتح أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية من الدراهم، توفي سنة ٣٢ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج ٢، ص ١٠٦.

(٦) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي، وهو عم الفرزدق، كان من سادات العرب في الجاهلية، قال الأقرع بن حابس حين نادى: يا محمد إن حمدي زين وإن نمي شين، فقال رسول الله: «نلكم الله سبحانه»، وسمي الأقرع لقرع كان برأسه، توفي الأقرع في خلافة سيدنا عثمان (رض).

انظر: الإصاية في تميز الصحابة. لابن حجر: ج ١، ص ٥٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المزي: ج ١، ص ١٢٤.

(٧) الأزر: تعطي.

«أَعْطَيْتُ أَقْوَامًا خَشِيتُ جَزَعَهُمْ وَهَلَعَهُمْ، وَكَلَّتُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ وَمِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبٍ^(١)»^(٢).

وهذا تحمل^(٣) في الإشفاق عليهم وعلى أهل الإسلام معنيين أن يكون أشفق عليهم أن يعصوا الله عز وجل، وأشفق أن يثلموا^(٤) في الإسلام ثلماً بالارتداد^(٥) وغيره^(٦) يَنْتَقِصُ لَهُ الجماعة ويوهنُ لَهُ الدين، ولذلك أعطى أقواماً ومنع آخرين.

فقال له سعد^(٧): «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ وَفُلَانٍ فَإِنِّي أَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «إِنِّي أُعْطِي رَجُلًا خَافَةَ أَنْ يَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(٨)، وَقَدْ يَفْعَلُ الْمُرِيدُ فِي

(١) عمرو بن تغاب: هو عميرة التغلبي من عبد قيس، روى عن النبي (ص)، له حديثين رواهما البخاري والبصري.

انظر: الأعلام. الزركلي: ج ٣، ص ٩٠.

(٢) الحديث: «وَوَكَّلْنَا قَوْمًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبٍ».

انظر: صحيح البخاري: ج ٣، ص ١١٤٧. صحيح مسلم: ج ٢، ص ٧١٤. مسند الإمام أحمد: ج ٥، ص ١٠٣.

(٣) الأزهر: يحتمل.

(٤) ثلموا: من ثلَّم أي إذا انكسر من شَفَقَتِهِ شَيْءٌ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٥، ص ٦٥.

(٥) والارتداد: يعني الرجوع عن الشيء.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد الحسني: ج ٢٣، ص ٣٥.

(٦) وغيره من الغرور: أي اغْتَرَّ بِهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}، لقمان: ٣٣، الآية.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٨، ص ١٩.

(٧) هو: سعد بن أبي وقاص مالك بن عبد مناف بن كلاب القرشي، أحد العشرة الأولين المبشرين، واحد السنة لأهل الشورى، وله في الصحيحين خمسة عشر حديثاً، حدث عنه: ابن عمر وعائشة، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، توفي سنة ٥٥هـ.

انظر / سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٩٣.

(٨) جاء في الحديث: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةً أَنْ يَكْبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ».

انظر: صحيح البخاري: ج ١، ص ١٩، صحيح مسلم: ج ٢، ص ٧٣٣، مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ١٨٢.

عَطِيَّتِهِ بِالْإِشْفَاقِ مِنْهُ عَلَى غَيْرِ الْمُعْطَى أَنْ يُفْسِدَ غَيْرُهُ إِنْ مُنِعَ مِنْ ذَلِكَ.

ما رواه جابر ^(١) عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، ثُمَّ لَيَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، فَمَا يَأْخُذُ إِلَّا جَمْرًا مِنْ جَهَنَّمَ» ^(٢).

فيغالب ^(٣) العدوَّ العَمَّالَ في ذلك في طلبِ إدخالِ السرورِ على مَنْ خافوا مَذْمَتَهُ، لأنَّ يخفوا على قلبه ولا يعترضوا دينه ^(٤)، فيخيلُ إليهم أنَّهم فيما يبذلونه إشفاقًا ^(٥) على المسلمين وعلى الإسلام، وإتِّمَّ جزعتْ أنفسهم ^(٦) مِنْ سقوطِ منزلةٍ أو مخافةٍ مَذْمَةٍ، والصَّحَّةُ مِنَ المريدِينَ في ذلك أَنْ يَعْتَقِدُوا اعتقادًا بضائرتهم يعلمون ^(٧).

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَلِمَ مِنْ ضَائِرِهِمْ [أَنَّهُ] ^(٨) لَوْ لَا الْإِشْفَاقُ عَلَى مَنْ يُتَفَضَّلُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَوْ عَلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ عَلَى أَدْيَانِهِمْ أَنْ يَفَارِقُوهُمْ إِنْ ذَمُّوهُمْ مَا بَذَلُوا ذَلِكَ لِمَنْ أَعْطَوْهُ وَإِنْ ذَمُّوهُمْ، فَإِذَا حَصَلَتْ قُلُوبُهُمْ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُضَيِّعُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ [فِي] ^(٩) عِبَالَتِهِمْ ^(١٠) أَوْ فِيهَا

(١) هو جابر بن عبد الله الأنصاري ابن عمر المجتهد الحافظ صاحب رسول الله (ص)، الفقيه، روى عن: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. حدث عنه: ابن المسيب، عطاء بن رباح والحسن البصري حديثًا، مات سنة ٧٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج ٣، ص ١٩٠. ١٩٤.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٤، ص ١٨١، الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج ١، ص ٣٢٥. المعجم الكبير. الطبراني: ج ١، ص ٩٧.

(٣) فيغالب، غلط: أَنْ تَغْيَا بِالشَّيْءِ فَلَا تَعْرِفَ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهِ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد الحسني: ج ١٩، ص ٥١٧.

(٤) الأزهر: لذمه.

(٥) الأزهر: يشفقون.

(٦) الأزهر: نفوسهم.

(٧) الأزهر: فيعلموا.

(٨) الأزهر: إنه.

(٩) الأزهر: في.

(١٠) الأزهر: عيالهم.

عليهم من الحقوق للعباد ما هو أولى بهم، فقد زال عنهم الجزع^(١)، وصحت منهم النية في إعطائهم، وقد يعترض في هذين البابين أغلوطة يخيل إلى العبد أنه مطيع فيعصي الله تعالى ويبدل ماله على غلطٍ وخطأ من ذلك أن يكون العدو قد أراد أن يستدرجه بذكر الإشفاق على دينه أن يكافئ من أذاه، ويذكره الإشفاق على من يخاف أذاه فيريد أن يستخرج منه ماله في غير موضعه ويعصي الله فيمن أعطاه؛ فيخطر بباله الدعاء إلى سوء الظن بالتهمة له [قائلاً]^(٢): إنك إن لم تواسيه^(٣) أو تعطيه وقع فيك وشتمك، وقد ستر ذلك عنه ولم يعلمه يقيناً منه؛ فيعتقد^(٤) ذلك ويحققه^(٥) ويبدل ماله من أجله، وربما كان المعطي بريئاً من ذلك فجمع [العبد]^(٦) حلتين بسوء الظن بالمسلم المستور [وإنفاق]^(٧) وبذل ماله بالإشفاق فيما يخيل إليه بسوء ظن^(٨) [الذي]^(٩) أهاجه^(١٠) على

عيالاتهم من العول: تعني ما يتقل من المصيبة، فيقال: وبله وعوله، ومنه العيال «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول».

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٩٧.

(١) الجزع: هو أبلغ من الحزن، قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا}، إبراهيم: ٢١.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٩٤.

(٢) الأزهر: قائلاً.

(٣) الأزهر: تعطه وتواسه.

تواسيه أصلها من أسأه أي عزاه، وصبره.

انظر: جمهرة اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ٢٣٨.

(٤) الأزهر: فعند.

(٥) الأزهر: وتحققه.

(٦) الأزهر: العبد.

(٧) الأزهر: إنفاق.

(٨) الأزهر: الظن.

(٩) الأزهر: الذي.

(١٠) أهاجه من أهج: أثاره واستقره، أهاجت الريح النبات: أبيضته.

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد المختار: ج ٣، ص ٢٣٨٢.

ذلك، فهذا بابٌ غامضٌ يختدع^(١) فيه العدو^(٢)، وبعض العمال يخيلُ إليهم
بذلك أنَّهم مطيعون وهم عاصون.

(١) الأزهر: يختدع.

(٢) الأزهر: العدو.

مسألة في إسرار العمل^(١)

قلت: كيف الإسرار بالعمل^(٢) مِنَ المخلوقين لا مِنَ الخالق؟

قال: الإسرار [بالعمل]^(٣) على نوعين:

أحدهما: إخفاء عمل الجوارح^(٤) مِنَ أبصار الخلق^(٥) وأسماعهم.

والنوع الثاني: [إخفاء]^(٦) ما تحنُّ [به]^(٧) القلوب وتخفيه عن العباد وأبصارهم، وإن كانت أعمال الجوارح لهم باديةً، فلا يبدي الصادقون من أعمال جوارحهم^(٨) إلا ما كان إبداءه أقرب إلى ملكهم^(٩)، ولو أمكنهم القربة بذلك من غير إظهار لأعمالهم لم يظهروها؛ لأنهم قانعون بعلم من يعاملون، ولكن لا يمكنهم ذلك لخلتين:

(١) الأزهر: مسألة إسرار بالعمل.

(٢) العمل: المهنة والفعل، والجمع أعمال، عمل عملاً، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، التوبة: الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٠، ص ٣١٧٠.

(٣) الأزهر: بالعمل.

(٤) الجوارح: هي جوارح الإنسان نحو اليدين والرجلين والأذنين والعينين، وفي الحديث: «فَتَنْطِقُ الْجَوَارِحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

انظر: جمهرة اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ٤٣٧.

(٥) الأزهر: الخلاق.

(٦) الأزهر: إخفاء.

(٧) الأزهر: به.

(٨) الأزهر: الجوارح.

(٩) ملكهم: الملك وهو الله تعالى، ملك الملوك له، قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، الفاتحة: ٤، الآية،

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ص ٤٢٦٧.

أحدهما: إِنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا يُمْكِنُ فَعْلُهَا سِرًّا، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ السِّرَّ وَالْعِلَانِيَةَ؛ فَالسِّرُّ أَفْضَلُ مَا أَمَكِنَ الْعَمَلُ سِرًّا، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ؛ فَالْعِلَانِيَةُ أَوْلَى مِنْ تَرْكِ الْعَمَلِ.

والخلة الثانية: [أَنَّهُمْ] ^(١) قَدْ يُمْكِنُهُم [الْعَمَلُ سِرًّا] ^(٢) أَنْ يَسِرُوا الْعَمَلَ، وَلَكِنْ أَظْهَرُوهُ لِلْقُدُوةِ مِنْ غَيْرِهِمْ بِهِمْ رَغْبَةً [فِي] ^(٣) أَنْ يَصَيَّبُوا مِثْلَ أَجُورِ مَنْ اقْتَدَى بِهِمْ مَعَ أَجُورِهِمْ.

وليسَتِ الْقُدُوةُ لِكُلِّ أَحَدٍ تَجُوزُ فِي أَكْثَرِ الْأَعْمَالِ، وَلَكِنْ لِمَنْ قَوِيَ عَلَى دَفْعِ التَّصَنُّعِ ^(٤) فِي وَقْتِ عَمَلِهِ، وَبَعْدُو ^(٥) مِنْ ^(٦) كَانَ يَضَعُهُ مَنْ أَظْهَرَ لَهُ مَوْضِعًا لِلْقُدُوةِ وَالْعَبْدَ الصَّادِقَ فِيمَا يُظْهَرُ يَسْتَحِي مِنْ اللَّهِ أَنْ يُظْهَرَ مِنْ عَمَلِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَسِرُّ، بَلْ لَا يَكَادُ يَكُونُ فِعْلُهُ إِلَّا وَسِرُّهُ أَفْضَلُ مِنْ ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٧) سُبْحَانَهُ يَنْفَرِدُ بِعَمَلِ سِرِّهِ وَإِنَّمَا يُظْهَرُ مِنْ عَمَلِهِ مَا لَا يَجِدُ بُدًّا ^(٨) مِنْ إِيْظَاهَرِهِ.

فَأَقْلُ عَمَلِهِ يُظْهَرُ مَعَ سِرِّهِ فِي ضَمِيرِهِ إِذَا خَلَا ^(٩) أَبْدَاهُ بِجَوَارِحِهِ؛ كَالْبُكَاءِ

(١) الأزهري: إنهم.

(٢) الأزهري: العمل سراً.

(٣) الأزهري: في.

(٤) التصنع: تكلف حسن السمعة وإظهاره والتزين به والباطن مدخول. انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٢، ص ٢٤.

(٥) الأزهري: وبعده.

وبعثنو: من البعد: ضد القرب، بحسب اعتبار المكان، قال تعالى: {قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا}، النساء: ١٦٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٣٣. لسان العرب. ابن منظور: ص ٣٠٩.

(٦) الأزهري: ومن.

(٧) الأزهري: تعالى.

(٨) بدا: أي ظهر ظهوراً بلياً، بقوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} الزمر: ٤٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١١٣.

(٩) خلا: خلا يخلو خلواً إذا لزم مكانه.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٤، ص ٣٠٨.

والتحَنُّنُ^(١) وشدة التَضَرُّع، كل ذلك [يَجِبُ أَنْ]^(٢) يسترهُ مِنَ الْعِبَادِ إِذَا أَظْهَرَ
الْعَمَلَ بِجَوَارِحِهِ إِلَّا مَا قَدْ غَلَبَهُ مِنْهُ، وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ:

((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَظْهَرَ الْعَمَلَ بِجَوَارِحِهِ اسْتَوَتْ^(٣) سِرِّيَّتُهُ وَعِلَانِيَّتُهُ، قَالَ: اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ: [هَذَا]^(٤) فَلَانُ عَبْدِي حَقًّا))^(٥)، يَعْنِي وَلِيِّي حَقًّا وَاسْتَوَاءُ السَّرِيرَةِ^(٦)
وَالْعِلَانِيَّةِ^(٧) عَلَى جِهَتَيْنِ^(٨):

أحدهما: فِي الْفَرَضِ^(٩) وَالْأُخْرَى فِي النَّافِلَةِ^(١٠)، فَمَنْ^(١١) كَانَ فِي الْفَرِيضَةِ
فَكَانَتْ سِرِّيَّتُهُ أَكْثَرَ، أَقَلُّ مِنْ عِلَانِيَّتِهِ فِيمَا يَخْفَى^(١٢) مِنْ عَمَلِ جَوَارِحِهِ، وَمَا

(١) التَّحَنُّنُ أَصْلُ الْكَلِمَةِ هِيَ (حَنٌّ)، الْحَنِينُ: النَّزَاعُ الْمُتَضَمِّنُ مَعَ صَوْتٍ، وَلِذَلِكَ يُعْبَرُ بِالْحَنِينِ، وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: {وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا}، مَرِيَمُ: ١٣، الْآيَةُ.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٥٩.

(٢) الأزهري: يجب أن.

(٣) الأزهري: فاستوت.

(٤) الأزهري: هذا.

(٥) انظر: الزهد. وكيع بن جراح: ج ٣، ص ٨٤٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم:
ج ٢، ص ٢٠٥

(٦) السَّرِيرَةُ: مَا غَمَضَ مِنْهَا وَاطْمَأَنَّ، قَالَ تَعَالَى: {يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}، طه: ٧، أَقْضِيَتْ إِلَيْهِ فِي خَفِيَّةٍ.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٠٤.

(٧) الْعِلَانِيَّةُ: وَهُوَ الظَّاهِرُ الْأَمْرُ الَّذِي أَمْرُهُ عِلَانِيَّةٌ وَهُوَ خِلَافُ السَّرِيرَةِ.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج ٢، ص ١٥٨.

(٨) الأزهري: وجهين.

(٩) الْفَرِيضَةُ وَ (فَرَضٌ) أَيُّ أَوْجِبَ، وَالْإِسْمُ (الْفَرِيضَةُ) لَهُ مَعَالِمٌ وَحُدُودٌ، أَيُّ أَوْجِبَ عَلَيْكَ الْعَمَلُ بِهِ،
قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ} الْقِصَصُ: ٨٥، الْآيَةُ.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣٠.

(١٠) النَّافِلَةُ هِيَ الصَّلَاةُ، وَتُسَمَّى النَّافِلَةُ سُبْحَةً: وَهِيَ مِنْ صَلَوَاتٍ وَأَعْمَالٍ الْبَرِّ لَيْسَتْ مَفْرُوضَةً، وَكُلُّ
شَيْءٍ كَانَ زِيَادَةً عَلَى الْأَصْلِ فَهُوَ نَفْلٌ، أَيُّ: فَضِيلَةٌ، قَالَ تَعَالَى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ}،
الْإِسْرَاءُ: ٨٩ الْآيَةُ.

انظر: كتاب الألفاظ. يعقوب بن إسحاق: ج ١، ص ٤٦٠. لسان العرب. ابن منظور: ج ٢، ص ٤٧٣.

(١١) الأزهري: فما.

(١٢) الأزهري: يخفى.

يُخْفِي مِنْ ضَمِيرِ قَلْبِهِ فَقَدْ جَارَ وَأَسَاءَ.

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ: أَنْ يَكُونَ [فِي] ^(١) نَافِلَتِهِ ^(٢)، [فَإِنْ كَانَتْ] ^(٣) أَقْلٌ مِنْ سَرِيرَتِهِ ^(٤) [عَلَانِيَتُهُ] ^(٥) فِيمَا يُخْفِي ^(٦) مِنْ عَمَلِ جَوَارِحِهِ، فَقَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ جَائِزًا مُسِيئًا وَقَدْ لَا يَكُونُ مُسِيئًا.

فَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ بِهِ ^(٧) مُسِيئًا فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَا يَظْهَرُ مِنَ الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِ جَوَارِحِهِ ^(٨) عَلَى مَا يُخْفِي وَيَسْتَرُ لِيَكْثُرَ مَا وَيَكْمُلُهَا تَصْنَعًا لِلْعِبَادِ وَحُبًّا ^(٩) الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُمْ.

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ: الَّذِي لَا يَكُونُ [بِهِ] ^(١٠) مُسِيئًا وَيَكُونُ مَنْقُوصًا أَنْ يَكُونَ يَزَادُ عَلَى مَا يُخْفِي مِنْ نَافِلَتِهِ لِاتِّعَاضِهِمْ وَاعْتِبَارِهِمْ [وَلَا يَعْتَبَرُ هَذَا مُسِيئًا فِي] ^(١١) نَقْصِ الْأَتَكُونِ فِي سَرِيرَتِهِ.

فَإِنَّمَا ^(١٢) يُذَكِّرُ اللَّهُ بِالْكَمَالِ إِمَّا زِيَادَةَ ظَاهِرِهِ عَلَى مَا سَمِيَ فِيمَا يَظْهَرُ مِنْ عَمَلِهِ فِي عَقْدِ صَدَقَةٍ فَلَا يَكُونُ [بِهِ] ^(١٣) إِلَّا مُسِيئًا جَائِزًا، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا تَصْنَعًا

(١) الأَزهَر: فِي.

(٢) الأَزهَر: النَّافِلَةُ.

(٣) الأَزهَر: فَإِنْ كَانَتْ.

(٤) الأَزهَر: سَرِيرَتُهُ أَقْلٌ مِنْ.

(٥) الأَزهَر: عَلَانِيَتُهُ.

(٦) الأَزهَر: يُخْفِي.

(٧) الأَزهَر: فِيهِ.

(٨) الأَزهَر: الْجَوَارِحِ.

(٩) الأَزهَر: وَحُبًّا.

(١٠) الأَزهَر: بِهِ.

(١١) الأَزهَر: وَلَا يَعْتَبَرُ هَذَا مُسِيئًا فِي.

(١٢) الأَزهَر: لِأَنَّهُ.

(١٣) الأَزهَر: بِهِ.

وَرِيَاءٌ^(١) لَهُمْ، وَالنَّاسُ فِي اسْتِوَاءِ السَّرِيرَةِ وَالْعَلَانِيَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ :
فَإِذَا زَادَتْ الْعَلَانِيَةُ عَلَى السَّرِيرَةِ لَمْ تَحُلْ أَنَّ تَكُونَ مَعْصِيَةً أَوْ نَقْصًا إِلَّا مَا يَرِيدُ بِهِ الْقُدُوةُ.

وَإِذَا اسْتَوَتْ السَّرِيرَةُ وَالْعَلَانِيَةُ فَذَلِكَ الْعَدْلُ مِنْ^(٢) فِعْلِ الْعَبْدِ^(٣).
فَإِذَا زَادَتْ السَّرِيرَةُ عَلَى الْعَلَانِيَةِ فَذَلِكَ مِنْهُ فَضْلٌ وَعَظْمٌ دَرَجَةٍ فِي الطَّاعَةِ وَشَرَفٌ مَقَامٍ.

وَلَوْلَا أَنَّ الْأَثَارَ جَاءَتْ بِفَضْلِ السَّرِّ عَلَى الْعَلَانِيَةِ، وَإِنَّ النَّفْسَ وَالْعَدُوَّ^(٤)
يَنَازِعَانِ إِلَى طَلَبِ حَمْدِهِمْ^(٥) [لِلْمَخْلُوقِينَ]^(٦) وَخَوْفِ مَذْمَتِهِمْ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا
يَجُوزُ أَنْ^(٧) يَأْسَسَ بِالْمَخْلُوقِينَ كَأَنَسِهِ بِالصَّلَاةِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ فِي
عَلَانِيَتِهِ مِثْلَهُ فِي سَرِيرَتِهِ حَتَّى يُبْدِيَ إِذَا حَضَرَهُ^(٨) مِثْلَ مَا يَخْفِي إِذَا حَضَرَهُ^(٩)،
لَأَنَّهُ لَا مَعْنَى أَنْ يَخْتَارَ^(١٠) بِهِ مِنْ أَحَدٍ لَوْ يَدْرِكُ مَنَفَعَةً، فَهَمَّ فِي نَظَرِهِمْ إِلَى عَمَلِهِ

(١) الرِّيَاءُ: إظهار جميل الفعل رغبة في حمد الناس لا في ثواب الله تعالى.
انظر: معجم الفروق اللغوية. العسكري: ج ١، ص ٥٤٧.

(٢) الأَزهَر: في.

(٣) الأَزهَر: به.

(٤) الأَزهَر: العدو.

(٥) الأَزهَر: حمد.

(٦) الأَزهَر المخلوقين.

(٧) الأَزهَر: يجوز أن.

(٨) الأَزهَر: حضروه.

حَضَرَهُ: يَأْمُرُهُ بِالْجَدِّ فِي مِثْلِهِ.

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٢٩٧.

(٩) الأَزهَر: حضروه.

(١٠) يَخْتَرُ: هُوَ الْخَدِيعَةُ بَعِيْنَهَا، هُوَ ضَعْفُ الْاجْتِهَادِ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَجْدُ بِأَيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ لقمان ٣٢، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٧٤. تاج العروس: ج ١١، ص ١٣٥.

وزوالِ النظر منهم واحد لا معنى يوجبُ نظرهم خيراً في دين، ولا [في] ^(١) دنيا لأنهم كالبهائم ^(٢) في نظرهم ^(٣) من جهة المنفعة له في دنياه وفي آخرته إذ لا يملكون نفعا ولا ضرا، ولكن جاءت الآثار بفضل السر وهو أحرزُ العاملين وأبعدُ من قوة الخاطر، والعامل المحبَّ لله تعالى ينقبضُ ^(٤) من ^(٥) الخلق ولا يأنسُ بهم، ويأنس بالخالق فييدي كل ما عنده [إليه] ^(٦).

وقال: ثلاثٌ خلال يرثها التارك [محبوباته] ^(٧) لله عزَّ وجلَّ [خوفاً] ^(٨) ما ^(٩) يباعدهُ منه، إحداها: أَنْ يَأْلَفَ [في] ^(١٠) العملِ حلاوة الآمال في الله عزَّ وجلَّ أَنْ يطلع بالرضى على مَنْ تَرَكَ مَحَبَّتَهُ لمحبتِهِ.

والثانية: إياسُ النفس مَّا عَوَّدها مِنَ الرُّكُونِ ^(١١) إلى ما يكره الله عزَّ وجلَّ مَّا تَلْتَذُّ ^(١٢) به ويسرُّها لَأَنَّ مِنْ عَوْدَتِهِ عادةً ثُمَّ مَنَعَتْهُ لَمْ ييأسْ مَّا عَوْدَتِهِ فإذا

(١) الأزهر: في.

(٢) البهائم من البهيمة التي لاتطق لها، قال تعالى: {أُجِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ}، المائدة: ١. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٤٩.

(٣) الأزهر: نظره.

(٤) يَنْقَبِضُ: قرقف، يمضي. كنوع، وفي الحديث: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُنُوعِ». انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٥، ص ١٤٢. غريب الحديث. أبي عبيد القاسم: ج ٣، ص ٩٧٤.

(٥) الأزهر: عن.

(٦) الأزهر: إليه.

(٧) الأزهر: محبوباته.

(٨) الأزهر: خوفاً.

(٩) الأزهر: مما.

(١٠) الأزهر: في.

(١١) الرُّكُون: مَنْ رَكُنَ كُل شَيْءٍ جَانِبِهِ، قال تعالى: {وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}، هود: ١١٣.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن: ج ٢، ص ٧٩٩.

(١٢) الأزهر: تستلذ.

أَدَمَنْتُ^(١) الْمُنْعُ^(٢) وَرَأَى^(٣) الْجَدَّ^(٤) فِي الْمُنْعِ لَهُ أَمْنٌ^(٥) فَسَكَنَ فَإِذَا يَسَّتَ^(٦) النَّفْسُ فَسَكَنْتَ عَنِ الْمَنَازِعَةِ بَقِيَ الْعَمَلُ بِحُلَاوَةِ مُعَامَلَتِهِ وَمَنَاجَاتِهِ.

والثالثة: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ عَلَيْهِ بِالْمَعُونَةِ لَهُ إِذَا يَسَّرَ لِلْسَّالِكِينَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ تَسْهِيلُهُ وَتَخْفِيفُهُ عَلَيْهِمْ فَيَصِيرُ الْعَمَلُ^(٧) مِنْهُ فِي مَا كَانَ يَسْرُ^(٨) بِهِ وَ[يَصِيرُ]^(٩) سُرُورُهُ فِيهَا كَانَ يَغْتَمُّ^(١٠) بِهِ لِأَنَّ سُرُورَهُ كَانَ فِي إِصَابَةِ لَذَّتِهِ^(١١) فَصَارَ سُرُورُهُ فِي تَرْكِهَا رِضَى لِرِضَى رَبِّهِ وَصَارَ عَمَلُهُ فِي الرُّكُونِ إِلَيْهَا خَوْفًا^(١٢) مِنْ [سَخَطِ]^(١٣) رَبِّهِ وَأَنْ يَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ وَمَا يَصِيبُ مِنَ لَذَّةِ التَّرْكِ لِأَجْلِ الرِّضَى أَكْثَرَ مِنْ لَذَّةِ

(١) الأزهر: أَمَنْتَ.

(٢) المنع: أَنْ تَحُولَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُهُ، رُويَ عَنِ الثَّبِّي (ص)، أَنَّهُ قَالَ: (اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ)

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي: ج ٣، ص ١٤.

(٣) الأزهر: ورأت.

(٤) الجد: بالكسر ضد الهزل، أي عزم ومضى فيه.

انظر: الابانة في اللغة. سلمة بن مسلم العوتبي: ج ٢، ص ٣٤٥.

(٥) الأزهر: أَمَنْتَ.

(٦) الأزهر: أَيْسَتَ.

(٧) الغم: أي كربة قال تعالى: {ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً}، يونس: ٧١، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦١٣.

(٨) الأزهر: يسره.

(٩) الأزهر: يصير.

(١٠) الأزهر: به.

(١١) لذته: من لذته: وقد لذت الشيء وجدته لذياً، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرِ لَذَّةٍ، مُحَمَّدٌ: ١٥، الآية.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٤، ص ٢٩٤.

(١٢) الأزهر: من.

(١٣) السَّخَطُ: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، قال تعالى: {وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ}، التوبة: ٥٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٠٢.

الركون إلى [عمل] ^(١) ما يكره الله عز وجل.

لأنه لو ركنَ إلى ذلك [العمل] ^(٢) كانت لذته في وقت ركونه فقط، فإذا ترك [شهوته] ^(٣) لله تُلذِّذ به ما صحب الدنيا إذا ذكر إنه تركها لله وإنه يرجو أن يكون قد رضي عنه وداوم عز الوثيقة أكثر في القلب ^(٤) من لذة الشهوة أنه يلتذ بموافقتها في وقت شهوته [غفل عن ترك شهوته] ^(٥) فإذا عقل أهتم أيام حياته إذا كان لا يأمن أن يكون قد سخط الله تعالى ^(٦) عليه بذلك فما دونه عز اللذة أكثر في قلبه من إصابة اللذة.

(١) الأزهر: عمل.

(٢) الأزهر: العمل.

(٣) الأزهر: شهوته.

(٤) الأزهر: في القلب أكثر.

(٥) الأزهر: غفل عن ترك شهوته.

(٦) الأزهر: الله تعالى قد سخط.

مسألة في الشهرة

قلت: ما الشهرة؟

قال: هي فعلٌ أو زِيٌّ^(١) يبينُ به فاعله عن العوام في فعلهم وزيمهم، فتلك هي الشهرة، وذلك كَاللِّبَاسِ يلبسُه العبدُ خلافَ زِيِّ العَوَامِ^(٢)، أو كَرَكُوبِ المَرْكَبِ أو زِيِّ المَرْكَبِ، أو التَّكَلُّفِ لِلزِّيِّ في بدنه؛ كحلقه الشعرَ أو ترفيعه أو تطويله، وكذلك [في]^(٣) إظهار الذِّكْرِ بِجَهْرٍ^(٤) الصَّوْتِ، أو عَضَّةٍ^(٥) العوام، أو ما شابه ذلك مما يبينُ به فاعله عن العَوَامِ.

ثم اختلفَ الناسُ فيما نُهيَ عنه مِنَ الشُّهْرَةِ و[ما]^(٦) كُرِهَ منها، فقال قوم: من فعلٍ ما حَرَّمَ اللهُ عليه لِزِيٍّ^(٧) أو غَيْرِهِ كلبسِ الحريرِ^(٨) والدِّيَاجِ^(٩) أو لبسِ

(١) الزِّيُّ: هو الهيئة التي عليها الناس، والجمع أزياء. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٢١، ص ١٩٠٣.

(٢) العَوَامُ: هامة الرَّاكِبِ إذا بدا لَكَ رأسه من الصَّخْرَاءِ وهو يسير، وهو الذي عليه عمامة. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٣٤، ص ٣١٧٨.

(٣) الأزهر: في.

(٤) جَهْرٌ: الجيم والهاء والراء أصلٌ واحد، وهو إعلانُ الشيء وكشفه وعلوه. انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ١، ص ٤٧٨.

(٥) العَضَّةُ: الإفكُ والبهتانُ والقولُ الزور، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا أنبئكم ما العَضَّةُ؟) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (هي التَّمِيمَةُ). انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ٩٤.

(٦) الأزهر: ما.

(٧) الأزهر: من زي.

(٨) الحرير: الحرير، وهو القهز ثياب بيض ناعمة من القز، يُجلب من مصر، وقد نُهيَ عن لبسها. انظر: المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ١، ص ٣٨٦.

(٩) الدِّيَاج: نوع من شفاف الثوب يظهر ما وراءه من رفته.

الذهب أو تطويل الشعر بغير فرق خلاف السنة، أو تطويل الشاربين أو ما أشبه ذلك مما نُهي عنه في كتاب أو سنة.

لأن كل ما لم يُنه عنه في كتاب أو سنة فمباح حلال طلق، والله والرسول^(١) لا يحظران^(٢) المباح للعباد بعد إباحته إلا بالنسخ له بالنهي؛ فيدخل في باب النهي لا في^(٣) باب الإباحة، وما سوى ذلك فمباح من لبس الصوف أو ركوب على غير ما يركب العوام؛ كالرجلين إلى جانب أو كما تيسر، أو غير ذلك.

وقال قوم: الشهرة ما نُهي عنه من الفعل وإن كان المفعول به ليس بمحرّم، ومن ذلك تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال في زيهم وركوبهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن^(٤) المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء^(٥)، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم»^(٦).

فإن لبس الرجل قميص برشكات^(٧) أو تقنع بمقنعة^(٨) أو صبغ قميصه

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي الأزدى: ج ١، ص ٤٧٣.

(١) الأزهري: ورسوله.

(٢) يحضر: فإذا انتهوا إلى المستقبل قالوا يحضر، بالضم، رجوعًا إلى الأصل.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ١١، ص ٣٨.

(٣) الأزهري: مع.

(٤) اللعن: هو الطرد والإبعاد على سبيل السخط من الله، قال تعالى: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}، هود: ١٨.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٤١.

(٥) انظر: المستدرک على الصحيحين. الحاكم: ج ٤، ص ٢٧٠. سنن الترمذي. محمد بن عيسى: ج ٥، ص ٩٨.

(٦) انظر: صحيح البخاري: ج ٥، ص ٢٢٠٨. مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٦٦. سنن الترمذي: ج ٥، ص ٩٨.

(٧) برشكات: وهو يأتي باللفظ على القميص: جمعه قمصان، فإن كانت رقبة القميص ونهاية الأكمام مزخرفة تدعى برشكات.

انظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٢، ص ٤٢.

(٨) مقنعة: تشير كلمة إلى نوع من القماش الشاش الموصل للملون، ويصنع أيضًا من الحرير، يضعه النساء للوجه.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٣، ص ١٨٦.

بعضفر^(١) أو الورس^(٢) وغير ذلك، كذلك إن لبسَ [الرَّجُلُ]^(٣) الحُلِّيَّ في يديه أو رجلَيْه، وكذلك إن تَزَعَفَر^(٤) أو تَخَلَّقَ وأمثال ذلك؛ فذلك الشهرةُ في الرجالِ إذا فعلوه وتزيَّنوا [به]^(٥) لخلافِ فعالِ الرجالِ من المؤمنين وزيمهم.

وكذلك النساءُ أن يلبسنَ الأَقْبِيَّةَ^(٦) أو قُمصَ الرجالِ المخطوطات، ويظهرنَ الشَّعُورَ^(٧) كالرِّجَالِ، وَيَلْبَسْنَ النِّعَالَ^(٨) على حُذَا الرجالِ، ويتفرَّسْنَ^(٩) على الدَّوَابِ أو يتقلَّدنَ^(١٠) السُّيُوفَ ويأخذنَ الرِّمَاحَ، أو يتردَّدنَ^(١١) في الطرقاتِ، أو

(١) العصفور: نبات سلافته الجريال، وقد عَصَفَرَتِ الثوبُ فتعصفُرُ أي صَبَغَتْهُ بِلَوْنٍ. انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٩، ص ١٨٣.

(٢) ورس: نبت أصفر يكون باليمن تُتَّخَذُ منه الغمرة للوجه، وتَعَطَّرُ به الكوفية وردنان الثياب. انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٨، ص ٣٣.

(٣) الأزهر: الرجل.

(٤) تزعفر: أصل الكلمة (الزغفران): هذا الصبغ معروف وهو من الطيب. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ١٨٣٣.

(٥) الأزهر: به.

(٦) الأقبية: هي جمع قباء. توصف للثياب المجتمعة أطرافه شديد الضيق من الأعلى، وتكون من الحرير أو الديباج. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٥٢٣. معجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٣، ص ٣٣.

(٧) الشعور: أصل كلمة الشعر، والشعر مذكران ونبتة الجسم، وجمعه أشعار وشعور. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٤، ص ٢٢٧٤.

(٨) النعل والنعلة: ما وُقِيَتْ به القدم من الأرض، خرطت صدرها ودَقَّقَتْهَا مقابلتها أن تنثى ذؤابة، الشراك: سير النعل. انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن المرسى: ج ٢، ص ١٥٩.

(٩) الأزهر: وسفرهن.

ويتفرسن: وهي كلمة لأصل ركوب الدابة (الفرس)، وجمعها فرسن، فرسن. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٣٨٢.

(١٠) يتقلدن: من قلد: (قلد) القاف واللام والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء ولية به. انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٥، ص ١٩.

(١١) يتردَّدن من تردَّد: حيث كثرت الفعل. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٨، ص ١٦٢١.

ما أشبه ذلك، فتلك الشهرة بعَيْنِهَا فِيهِنَّ^(١)؛ فقد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الرجال والنساء، وَإِنْ كَانَ^(٢) الثيابُ التي يلبسون ويتزينون بها ليس بمحرمة.

وقال قوم: الشهرة خلاف ما يلبسه أهل الدين من زِيِّ الرُّهْبَانِ^(٣) من البرانيس^(٤)، وجباب^(٥) الصوف السود التي [لبست]^(٦) ليس بزي المسلمين، وإذا خرج من زِيِّ المسلمين إلى زِيِّ أهل الكتاب فهو مشهور في^(٧) المسلمين إذا كان ليس من زِيِّهِمْ وَلَا مِنْ لِبَاسِهِمْ.

(١) الأزهر: منهن.

(٢) الأزهر: كانت.

(٣) الرهبان: من الرهبانية أي غلَوْ في التعبد، قوله تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ}، الحديد: ٢٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٦٦.

(٤) الأزهر: البرانس.

البرنس: قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام، تيرنس أي الرجل لبس البرنس. انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٢، ص ٤٧.

(٥) الأزهر: جيب.

جبة: وهو رداء طويل من الصوف مفتوح، وجاءت الكلمة من (الوجب) وهو سقاء عظيم: أي من جلد نيس وافر.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٤٧٦٨. معجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٣، ص ٣١.

(٦) الأزهر: لُبِست.

(٧) الأزهر: بَيَّنَ.

فَأَمَّا لِبَاسُ الصُّوفِ وَالرَّقَاعِ ^(١) لِلخُرُوقِ الَّتِي تَحْدُثُ فِيهِ، وَتَشْمِيرُ ^(٢) الثِّيَابِ، [وإِسْدَالُ ^(٣) الشعور] ^(٤)، وَاسْتِئْصَالُ ^(٥) الشعر، وَالرُّكُوبُ فِي جَانِبٍ؛ لِيَكُونَ أَسْهَلَ لِرُكُوبِهِ، فَمَا زَالَتِ الرِّسْلُ وَالنَّبِيُّونَ وَالصَّالِحُونَ يَفْعَلُونَ [ذَلِكَ] ^(٦) وَعَوَامُ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ كَالْحَالِيِّينَ وَالْمَلَاحِينَ وَغَيْرِهِمْ، كَيْفَ ^(٧) يَكُونُ شَهْرَةً أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَهُ الصَّالِحُونَ [مَنْ] ^(٨) قَبْلَهُ ^(٩) وَمَا يَفْعَلُهُ فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَعَوَامِهِمْ ^(١٠) وَأَهْلُ صَنَاعَاتِهِمْ ^(١١).

وَهَذَا الْمَبْيِّنُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّمَا ^(١٢) هُوَ كَوَاحِدِهِمْ، بَلْ قَدْ لَزِمَ زِيَّ الصَّالِحِينَ قَبْلَهُ، وَإِنَّمَا الشَّهْرَةُ خَوَاصٌّ لِلْأَغْنِيَاءِ ^(١٣) الْمُتَرَفِّينَ بِأَحْدَاثِهِمُ الزَّيِّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَتَزَيَّنُ ^(١٤)

(١) الرِّقْعَةُ: جَمْعُهُ (الرَّقَاعُ): أَيِ يَلْحَمُ الثُّوبَ، وَفِيهِ مَرْتَقَعٌ لِمَنْ يَصْلَحُهُ أَيِ مَوْقِعِ الْخِيَاطَةِ، وَكُلُّ مَا سَدَّ خَلَّةً فَقَدْ رَقَعْتَهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٣، ص ١٧٠٥.

(٢) تَشْمِيرُ: أَيِ كَفَّتِ الشَّيْءَ إِذَا صَمَّمْتَهُ إِلَى نَفْسِكَ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٨٩٦.

(٣) إِسْدَالُ: مِنْ سَدَلٍ، وَهُوَ سَدْلُ الشَّعْرِ وَالثُّوبِ، أَيِ إِرخَاؤُهُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٢٩، ص ١٤٩.

(٤) الْأَزْهَرُ: وَإِسْدَالُ الشَّعْرِ.

(٥) الْاسْتِئْصَالُ: مِنَ الْجَذْرِ، جَذَرْتُ الشَّيْءَ جَذْرًا أَيِ: اسْتَأْصَلْتَهُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ١٠، ص ٣٩٠.

(٦) الْأَزْهَرُ: ذَلِكَ.

(٧) الْأَزْهَرُ: وَكَيْفَ.

(٨) الْأَزْهَرُ: مَنْ.

(٩) الْأَزْهَرُ: قَبْلَ.

(١٠) الْأَزْهَرُ: وَعَوَامُ الْمُسْلِمِينَ وَالْفُقَرَاءِ.

(١١) الْأَزْهَرُ: الصَّنَاعَاتُ.

(١٢) الْأَزْهَرُ: وَإِنَّمَا.

(١٣) الْأَزْهَرُ: وَالْمُتَرَفِّينَ.

(١٤) الْأَزْهَرُ: يَتَزَيَّنُ.

به الرسل والأنبياء؛ كالطيالسة^(١) الطرازية^(٢) والمطبقة^(٣) والثياب الناعمة.

قال قوم^(٤): الشهرة على قدر الأزمنة لا على قدر الفعل؛ لأننا قد وجدنا عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين قد لبسوا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعدها البرانس، ومن ذلك ما روى وائل بن حجر^(٥): أنه رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم البرانس، ثم التابعين من بعدهم؛ شريح^(٦) وإبراهيم^(٧) والشعبي^(٨) وغيرهم، فهو في زماننا اليوم شهرة؛ لأنه لم يترين به إلا النصارى.

(١) الطيالسة: من الطيلسان؛ وهو كساء أسود اللون، وإنه لباس التشريف.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٣، ص ٣٠.

(٢) الأزهر: الطرازية.

الطرازية: من كلمة طرّز، الثوب تطرّزاً، والطرز والطرّاز تعني الهيئة.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٨، ص ١٨٣.

(٣) والمطبقة: من الطبق: كل غطاء لازم على شيء، والجمع أطباق معناه بعضه فوق بعض.
انظر لسان العرب. ابن منظور: ج ٦، ص ٢٦٤٠.

(٤) القوم: وائل بن علقمة، الإمام أحمد بن حنبل ٢٤٦ هـ، الإمام مسلم بن الحجاج ٢٦١ هـ.
انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود. محمد أشرف أبادي: ج ٣، ص ٣٠٦.

(٥) هو وائل بن حجر بن سعد المعروف بأبي هنيذ الحضرمي، أحد الأشراف، كان سيد قومه ونزل العراق.
انظر: سيرة أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٥٣٧.

(٦) خويلد بن عمرو الخزاعي ثم الكعبي، وقيل عمرو بن خويلد وقيل كعب بن عمرو، أسلم قبل الفتح، وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح، وروى عن النبي (ص) أحاديث، وعن ابن مسعود (رض) وعن نافع بن جببر، قال ابن سعد: مات في ٦٨ هـ.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. شهاب الدين العسقلاني: ج ٧، ص ٩٨.

(٧) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن مالك بن النخعي، اليماني ثم الكوفي، الإمام الحافظ فقيه العراق، حدث عن: خاله مسروق، وزيد، وتعدّ خالته من الرضاة السيدة عائشة، روى عنه: الحكم بن عتيبة، وعمرو بن مرة حافظاً، صاحب سنة، مات سنة ٩٥ هـ.
انظر سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٥٢٩.

(٨) هو عامر بن شرحبيل بن عبد الشعبي، ابن ذي كبار من قبائل اليمن، علامة عصره، وحدث عن: سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، شريح، روى عنه: أبي عينة، وحمام، وأبو إسحاق، وأبو حنيفة مات سنة ١٠٤ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٩٦.

وكذلك الرقاع في الثياب^(١) [من الأذم^(٢)] وغيرها كما فعل عمر رضي الله عنه في زمانه، فهو اليوم شهرة في أهل الدين خاصة، لا في أهل الفقر و[المسكنة بل في]^(٣) المسلمين الذين لا يشار إليهم بالأصابع ولا ينتقد العامة زِيَهُمْ وفعلهم، وهو قول إبراهيم^(٤): «البس من الثياب ما لا يزدريك^(٥) السفهاء^(٦) ولا يشهرك العلماء^(٧)». فهو لباس كل زمان في علمائهم وعامتهم.

وقال قوم: ليس^(٨) للشهرة على قدر الأزمنة؛ لأن الجماعة الأولى هم [أهل]^(٩) الحق، وعلى من أتى بعدهم اتباعهم^(١٠)؛ ففعل الآخرين لا ينسخ فعل الأولين من أهل الدين، بل فعل الأولين وقولهم حجة ثابتة أبداً، حُولفت في زمن من الأزمنة بعدهم أو لم تخالف [فتلبس]^(١١)، لا البرانس ولا الرقاع ولا

(١) الأزهر: في رقاع الثياب.

(٢) ذم يذم ذمًا وهو اللوم في الإساءة. أتى بما يعاب عليه، ويلازم من أجله «أمر مذم». انظر: تهذيب اللغة. محمد الأزهرى الهروي: ج ١٤، ص ٢٩٢.

(٣) الأزهر: من الأذم.

(٤) الأزهر: المسكنة بل في.

(٥) إبراهيم النخعي.

(٦) يزدريك مصدرها الازدراء: الاحتقار وانتقاص الشيء. قال الله تعالى: لَوْلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ، هود: ٣١. الآية وقول: عمر بن الخطاب (رض) عند دخوله القدس: (إن هؤلاء لا يرون علينا بزة قوم، غضب الله عليهم أعينهم تزدرينا).

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٣، ص ١٢٥. الزهد. لأبي وكيع: ج ١، ص ٩٠.

(٧) السفهاء من السفه: استعمالها لخرة النفس ولنقصان العقل في الأمور الدنيوية، والآخرية، قال تعالى: (يسيقول السفهاء من الناس)، البقرة: ١٢٤، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤١٤.

(٨) جاء الحديث: عن الشعبي، قال: (البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبه عليك العلماء). انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج ٤، ص ٣١٨. الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج ٣، ص ٨٣. الجامع الخطيب. البغدادي: ج ١، ص ٣٨٢.

(٩) الأزهر: ليست.

(١٠) الأزهر: أهل.

(١١) الأزهر: اتباع لهم.

(١٢) الأزهر: فتلبس.

لباس العباد من الصوف بشهرة، ولكن زيَّ مَنْ مَضَى.

فإن أَطْبَقَ أَهْلُ الزَّمانِ على خِلافِهِ بِالزَّيِّ والرُّكُوبِ، كما كانت الأنبياء عليهم السلام تسدُّ (١) أَرْجُلَهَا (٢) مِنْ جَانِبٍ واحدٍ، فاللباس [ليس] (٣) شُهْرَةً (٤)، والقائم بذلك لا هو [ما] (٥) شهر نفسه، ولكنه تمسك بزيٍّ مَنْ مَضَى وأفعالهم، ورغموا (٦) هم عنه ليس فعَّالُهُ (٧) شُهْرَةً (٨)، بل [وإنما هو] (٩) مقتد متَّبِع (١٠)، إنما (١١) يراد منه (١٢) [العبد] (١٣) صحَّة إرادته لله تعالى في ذلك، وفعاله تلك على صحة الأسباب.

وقال قوم: ليست الشهرة على قَدَرِ الأُزْمِنَةِ ولا على قَدَرِ اللِّباس؛ لأنَّ عَامَّةَ الشُّهْرَةِ في زَمَننا قد فعَّله (١٤) أَهْلُ الدين، وإنَّما هو (١٥) على قَدَرِ الرِّجَالِ في أنفُسِهِمْ، [وإنما] (١٦) يشهر اللباس الرِّجَالُ على قدر ذلك؛ لأنه لو تنسَّك بعض الملوك

(١) الأزهر: يسدُّون.

(٢) الأزهر: أرجلهم.

(٣) الأزهر: ليس بشهرة.

(٤) الأزهر: بشهرة.

(٥) الأزهر: وما.

(٦) الرِّغم: محنة أن يفعل ما يكره على كره وذل، وأرغمته: حملته على ما لا يمتنع منه.

انظر: العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي: ج ٤، ص ٤١٧.

(٧) الأزهر: وفعلهم.

(٨) الأزهر: وفعلهم ليست شهرة.

(٩) الأزهر: وإنما هو.

(١٠) الأزهر: تقيد واتباع.

(١١) الأزهر: وإنما.

(١٢) الأزهر: من.

(١٣) الأزهر: العبد.

(١٤) الأزهر: فعلها.

(١٥) الأزهر: هي.

(١٦) الأزهر: وإنما.

ثُمَّ لَبَسَ زِيَّ الْمَسَاكِينِ مِنَ الصُّوفِ وَغَيْرِهِ لَاسْتَنْكَرَتْهُ الْعَامَّةُ وَشَهَرَتْهُ بِالْحَدِيثِ وَالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ خَلَّافَ زِيَّهِ وَزِيَّ أَهْلِ بَيْتِهِ، لِأَنَّهُ ^(١) قَدْ لَبَسَ ذَلِكَ اللَّبَاسَ مِنَ الْعَوَامِ وَالْحَمَلِينَ، وَغَيْرِهِمْ؛ فَلَا ^(٢) تُشْهِرُهُ الْعَامَّةُ وَلَا تَسْتَنْكِرُهُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ وَلَدَانِ عُمَرَ ^(٣) أَنَّهُ لَبَسَ ثَوْبًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَمَرَ ^(٤): أَمَّا عَلَيْكَ أَنْتَ فَهُوَ شُهْرَةٌ، وَكَذَلِكَ كُلٌّ مَنِ عُرِفَ بِزِيٍّ مِنْ زِيِّ الْأَغْنِيَاءِ فَغَيَّرَ زِيَّهُ إِلَى التَّقَشُّفِ ^(٥).

كَمَنْ عُرِفَ بِلِبَاسِ ^(٦) الْمَرْوِيِّ ^(٧) (فَانْتَقَلَ إِلَى اللَّبَاسِ الصُّوفِ وَاسْتَنْكَرَتْهُ الْعَامَّةُ عَلَى قَدَرِهِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيْسَ أَيْلَهُ بِالْأَصَابِعِ) ^(٨)؛ وَهَذَا لِيَكْثُرَ ^(٩) فِيهِ الْأَحَادِيثُ، وَكُلٌّ مِنْ عُرِفَ بِلِبَاسٍ [مِنْ] ^(١٠) الصُّوفِ الَّذِي قَدْ لَبَسَهُ ^(١١) الْعَامَّةُ فَانْتَقَلَ إِلَى الْمَشْهُورِ

(١) الأزهري: لأَنَّهُ.

(٢) الأزهري: فَلَا.

(٣) ولدان عمر: هو عبيد الله بن عمر ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. الإمام المجود الحافظ أبو عثمان القرشي، سمع من: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد ونافع، وخاله حبيب بن عبد الرحمن. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ٣٠٥.

(٤) ابن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن القرشي الإمام القدوة محدث، وفقهه، محل ثقة الناس، روى عن: النبي (ص)، أبو بكر، عمر بن الخطاب، روى عنه: آدم بن علي، وأنس ابن سيرين، والحسن البصري، توفي سنة ٧٣ هجرية. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ٢٠٤.

(٥) التقشف: لبس الثياب المرقعة الوسخة، والتقشف: شدة العيش، والمتقشف: المتزهّد.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد البركتي: ج ١، ص ٦٠.

(٦) الأزهري: بلبس.

(٧) المصنف رحمه الله.

(٨) قال الجنيد البغدادي: (مات أبو الحارث وفي موته كان محتاج إلى دانق فضة، وخلف أبوه مالاً كثيراً، وما أخذ منها). انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٢٧. مذهب أهل التصوف. الكلاباذي: ج ١، ص ١١٤.

(٩) الأزهري: تكثر.

(١٠) الأزهري: من.

(١١) الأزهري: لبسته.

منه، كالعباء المَخْطَطِ^(١)، والشَّمْل^(٢)، والبُرود^(٣)، وعلى زِيِّ الأعراب، ألا تَرَى أَنَّ الأعرابَ لَا يَسْتَنَكِرُونَ^(٤) ذلك منهم؛ لِأَنَّهُ زِيَّهِمُ الَّذِي يُعَرَفُونَ بِهِ، وَيُسْتَنَكِرُ مِنْ غَيْرِهِمْ، ذلك دليلٌ [على]^(٥) أَنَّ الشُّهْرَةَ عَلَى أَقْدَارِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الشُّهْرَةَ إِنَّمَا يُسَمُّونها هَذَا الاسمَ؛ لِاسْتِنْكَارِ النَّاسِ لَهَا صَارَتْ^(٦) عِنْدَهُمْ شُهْرَةً. وكذلك إِنَّ لَيْسَ الْجَوْرِبَ^(٧) كِلْبَاسِ المَلَّاحِينَ أَسْتَنَكِرَ ذلك منه، وَلَا يُسْتَنَكِرُ مِنَ المَلَّاحِينَ، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى قَدْرِ^(٨) النَّاسِ إِذَا^(٩) انْتَقَلَ^(١٠) عَمَّا يُعَرَفُ^(١١) بِهِ فِي زِيٍّ أَوْ فِعْلٍ مِمَّا يَسْتَنَكِرُهُ الْعَامَّةُ كَانَ شُهْرَةً.

وقال قومٌ: ليس هو على قدر الأزمنة ولا على أقدار الناس؛ لِأَنَّ عَلَى النَّاسِ الِاتِّبَاعَ، وَقَدْ كَانَ الصُّوفُ وَغَيْرُهُ لِبَاسَ مَنْ مَضَى، وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا تَنَسَّكَ

(١) العباءة المخططة، وتسمى سبان: وهي عبارة عن ملحف صغير مفتوح من الجهة الأمامية لا أكمام لها فيها تقويرات لمد الذراعين خاصة بالبدو، وهي من الصوف الجوخ الرقيق المخطط المبروم الموزع على سطور بيضاء وسوداء.

انظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٣، ص ١٥٤.

(٢) الشَّمْل: هو كِسَاءٌ غير مطرَّز مصنوعٌ من الصوف، قال رسول الله «الْبُرْدَةُ هِيَ الشَّمْلَةُ».

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٦٤. السنن الكبرى: ج ٣، ص ٥٦٦.

(٣) البُرود: قطعة طَوِيلَةٌ مِنَ القُمَاشِ الصُّوفِيِّ السَّمِيكِ، وَمُمْكِنٌ أَنْ تَكُونَ غِطَاءً فِي اللَّيْلِ، وَيَكُونُ لَوْنُهَا رَمَادِيًّا، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ: كَانَ الرَّسُولُ (ص) لَهُ بُرْدَةٌ قَصِيرَةٌ يَوْمَ الْفَتْحِ.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب: ج ٢، ص ٤٣. السنن الكبرى. البيهقي: ج ٣، ص ٣٨٨.

(٤) الأزهر: يستنكر.

(٥) الأزهر: على.

(٦) الأزهر: فصارت.

(٧) الجورِب: الجَمْعُ هُوَ جَوَارِبَ، وَجَوْرِبُهُ أَيْ أَلْبَسَهُ الْجَوْرِبَ فَلَبِسَهُ (لغة)، يَقُولُ الرَّحَالَةُ نَبِيرُ (ان) الشَّرْقِيِّينَ يَلْبَسُونَ أَقْدَامَهُمْ وَسِيْقَانَهُمْ بِخَرْقٍ صُوفِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَهَذِهِ الْخَرْقُ تَحْمِيهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، وَيَقُولُ ابْنُ بَطُوْطَةَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَدُّونَ الْجَوْرِبَ حِينَ طَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ؛ لِحِمَايَةِ أَقْدَامِهِمْ مِنَ الْحَرَاةِ.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ١، ص ٢٥.

(٨) الأزهر: أقدار.

(٩) الأزهر: فإذا.

(١٠) الأزهر: انتقلوا.

(١١) الأزهر: يعرفون.

انتَقَلَ عَنْ زِيَّهِ إِلَى زِيِّ النَّسَّاكِ^(١)، فَمَنْ جَعَلَهُ عَلَى أَقْدَارِ النَّاسِ لَمْ يَأْمَنْ^(٢) مَنْ تَسَّكَ أَنْ يَنْزَعَ الْوُشْيَ^(٣) وَالْخَزَّ^(٤)؛ لِأَنَّهُ قَدْ عُرِفَ بِهِ، وَلَا رُكُوبَ الْمَرَائِبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَقَدْ تُزَكِّهِ نَفْسُهُ عَلَى ذَلِكَ.

أَمَّا تَنْعُمُهُ بِالْدُنْيَا وَالتَّكَثُّرُ مِنْهَا^(٥) فَمَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ^(٦) يَتَقَلَّلُونَ إِذَا تَابُوا وَأَرَادُوا الزُّهْدَ فِي زِيَّهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ إِلَى حَالِ التَّقَشُّفِ فِي اللَّبَاسِ وَغَيْرِهِ، إِمَّا حَرَامًا فَيَنْتَقِلُونَ^(٧) عَنْهُ وَيَأْخُذُونَ الْقَلِيلَ مِنْهُ وَيَرْفُضُونَ الرَّفِيعَ مِنَ الزِّيِّ وَاللَّبَاسِ إِذَا^(٨) لَمْ يُمَكِّنْهُمْ أَخْذَهُ مِنْ حَيْثُ مِمَّا^(٩) يَجَلَّ فَيَدْعُوهُ^(١٠) وَرَعَا وَيَأْخُذُوا^(١١) [فِي^(١٢) الْأَقْلَ الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَبَاحِ، أَوْ يَزْهَدُوا^(١٣) فِي الدُّنْيَا وَيَدْعُوا^(١٤) الرَّفِيعَ مِنْ

(١) النَّسَّاك: أَي عَابِد، وَهُوَ مِنَ النَّسَّاكِ: الْعِبَاد.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: ج ٢، ص ٢٦٧.

(٢) الْأَزْهَر: يَأْمَنْ.

(٣) الْوُشْي: الْعِمَامَةُ الصَّغِيرَةُ، وَتُطْلَقُ عَلَيْهَا شَأْنِيَّةٌ مِنَ الْوُشْيِ قَصِيرَةٌ لَا تَدُورُ إِلَّا عِدَّةُ دَوْرَاتٍ عَلَى الرَّأْسِ.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ١، ص ٦٩.

(٤) الْخَز: وَهُوَ قِطْعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الشَّاشِ الْمَوْصَلِيِّ أَوْ مِنَ النَّسِيجِ الصُّوفِيِّ الَّذِي يَطْوَى وَيُلَفُّ عِدَّةَ لَفَاتٍ حَوْلَ الطَّرَبُوشِ.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٢، ص ٦٩.

(٥) الْأَزْهَر: فِيهَا.

(٦) الْأَزْهَر: النَّاسِ.

(٧) الْأَزْهَر: فَ. يَنْتَقِلُونَ.

(٨) الْأَزْهَر: إِنْ.

(٩) الْأَزْهَر: أَمَّا.

(١٠) الْأَزْهَر: فَيَدْعُوهُ.

(١١) الْأَزْهَر: وَيَأْخُذُونَ.

(١٢) الْأَزْهَر: فِي.

(١٣) الْأَزْهَر: يَزْهَدُونَ.

(١٤) الْأَزْهَر: وَيَدْعُونَ.

الثَّيَاب^(١) وغيرها من الحلالِ وَيَقْتَصِرُوا^(٢) على الأقلِّ، وَيُقَدِّمُوا ما أَفْضَلَ^(٣) منهم لَيَوْمِ الْمَعَادِ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ مِنَ الْعِبَادِ قُوَّةَ قُلُوبِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا صَحَّ الْعَزْمُ^(٤) مِنَ الْعَبْدِ انْتَقَلَ مِنْ رِفْعَةِ الدُّنْيَا إِلَى ضَعْفِهَا^(٥) فِي زَيِّهِ وَغَيْرِهِ وَرَعَا أَوْ زَهَّدًا عَلَى الْمُنْهَاجِ وَالسَّبِيلِ وَإِنْ اسْتَنَكَرَ النَّاسُ حَالَهُ؛ لَأَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَنَكِرُهُ الْجَهَالُ الْمُنْهَمِكُونَ فِي الْمَعَاصِي.

قَدِيرُوا^(٦) غَيْرِهِ مِنَ الزَّيِّ [الذي]^(٧) لَا يَجُوزُ مِنَ السَّوَادِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَسْتَنَكِرُوا^(٨) ذلك، وَإِنَّمَا يَسْتَنَكِرُونَ مِنْهُ خِلَافَ حَالِهِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَعْرِفُونَهُ وَلَيْسَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَّبِعَ مَا يَسْتَخْسِنُ النَّاسَ وَلَا مَا يَسْتَنَكِرُونَهُ^(٩)، وَلَكِنْ يَلْزِمُ^(١٠) الْإِتِّبَاعَ لِمَنْ مَضَى وَيَتَّبِعَ مِنَ اللَّبَاسِ وَالزَّيِّ وَغَيْرِهِ مَا هُوَ أَصْلَحُ لِقَلْبِهِ وَأَرْفَقَ بِهِ فِي عَيْشِهِ وَدِينِهِ، وَيَكْفُوهُ عَنِ النَّاسِ وَيُعَامِلُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، أَلَا تَرَى قَوْلَ الْحَسَنِ: «حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ»^(١١)، فَقِيلَ: يَا

(١) الأزهر: اللباس.

(٢) الأزهر: يقتصرون.

(٣) الأزهر: فُضِّلَ.

(٤) العزم، والعزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، { إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }، الشورى: ٤٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٦٥.

(٥) ضَعْفُهَا: وهو الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ، حديث أبي بكر (رض) قال: قَدْ تَضَعُّضْتُ بِهِمُ الدَّهْرَ لَمَّا أَصْبَحُوا فِي ظِلِّمَاتِ الْقُبُورِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٢٥٨٧.

(٦) الأزهر: يرون.

(٧) الأزهر: الذي.

(٨) الأزهر: يستنكرونه.

(٩) الأزهر: يستنكرون.

(١٠) الأزهر: يلزم.

(١١) جاء في الحديث: «حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ».

انظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح. شمس الدين العسقلاني: ج ٤، ص ٦٣٥. المعجم الأوسط. الطبراني: ج ٧ ص ٧٢. ابن مبارك. الزهد: ج ١، ص ٤٤٨.

أبا سعيد، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْكَ أَشَارُوا^(١) إِلَيْكَ بِالْأَصَابِعِ، قَالَ: يَقُولُونَ مَاذَا؟،
 قَالُوا^(٢): يَقُولُونَ هَذَا الْحَسَنُ رَجُلٌ صَالِحٌ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَتَرَ الْقَبِيحَ
 وَأَظْهَرَ الْجَمِيلَ»^(٣). إِنَّمَا أُرِيدُ بِذَلِكَ الْبِدْعَ^(٤) فِي الدِّينِ أَوِ الْفُسُوقِ^(٥) فِي الدُّنْيَا،
 فَأَخْبِرْ^(٦) أَنَّ الشُّهْرَةَ لَيْسَ هِيَ مَا هُوَ أَصْلَحُ وَأَفْضَلُ^(٧).

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّمَا الشُّهْرَةُ عَلَى مَنْ أَرَادَهَا وَأَخَذَهَا لِغَيْرِ مَعْنَى عُذْرٍ، وَلَكِنْ
 لِيُبَيِّنَ بِهَا عَنِ الْعَامَّةِ وَلِيُشْهِرُوهُ بِهَا طَعْنًا عَلَيْهِمْ وَمُخَالَفَةً لَهُمْ، أَوْ لِيُشْهِرُوا ذِكْرَهُ^(٨)،
 فَأَمَّا مَنْ أَخَذَهَا لِمَنْفَعَةٍ دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَلَيْسَ عَلَيْهِ شُهْرَةٌ، وَلَيْسَتْ مِنْ شُهْرَةٍ عِنْدَ
 الْعَوَامِّ، إِلَّا وَقَدْ يَفْعَلُهَا بَعْضُ النَّاسِ فَلَا يَشْتَهَرُ^(٩)، قَدْ تَرْتَفِعُ الْمَسَاكِينُ بَعْضُهَا
 عَلَى بَعْضٍ فَلَا تُشْهِرُهُ الْعَامَّةُ بِذَلِكَ.

(١) الأزهري: يشيرون.

(٢) الأزهري: قالوا.

(٣) الأزهري: «الحمد لله الذي أظهر الجميل وسתר القبيح».

انظر: المستدرک على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج ٢، ص ٢٤٠.

(٤) البدع: من البدعة: هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما
 اقتضاه الدليل الشرعي.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد البركتي: ج ١، ص ٤٣.

(٥) الفسوق: من الفسق: أي خروج عن الشرع، وهو أعم من الكفر، قال تعالى: **(فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)**، الكهف: ٥٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣٦.

(٦) الأزهري: فأخذ.

(٧) الأزهري: أفضل وأصلح.

(٨) الأزهري: ليُشْهِرُوهُ إِذَا ذُكِرَ.

(٩) الأزهري: يشتهرون.

(١٠) الأزهري: فقد.

وقد يلبس الأعراب^(١) الرّيّ الشّنيع فلا يشتهروا^(٢) بذلك، [أو]^(٣) ويلبس أهل الصناعات^(٤) الجباب^(٥) السود من الصّوف وسائر الألوان، وكذلك الملاحون وأصحاب الحماقات وغيرهم فلا يشهرهم^(٦) العوام بذلك، ولو كان ذلك محرماً في عينه لحرم على هؤلاء أجمعين^(٧).

ولكن من أخذ الشّيء لغير سبب منفعة، ولكن يُريد به الشّهرة ومباينة العامة فهو المشهور؛ كالرقاع^(٨) على غير خرق وتبّع الشّع^(٩) من الصّوف فهذه الشّهرة بعينها، فمن^(١٠) أرادها وقصدها، وأمّا سواهم من الناس فليس^(١١) فعالمهم بشّهرة.

وقال قوم: إنّما كرهت الشّهرة خوفاً أن يفسد القلب^(١٢) بها؛ فيتصنع أو يُعجب أو يتكبر أو يترأس، فإنّ الشّهرة على قدر ضعف القلب وقوّته، ومن ذلك ما يروى عن ابن المسيب^(١٣) أن سائلاً سأله عن اللباس، فقال له سعيد:

(١) العرب: يطلق على ولد إسماعيل، وصار ذلك اسماً لسكان البادية، والأعراب جمعه.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٥٧.

(٢) الأزهر: يشتهرون.

(٣) الأزهر: أو.

(٤) أهل الصناعات: تغني الحرفة والاختراف: أي طلب حرفة للمكسب.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٢٨.

(٥) الأزهر: الجنب.

(٦) الأزهر: يشتهرون.

(٧) الأزهر: جميعاً.

(٨) الرقاق من الرقعة.

(٩) الشنع: هي الفضاعة بالأمر، يعني القبح.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٦، ص ٢٣٣٩.

(١٠) الأزهر: ممن.

(١١) الأزهر: فليست.

(١٢) الأزهر: القلوب.

(١٣) ابن المسيب: هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، الإمام العلم، وسيد التابعين في زمانه، رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، روى عنه خلق: منهم إدريس بن صبيح، وأسامة بن زيد

«نَقَّ قَلْبَكَ وَالْبَسَ مَا شِئْتَ»^(١)، فَمَنْ قَوِيَ عَلَى اخْتِذِ شَيْءٍ مِنَ الرِّيّ وَغَيْرِهِ يُرِيدُ بِهِ رَفَقًا فِي دُنْيَاهُ، أَوْ مَصْلَحَةً لِقَلْبِهِ، أَوْ إِيقَاضًا^(٢) لِلْعَامَّةِ، أَوْ مَبَايِنَ لِلْفَاسِقِينَ، أَوْ لِسُلْطَانٍ، أَوْ لِلْفُقَرَاءِ الْمُخَادِعِينَ ثُمَّ قَوِيَ قَلْبُهُ عَلَى ذَلِكَ فَعَامَلَ اللَّهُ وَخَدَهُ فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ بِشُهْرَةٍ.

وَلَمْ تُحَرِّمِ الشُّهْرَةُ وَلَوْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً، وَلَقَدْ كَانَ^(٣) أَصْحَابُ النَّبِيِّ^(٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَخَلُوا فِي التَّحْرِيمِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ لَبَسُوا الْبَرَانِسَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ كَانَ قَوْمٌ يَفْعَلُونَ أَشْيَاءَ فَمَا هِيَ^(٥) شُهْرَةٌ عِنْدَ الْعَوَامِ طَلَبُ^(٦) رَفَقٍ فِي دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَعْمَشَ^(٧) كَانَ يُقَلِّبُ فِرْوَةً وَيُخْرِجُ صُوفَهُ إِلَى الْخَارِجِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ أَرْفَقَ بِشِيَابِهِ، وَقَدْ وَضَعَ يَوْسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ^(٨) الْجَوْرَبَ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَمثالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ.

فَمَنْ قَوِيَ قَلْبُهُ فَلْيَأْخُذْ الْأَشْيَاءَ عَلَى قَدْرِ الْمَنَافِعِ وَلَا يُخْرِجْ عَنْ اتِّبَاعِ مَنْ قَدْ مَضَى وَلَا يُرِيدُ الشُّهْرَةَ وَلَا يَأْخُذْ الشَّيْءَ لِغَيْرِ مَنَفْعَةٍ كَقَوْمِ رَكَبُوا الْقَصَبَ^(٩)

اللبثي، كان ممن برز في العلم والعمل، كان ابن المسيب يفتي والصحابة أحياء، وأفقههم في رأيه، وأخذته أسماء عن أبيها، مات سنة ٩٣ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي، ٤ ج، ص ٢٢٠. الطبقات الكبرى. لابن سعد : ٥ ج، ص ١٠٦. الثقات. لابن حبان : ٤ ج، ص ٢٧٣

(١) انظر: المصنف. عبدالرزاق الصنعاني : ج ٦، ص ٣٦. مسند الإمام أحمد: ج ٢، ص ١٨١.

(٢) الأزهري: اتعاضًا.

(٣) الأزهري: لدخل.

(٤) الأزهري: الرسول.

(٥) الأزهري: ممّا هو.

(٦) الأزهري: لطلب.

(٧) سليمان بن مهران محمد الأسدي، شيخ المحدثين، أصله من نواحي الريّ، قد رأى أنس بن مالك.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. العسقلاني : ج ٧، ص ٢٠٢.

(٨) يوسف بن أسباط، الزاهد، من سادات المشايخ، له مواظ وعظم وحكم، روى عن: محل بن خليفة، والثوري.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ١٧٠.

(٩) الأزهري: القصب.

القصب، والقصبه: مجاري الماء من العيون.

وَوَضَعُوا الْقَوَاصِرَ ^(١) عَلَى رُؤُوسِهِمْ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَّارٍ وَلَا مَنَفَعَةٍ إِرَادَةٍ، وَحَلَقَ بَعْضُهُمْ لِحْيَتَهُ فَهَذَا لَا يُجُوزُ لَهُ وَإِنْ قَوِيَ قَلْبُهُ لِسُوءِ إِرَادَتِهِ وَتُخَالَفَتِهِ لِمَنْ مَضَى.

وكذلك لباسُ الشَّعْرِ ^(٢) إِلَّا لِضُرُورَةٍ [إِذَا] ^(٣) لَا يَجِدُ مَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ، فَأَمَّا ^(٤) أَنْ يَتَعَدَّى خِلَافَ لِبَاسٍ مَنْ مَضَى فَلَا يُجُوزُ لَهُ، والذي أختار من ذلك أَنْ يَتَّبِعَ الْعَبْدُ مَنْ مَضَى وَلَا يُخَالِفُهُ وَيَأْخُذُ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ عَلَى قَدَرٍ مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَإِنْ اجْتَنَبَ مَا لَا يَلْبِسُهُ إِلَّا مَنْ لَيْسَتْ ^(٥) عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى طَلَبِ السَّلَامَةِ لِلْعَامَّةِ، وَإِنْ فَعَلَهُ لِمَصْلَحَةٍ دُنْيَا أَوْ دِينٍ فَجَائِزٌ لَهُ غَيْرَ مُحَرَّمٍ، وَقَدْ كَرِهَ النَّاسُ شُهْرًا كَثِيرَةً عَلَى غَيْرِ تَحْرِيمٍ، وَلَكِنْ إِشْفَاقًا عَلَى الضَّعْفَاءِ، وَوَجَدْنَا الْأَقْوِيَاءَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَأَعْظَمَ مِنْهُ، الَّذِينَ كَرَّهُوا ذَلِكَ خَاصَّةً مِنْهُمْ الْحَسَنَ، قَالَ: «إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لِيَمُرُّ بِالْأَذَى فَمَا يَمْنَعُهُ مِنْ ^(٦) رَفْعِهِ ^(٧) عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا خَافَةَ الشَّهْرَةَ» ^(٨)، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: «مَنْ الصَّدَقَةُ إِمَامَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» ^(٩)، وَقَالَ: الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ [بَابًا] ^(١٠)

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٦٤١.

(١) القواصر: أصل الكلمة قصر: هي أصول الشجر العظام، وهو مَنْ كَانَ لَهُ فِي الْمَدِينَةِ أَصْلٌ وَنَسَبٌ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٦٤٨.

(٢) لباس الشعر: يسمى القهز: وهو ضرب من الثياب يتخذ من صوف كالمزعزي، وربما يخالطه الحرير، ويشبه الشعر اللين.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم العوتبي: ج ١، ص ٤٠٠.

(٣) الأزهر: إذا.

(٤) الأزهر: أما.

(٥) الأزهر: يلبس.

(٦) الأزهر: فلا.

(٧) الأزهر: يرفعه.

(٨) انظر: الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج ١، ص ٢٤٦. شرح معاني الآثار. أحمد الطحاوي: ج ٢، ص ٩. نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار. محمود بدر الدين: ج ٧، ص ٥٢٥.

(٩) صحيح مسلم. مسلم بن حجاج: ج ١، ص ٦٣.

(١٠) الأزهر: بابًا.

وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةٌ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(١).

ثم الحسن [نفسه]^(٢) الذي كره ذلك يقومُ يُذَكِّرُ النَّاسَ وَيُخَطِّبُهُمْ^(٣) وَيُفْتِيهِمْ؛ فَذَلِكَ أَعْظَمُ لِلشُّهْرَةِ^(٤) مِنْ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا حَظَرَ^(٥) ذَلِكَ عَلَى الضُّعَفَاءِ كِرَاهَتَهُ^(٦) أَنْ يَمِيلُوا إِلَى التَّصَنُّعِ وَغَيْرِهِ، قَالَ: (إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَزُورُهُ الزُّوَارُ فَمَا^(٧) يَقُومُ اللَّيْلَ خَافَةَ الشُّهْرَةِ) وَعَنْ مَنْ مَضَى خِلَافُ ذَلِكَ مَا^(٨) كَانَ يُوقِظُهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ إِلَّا قِرَاءَةَ مُعَاذِ^(٩) الْقَارِئِ فِي اللَّيْلِ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ فِي جَهْرِهِ بِصَوْتِهِ بِاللَّيْلِ فَقَالَ: (أَوْقِظَ الْوَسْطَانِ^(١٠)) وَاطْرُدَ الشَّيْطَانَ^(١١) فَهَذَا لِلْقَوِيِّ وَذَلِكَ لِلضَّعِيفِ.

وقال الحسن: (إِنْ كَانَ لِلرَّجُلِ لَتَأْتِيهِ الدَّمَعةُ فَيَصْرِفُهَا إِلَى الضَّحَكِ)^(١٢) خَافَةَ الشُّهْرَةِ، وَقَدْ بَكَى مَنْ مَضَى مِنَ الصَّالِحِينَ حَتَّى ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا

(١) انظر: صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل: ج ١، ص ١٣.

(٢) الأزهري: نفسه.

(٣) الأزهري: ويخطبُ النَّاسَ.

(٤) الأزهري: شهرة.

(٥) حظر: كُلٌّ مِنْ خَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَيْءٍ فَقَدْ حَظَرَهُ عَلَيْكَ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٤، ص ٢٦٢.

(٦) الأزهري: كراهته.

(٧) الأزهري: فلا.

(٨) الأزهري: فما.

(٩) معاذ بن جبل: هو ابن عمرو بن أوس بن عائذ روى عنه: ابن عمر، وابن عباس، وجابر، جمع القرآن على عهد رسول الله (ص)، تابعه إبراهيم النخعي عن مسروق، وسالم مولى أبي حذيفة، مات سنة ١٨ هـ.

انظر: سير أعلام نبلاء. للذهبي: ج ١، ص ٤٤٤.

(١٠) الوسن: الغفلة، والغفوة ورجل وسنان، وتوسنّها: غشيها نائمة، ويُرَى أَنَّ وسن: لتصور النوم.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٧٢.

(١١) انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج ١، ص ٦١٧. السنن الكبرى. النسائي: ج ٢، ص ٩.

(١٢) انظر: الرقة والبكاء. لأبي دنيا: ج ١، ص ١٣٢.

رَوَى ابْنُ الشَّخِيرِ ^(١) عَنْ أَبِيهِ [عَنْ جَدِّهِ] ^(٢).

قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَمِعْتُ لَصَدْرِهِ أَزِيرًا ^(٣) كَأَزِيرِ ^(٤) الْمَرْجَلِ ^(٥) مِنَ الْبُكَاءِ» ^(٦) وَمِنْ ذَلِكَ: ((إِنَّ عَمَرَ لَمَّا لَقِيَ أَبَا عُبَيْدَةَ بِالشَّامِ قَبْلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدَ صَاحِبِهِ وَبَكَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ بِالشَّامِ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ وَأَجْنَادِهِمْ ^(٧) يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ ^(٨)، وَبَكَى فِي الصَّلَاةِ حِينَ أَتَى عَلَى ذِكْرِ يَعْقُوبَ حَتَّى سَمِعَ نَشِيجَهُ ^(٩) مِنْ وَرَاءِ الصَّفُوفِ)) ^(١٠)، ثُمَّ الْحَسَنُ نَفْسُهُ قَالَ: الرَّبِيعُ بْنُ صُبَيْحٍ ^(١١) ((مَا دَخَلْتُ عَلَى الْحَسَنِ قَطُّ إِلَّا وَجَدْتَهُ

(١) هو: يزيد بن عبد الله بن الشخير، أبو العلاء العامري، البصري، أحد الأئمة، حدث عن: أبيه، وأخيه، ومطرف بن عبد الله، وعمران بن حصين، حدث عنه: قتادة، وسعيد الجريري، كبير القدر. مات سنة ١١١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٤٩٤.

(٢) الأزهر: عن جده.

(٣) الأزهر: أزيراً.

أزير: خنين في الجوف، إذا سمعته كأنه يبكي. صوت التشيش.

انظر: العين. الخليل الفراهيدي: ج ٧، ص ٢٩٨.

(٤) الأزهر: كأزير.

(٥) الرجل: الإناء الذي يغلي فيه الماء، وسواء كان من حديد أو صفر أو حجارة أو خزف.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٤١٧٠.

(٦) انظر: المستدرک في الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج ١، ص ٣٩٠. مسند الإمام أحمد: ج ٤، ص ٢٧. غريب الحديث. إبراهيم الحربي: ج ٣، ص ٩٨١.

(٧) الأزهر: الأجناد.

(٨) الأزهر: إليهما.

(٩) النشج: الصوت، والنشيج: أشد البكاء ومثل بكاء الصبي، وفي حديث عمر رحمه الله: أنه صلى الفجر بالناس فقرأ سورة يوسف حتى جاء ذكر يوسف بكى حتى سمع نشجه خلف الصفوف.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٤٤٢٠.

(١٠) انظر: المصنف. عبد الرزاق الصنعاني، ج ٢، ص ١١١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين المنقي: ج ١٢، ص ٥٧٤.

(١١) الأزهر: صبح.

هو: الربيع بن صبيح البصري العابد، الإمام، أعيان مشايخ البصرة، كان كبير الشأن، مات سنة ١٦٠هـ.

عَاصًا عَلَى أَصْبَعِهِ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ^(١)))^(٢)، وَإِبْرَاهِيمُ دَخَلَ عَلَيْهِ [رَجُلٌ]^(٣) فَأُطْبِقَ الْمُصْحَفَ وَقَالَ: ((أَلَا^(٤) يَرَى^(٥) هَذَا الدَّاخِلُ مِنِّي أَنَا^(٦) نَقَرًا كُلَّ يَوْمٍ))^(٧)؛ دَارِي قَلْبَهُ خَشْيَةَ التَّصْنَعِ^(٨)، وَقَدْ دَخَلَ [رَجُلٌ]^(٩) عَلَى أَبِي عَامِرٍ^(١٠) وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ^(١١) فَقَالَ: ((فَاتِنِي جِزْءًا مِنَ اللَّيْلِ فَقَرَأْتُهُ))^(١٢)، وَمَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ يَقْرَأُونَ فِي مَصَاحِفِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ وَغَيْرِهَا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى قَدَرِ الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا مَا كَانَ خِلَافَ زِيٍّ مِّنْ مِّضَى فَلَا يَجُوزُ إِلَّا أَنْ يَضْطُرَّ عَبْدٌ^(١٣) إِلَيْهِ.

فَأَمَّا أَخْذُهُ لِلتَّزْيِينِ فَلَا، وَذَلِكَ كَالرَّجُلِ لَا يَجِدُ مَا يَسْتُرُّ بِهِ عَوْرَتَهُ إِلَّا بِمَسْحٍ أَوْ

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٢٨٨.

(١) الأزهري: عيناه تدمع.

(٢) انظر: الرقة والبكاء. لأبي دنيا: ص ١٦٨.

(٣) الأزهري: رجل.

(٤) الأزهري: لئلا، (أَنْ لَا).

(٥) الأزهري: يرى.

(٦) الأزهري: أننا.

(٧) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية. عبد الله المقدسي: ج ١، ص ٢٦٧. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٦٠.

(٨) التصنع: إجادة الفعل، فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعا، قال تعالى: {صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}، النمل: ٨٨.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٩٢.

(٩) الأزهري: رجل.

(١٠) أبو عامر: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، شيخ الإسلام، حجة الأمة، مات سنة ١٧٩ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٤٩.

(١١) المصحف: مجموع من الصحف في مجلد، وغلب استعماله في القرآن الكريم، وهو مصدر الكتاب المنزل على نبي الله محمد (ص) تسمية القرآن من بين كتب الله لكونه جامعا لثمره كتبه، قال تعالى: {تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ}، النحل: ٨٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٦٩.

(١٢) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٤٩.

(١٣) الأزهري: لعبد أن يضطر.

جِلْد، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا مُوسَى ^(١) قِيلَ لَهُ أَنَّ قَوْمًا يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجَمْعِ مِنْ أَجْلِ
ثِيَابِهِمْ - يَعْنُونَ دَنَاءَتَهَا - فَلَبَسَ قَطِيفَةً ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ النَّاسَ فِيهَا وَصَلَّى بِهِمُ
الْجُمُعَةَ.

(١) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير صاحب رسول
الله (ص)، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ، أقرأ أهل البصرة، وفقَّههم في الدين، بعثه عمر
أميرًا على البصرة، توفي سنة ٤٤ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٣٩٦.

مسألة فيمن أم قوماً فالزم قلبه الحذر
من الخطأ واللحن ماذا له وماذا عليه؟

قلت: فما تقول في الرجل يؤمُّ^(١) القومَ فيما يجهر به، فيلزم^(٢) قلبه الحذر أن يخطئ في قراءته أو يلحن^(٣) فيها ماذا له، وماذا عليه؟

قال: إن ذلك على وجوه؛ فمنها ما هو له ومنها ما هو عليه، فأما الذي هو له فهو أن يغلب على قلبه حبُّ إكمالِ صلاته وتمامِ قراءته وتلاوته^(٤) كتاب ربِّه على ما أنزله لا يقارن ذلك خطأ ولا لحن إذا علم أن ذلك محبةٌ لربِّه فيغلب على قلبه الرغبة في ذلك والحذر من التقصير عنه ليؤدِّي فرضه كاملاً ويسمع الله تعالى منه تلاوةً كلامه^(٥) كما يحبُّ أن يتلوهُ عباده إذا أقاموا بين يديه لأداء فرضهم^(٦) أو يتلوهُ في غير صلاةٍ، فذلك مأجورٌ على حذره ومثابٌ^(٧) على قدر^(٨) همته ونيته، وأعظمُ مقاماً من ذلك وأجراً^(٩) ثواباً من نوى مع حذره

(١) أم، يؤمُّ: تعني الإمام نقيض الوزاء، ويكون اسم ظرف.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ١٣٩.

(٢) فيلزم: أي إلزام، إلزام بالحكم، قال تعالى: {أَتْلُوْهُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}. هود: ٢٨.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٤٠.

(٣) اللحن: له ستة معانٍ: منها اللُّغة، والغِناء، والفطِينَة، لقوله تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ}، محمد: ٣٠.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٤٠١٤.

(٤) الأزهري: تلاوة.

(٥) الأزهري: كتابه.

(٦) الأزهري: فروضهم.

(٧) الأزهري: ويثاب.

(٨) الأزهري: قدر.

(٩) الأزهري: وأجزل.

من الخطأ في تلاوة كلام ربّه واللحن فيه أن يكون مُنَاجِيًا^(١) لربّه بلسانه وقلبه؛ يفهم ما يتلوا ويعقل من الله تعالى ما يقول، فهو مع حذره للخطأ واللحن مهتمّ بالفهم عن الله تعالى فيها، يتلو عالمًا^(٢) بين يدي من هو وليّن^(٣) يُناجي ورضى من يطلب في مقامه ومُنَاجَاتِهِ.

وأعظم من^(٤) ذا منزلة من قرن^(٥) مع هذه الهمة عظيم الرغبة، وحسن الظن، وهيجان [رغبة]^(٦) الأمل أن يرضى عنه في مقامه، ويقبله على ما كان منه ويحوله عما هو مقيم عليه ويظهره مما يتدنس^(٧) به راج^(٨) لذلك، معلقًا^(٩) [به]^(١٠) قلبه [و]^(١١) بما عند ربه يترضاه ويتملقه ومستبصر^(١٢) به، متوقعًا له في كل طرفة عين.

(١) مُنَاجِيًا: وهي مُنَاجَاة الله في السرّ والعلانية قال تعالى: {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْغَدْوَانِ} المجادلة: ٩، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٩٣.

(٢) الأزهر: عالم.

(٣) الأزهر: من.

(٤) الأزهر: منه.

(٥) الاقتران: من قرن: وهو الازدواج في كونه اجتماع شيئين، قال تعالى: {الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} الزخرف: ٥٣.

انظر: النقفية في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البندنجي: ج ١، ص ١٨٤.

(٦) الأزهر: الرغبة.

(٧) يتدنس من الدنس: ضد النظافة والنقاء.

انظر: جمهرة اللغة. : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ج ٢، ص ٦٤٨.

(٨) الأزهر: راجيًا.

(٩) الأزهر: متعلقًا.

(١٠) الأزهر: به.

(١١) الأزهر: و.

(١٢) الأزهر: ويتبصّر. لغة أهل مصر في الذي ينظر بلذة ولهف.

مستبصر: من بصر: والتبصر في الشيء: التأمل والتعرّف، هو أن ينضح له الأمر حتى كأنه يبصره. انظر: العين. للرازي: ج ٧، ص ١١٧. الفروق اللغوية. الحسن بن العسكري: ج ١، ص ٨٢.

وأقلّ من ذلك أن ينظر إليه بالرضا والمحبة، وقد ألزم قلبه مع ذلك هيجان الخوف وحركة الحدّر والنّهاب الإشفاق^(١) وانكسار الرّهبة^(٢) والوجل^(٣) لما قد مضى من سالف ذنوبه ولما هو مقيم عليه لم يزغ^(٤) عنه إلى ربّه فهو قائم بين يديه بغير^(٥) ظهارة^(٦) ولا أعدار فيما أوجب عليه فهو خائف مُشفقّ من مقت^(٧) ربّه وجلّ^(٨) راهب^(٩) فزع^(١٠) فرق^(١١) أن ينظر إليه بالبعضة^(١٢)، وأن يلقاه بالمتّ

(١) الإشفاق: هو العناية مختلطة بخوف، قال تعالى: {وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مَشْفُقُونَ}، الأنبياء: ٤٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٨

(٢) الأزهر: الزهد.

(٣) الوجل: أي: وجَل يُوجِل استيعار الخوف، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، الأنفال: ٢.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٥٥.

(٤) الأزهر: يتزحزح عنه.

يزغ: أي الميل عن الاستقامة قوله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}، الصف: ٥، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٨٧.

(٥) الأزهر: بلا.

(٦) الأزهر: طهارة.

ظَهارة: يعني بالظاهرة: من البُرُوز في الشّيء، قال تعالى: {فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا}، الجن: ٢٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٤١.

(٧) المقت: أشد الإبغاض، لمن تراه تعاطى القبيح، قال تعالى: {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا}، النساء: ٢٢، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٧٢.

(٨) الوجل: استشعار الخوف، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، الأنفال: ٢.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٥٥. الابانة في اللغة العربية: ج ٤، ص ٥٣٣.

(٩) راهب من رهب: مخافة مع تحرّر واضطراب، قال تعالى: {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}، القصص: ٣٢، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٦٦.

(١٠) الفزع: انقباض والنفار يعتري الإنسان من الشّيء المخيف، قوله تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ}، الأنبياء: ١٠٣.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣٥.

(١١) الفرق: هو يقارب اعتبارًا بالانفصال، قال تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ}، البقرة: ٥٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣٢.

(١٢) بالبعضة: نفار الشّيء عن الشّيء ضدّ الحبّ، قال الله تعالى: {وَالْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}

والسخط فلا يرحم مقامه ولا يُجيبُ دعوته ولا يغيثُ^(١) تضرعه^(٢)، ويحجب عنه صوته ولا يقبل صلاته إذا كان جميع ذلك مستحقاً من ربه؛ فالخوف والرجاء قد غلبا على قلبه مع تيقظه وشدة^(٣)، [و]^(٤) فهمه لما يتلو من كلام ربه؛ فتارة يكاد [قلبه]^(٥) أن يطير فرحاً لما هاج من الأمل والرجاء أن ينظر إليه سيده ومولاه^(٦) بالرّضا والحظوة، وتارة أخرى يكاد أن يذوب [قلبه]^(٧) غماً^(٨) ويطير قلبه فرحاً [ورعباً]^(٩)، ويغلب على قلبه تعباً عند هيجان المخافة، والحذر والإشفاق والرغبة من نظر المولى إليه بالمقّة والبغضة؛ فينصرف بلا يأس^(١٠) ولا خيبة^(١١).

المائدة : ٦٤.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٣٦.

(١) الغيث من المطر والغوث من النصرة، واستغثته طلبت الغوث أو الغيث، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَفِثُونَ رَبَّكُمْ﴾، الانفال: ٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦١٧.

(٢) تضرعه: من التضرع: أي ضَعَفَ وَذَلَّ: قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾، الأنعام: ٤٢.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٠٦.

(٣) الأزهر: وشدة تيقظه.

(٤) الأزهر: وفهمه.

(٥) الأزهر: قلبه.

(٦) الأزهر: مولاه وسيده.

(٧) الأزهر: قلبه.

(٨) غماً: من الغمّ: الكرب أو الحزن يحصل للقلب بسبب ما، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُهُمْ عَلَيْهِمْ غَمَةً﴾، يونس: ٧١.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦١٤.

(٩) الأزهر:

(١٠) يأس: الباء والهمزة والسين. كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس الرازي: ج ٦، ص ١٥٣.

(١١) خيبة: من خاب: الخسران، عدم تحقق الأمل، قال تعالى: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾، الحج: ٥٤.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٧٢.

فهو [يَن] ^(١) في هاتين الحالتين يتردّد، ولمعاني كلام رَّبِّهِ ^(٢) يفهمُ مع ما ^(٣) يغلبُ على قلبه في أكثر أحواله في صلاته [من] ^(٤) إجلالٍ مَنْ قامَ بين يديه وتعظيمٍ مَنْ قصدَ إليه وَحْبَةً مَنْ ^(٥) عليه بمناجاته، فذلك دَابَّةٌ ^(٦) حتى ينصرفَ من صلاته، فاذا انفتل ^(٧) [كان] ^(٨) منها ووجهه غير الوجه الذي دخلَ به [في] ^(٩) هيأته وسَحَنَتْهُ ^(١٠)؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يُلِحُّ ^(١١) على قلبه بالفهم عن رَّبِّهِ بالرجاء ^(١٢) والوَجَلِ والإشفاقِ منه، وللرجاء ^(١٣) والطمعِ إلى ما عنده، والتَّبَجُّلِ ^(١٤) والتعظيمِ لجلاله؛ فانصرف بوجهٍ ينكرُهُ من النظرِ إليه من إشرافِهِ مع انكسارٍ قد شابههُ ^(١٥).

(١) الأزهري: بين.

(٢) الأزهري: ربه.

(٣) الأزهري: لما.

(٤) الأزهري: من.

(٥) المن: النعمة: أن يكون ذلك بالفعل، قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}، آل عمران: ١٦٤. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٧٧. النظم المستعذب في تفسير غريب الألفاظ. محمد بطلان الركبي: ج ١، ص ٧٣

(٦) دابته: دَائِبٌ فِي عَمَلِهِ: جَادٌّ، مُتَّهِمٌ، وهي من العادة والملازمة.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٣، ص ١٣١٠.

(٧) قَتَلَ، يَفْتُلُ، مصدر قَتَلٌ فهو أَفْتُلٌ، وهي قَتْلَاءٌ أي انصرف فلان عن صلاته.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٣٤٤.

(٨) الأزهري: كان.

(٩) الأزهري: في.

(١٠) سَحَنَتْهُ: من تَغْيِيرِ اللون إِذَا حَسُنَتْ سَحْنَتْهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٩٠٠.

(١١) يُلِحُّ: الإقبالُ على الشيء لا يفتر عنه.

انظر: العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي: ج ٣، ص ٢٩.

(١٢) الأزهري: الرجاء.

(١٣) الأزهري: الرجاء.

(١٤) التَّبَجُّلُ: من البَجَلِ أي وَقرَ والتَّعَظُّيمُ.

انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن القاسم الأنباري: ج ١، ص ١٨٨.

(١٥) شابه: مَا جَاءَ عَلَى صُورَتِهِ، قال تعالى: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا}، البقرة: ٢٥.

وإنَّ ذلكَ لمَوْجُودٌ في فِطْرنا^(١) أنَّ^(٢) أَحَدنا ليدْخُل على بعضِ الملوِكِ أو بعضِ مَنْ يَطْمَع فيه ويخافُه^(٣) فيقومُ بين يديه غيرَ القيامِ الذي كانَ فيه قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عليه ويَخْرُجَ عنه^(٤) بغيرِ الوجهِ الذي دَخَلَ بِهِ، فكيفَ برَّبِّ العالمينِ القديمِ الذي لم^(٥) يزل ولا يزال، والذي ليسَ كمثلِه شيءٌ كانَ ولا يكونُ.

وأما الذي عليه فهو أن يغلبَ على قلبِه خوفَ مذمَّةٍ مَنْ خَلَفَهُ إِنْ أَخْطَأَ أو لَحَنَ، والرغبةُ في معرفَتِهِمْ إِيَّاهُ بالحفظِ وحُسنِ التلاوة؛ ليعرفوا أَنَّهُ قد قرأَ على الرِّجالِ وَأَنَّهُ حافظٌ للقرآنِ، وقد تصيبُهُ هذه الفتنةُ في صلاتِه و[قد تُصيبُهُ]^(٦) قبلَها لعلُّه^(٧) يظلُّ بعضَ نهارِه أو ليلِه يتلوُ السورةَ التي يريدُ قراءَتَها ويتعاهدُ خَطأها^(٨) وحواءها^(٩) خوفاً أَنْ يتلوها في صلاتِه بينَ أيديهِم وليسَ عهده بتلاوتِها قَريب^(١٠).

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٤٣.

(١) فطرنّا: من الفِطْرَةِ التي فُطِرَ عليها المولود، وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٤٣٤.

(٢) الأزهر: فإن.

(٣) الأزهر: ويخاف منه.

(٤) الأزهر: من عنده.

(٥) الأزهر: ذلك ومن.

(٦) الأزهر: قد تصيبُهُ.

(٧) الأزهر: العلة.

(٨) خطاها: من الخُطُوَّةِ ما بين القدمين، قال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}، البقرة/١٦٨.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٨٨.

(٩) حواها: من حَوَى الشيء: جمعه، يحوي الكتابُ مختارات واصله من حوِيتُ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٧١.

(١٠) الأزهر: قريباً.

مُسْتَعِدًّا لَهُمْ بِالْحَذَرِ وَالتَّلَاوَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يَدْخُلَ ^(١) فِي صَلَاتِهِ لَا يَرِيدُ [وَجْهَ] ^(٢) اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ، وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِهِ إِلَّا خَافَةٌ تَخْطِئُهُمْ ^(٣) إِيَّاهُ وَالْحَذَرُ مِنْ [ذَلِكَ وَمِنْ] ذَمِّهِمْ حَتَّى يَدْخُلَ فِي صَلَاتِهِ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ أَجَادَ الْقِرَاءَةَ وَحَفِظَ مَوَاضِعَ مَا كَانَ يَخَافُ ^(٤) مِنَ الْخَطَا وَاللَّحْنَ سَرًّا وَاسْتَبْشَرَ لغيرِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ، وَإِنْ أَخْطَأَ وَلَحَنَ حَزَنَ [لِذَلِكَ] ^(٥) وَاعْتَمَ ^(٦) لغيرِ خَافَةٍ نَقَصَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ فَضْلِ التَّالِيْنَ لِكَلَامِ رَبِّهِمْ كَمَا يُحِبُّ مِنْهُمْ، فَكَفَى بِذَلِكَ بَلِيَّةً ^(٧) إِذْ صَارَ عَامَةً فَرَحِهِ وَحُزْنِهِ فِي صَلَاتِهِ لغيرِ طَلَبِ رِضَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُشْتَغَلٌ بِالْحُزْنِ وَالْفَرَحِ [بَعِيدًا] ^(٨) عَنْ فَهْمِ مَا يَتْلُو مِنْ كَلَامِ رَبِّهِ، وَأَنْ ^(٩) يُؤَدِّيَ فَرَضَهُ بِحُضُورِ عَقْلِهِ، فَلَيْسَ بِمَأْجُورٍ عَلَى مَا تَلَا ^(١٠) قَبْلَ صَلَاتِهِ إِذَا كَانَ لَمْ يَتْلُوهُ ^(١١) لَخْشِيَّةٍ وَلَا إِرَادَةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا لثَوَابِ التَّلَاوَةِ عَلَيْهِ. فَأَمَّا ^(١٢)

(١) الأزهر: يدخل.

(٢) الأزهر: بذلك.

(٣) الأزهر: تخطئتهم.

(٤) الأزهر: يخشى.

(٥) الأزهر: لذلك.

(٦) واعتَمَ: من غَمَمَ الشَّيْءُ: فاز به، ربحه، ناله بلا مشقة، عكسه غرم، وفي الحديث: «الصوم في الشتاء الغنيمَةُ الباردة»

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٣٠٧.

(٧) بليَّة: هي من البلاء والاختبار: قوله تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}، الانبياء: ٣٥.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٢، ص ٣٥٥.

(٨) الأزهر: بعيداً.

(٩) الأزهر: عن.

(١٠) تَلَا الشَّيْءَ: تَبِعَهُ تَلَوًا تَلَا فَلَانَ الْقُرْآنَ يَتْلُو تِلَاوَةً.

انظر: العين. الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي: ج ٣، ص ١٨٤.

(١١) الأزهر: يتله.

(١٢) الأزهر: واما.

فرضه فهو مجزئ عنه والتلاوة فيه لكلام ربه، غير أن^(١) معه تقصير^(٢) في تلاوة كتاب ربه أن يتلوه كما أنزله مولاه وكما يحب ربه أن يسمعه منه، وأعظم من ذلك فتنة أنه متهم قبل أن يدخل في صلاته معتقدا لأي سورة يقرأها^(٣) مما فيها التخويف الذي يستثير الشجوة^(٤) والأحزان ما به [يكون]^(٥) صلاح قلبه، ولا يبيح الخوف والحزن لله عز وجل من قلبه، ولكن ليحظى بذلك عندهم ويخف على قلوبهم ويشتهوا الصلاة خلفه فيدخلها بهذه المهمة ثم يقرأ السورة التي قد أعدها فيحزن صوته ويتثبت^(٦) عند مواقف التخويف [والتحزين]^(٧) والتشويق ليحظى بذلك عندهم ويخف^(٨) على قلوبهم غافلا في ذلك عن نفسه كأنه آمن لا يحتاج إلى خوف، قد أتاه الأمان^(٩) من الله عز وجل فقد فرغ من أمر أمان نفسه، فهو يخوف غيره ويحزنه كأنه لا يحتاج إلى ذلك، وهو أحوجهم^(١٠) لو^(١١) يعقل.

(١) الأزهري: انه.

(٢) الأزهري: مقصر.

(٣) الأزهري: يقرأها.

(٤) الشجوة: من الشجن: الهم والحزن.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٦، ص ٢٢٠١.

(٥) الأزهري: يكون.

(٦) الأزهري: يثبت.

(٧) الأزهري: تخزين.

(٨) خف: ويقال خفيف فيما يستحليه الناس، أتيت به، قال تعالى: {الآن خفف الله عنكم}، الانفال: ٦٦.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٨٨.

(٩) الأزهري: الأمان.

(١٠) أحوجهم: من الحاجة، وقوله تعالى: {لتبذلوا عليها حاجة}، غافر: ٧٩.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٤، ص ١٠٣٨.

(١١) الأزهري: ولم.

وَأَعْظَمَهُمْ ^(١) غَفْلَةً وَأَشَدَّهُمْ ^(٢) فِتْنَةً إِذْ جَعَلُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُوَ الْمَخْلَفُ ^(٣) خَلْفَهُمْ فِي سَوْءِ هِمَّتِهِ مَتَعَرِّضًا لِلْمَقْتِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ رَبِّهِ، لَعَلَّ بَعْضَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَنَفَّعُ إِمَّا بِعَزْمِ يَحْدُثُهُ عَلَى تَوْبَةٍ وَعَمَلِ صَالِحٍ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، أَوْ تَوَجُّعٍ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ خَوْفٍ، فَهُوَ يَطْلُبُ نَجَاتَهُمْ ^(٤) بِهَلَاكِهِ ^(٥) وَيَخَوِّفُهُمْ بِمَا يَزِيدُهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ غَدًا خَوْفًا فِي مَقَامِهِ وَفِي مُحْشَرِهِ؛ لِأَنَّ هِمَّتَهُ ^(٦) فِي غَيْرِ اللَّهِ وَقَصْدُهُ إِلَى سِوَاهِ يَخَوِّفُ مَنْ خَلَفَهُ بِقِرَاعَتِهِ وَهُوَ آمِنٌ لِمَقْتِ ^(٧) اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ عَلَى سَوْءِ ^(٨) هِمَّتِهِ، فَمَنْ سَمِعَ بِأَعْجَبَ مَنْ يَخَوِّفُ بِالْأَمْنِ وَيَشْوِقُ بِاللَّهُوِّ عَمَّا يَشْوِقُ إِلَيْهِ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْجَبُ أَنَّهُ يَخَوِّفُهُمْ بِالْتَعَرُّضِ؛ لِأَنَّ يَحْقُّ لَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا يَخَوِّفُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَيَشْوِقُهُمْ لِمَا ^(٩) يَتَعَرَّضُ [لَهُ] ^(١٠) بِتَشْوِيقِهِ إِيَّاهُمْ [مِنْ] ^(١١) الْحَرَمَانِ ^(١٢) لِمَا يَشْوِقُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ جَوَارِهِ.

(١) الأزهري: وأعظم منه.

(٢) الأزهري: وأشد.

(٣) المخلّف: أحمق، قالَ وَلَمْ يَفْعَلْ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ٢٣، ص ٢٧١.

(٤) الأزهري: نجاة غيره.

(٥) بهلاكه: من هلك الشيء بهلكه التهلكة، من نوادر المصادر وليست للقياس.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٩٠.

(٦) هيمته: من العزم.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٤٧٠٢.

(٧) الأزهري: من مقت.

(٨) الأزهري: بسوء.

(٩) الأزهري: بما.

(١٠) الأزهري: له.

(١١) الأزهري: من.

(١٢) الحرمان: من الحرام المنوع منه، قال تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ}، القصص: ١٢.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٢٩.

وأعظمُ من ذلك بلية وأعظمُ^(١) فتنةً من حاول هذا المقام في طلب عظم منزلة عندهم وشرف الحمد منهم أنه^(٢) يحزن ويخوف ويشوق ويرجع بتلاوته ليستدلوا [على]^(٣) أنه من الخائفين المحزونين ومن الراغبين المشتاقين وليس ذلك عنده، كذلك فيما يوهمهم إياه من نفسه لو لم يكن إلا نفس همته [و]^(٤) أنه مُنسلخٌ^(٥) من الحزن والخوف، إذا^(٦) كانت همته أن يوهمهم بتحزينه وتخويفه أنه خائفٌ لربه محزونٌ^(٧) لآخرته كان^(٨) بهمته^(٩) هذه أماناً، فكيف تأمنه نفسه في أحواله قبل دخوله في صلاته، وكذلك همته في تشويقهِ لزوال الرغبة إلى الله أن يعطيه ما يشوقهم إليه؛ فهو يتحبب إليهم بما يتبغض به إلى ربه، ويتقرب [إليهم]^(١٠) بما يتباعد به منه، ويتحصى^(١١) عندهم بالتعرض بالسقوط من عينه.

لو تطلّعوا على همته لمتّوه عليها، فكيف بمن قد اطلع عليها كيف أمنه أن يمتّته على سوء ضميره؟ وإن برأ^(١٢) على نفسه أن لا يرحمه ولا يجيب دعاءه؟

(١) الأزهر: وأشد.

(٢) الأزهر: أن.

(٣) الأزهر: على.

(٤) الأزهر: وأنه.

(٥) السُّلُخ: كُتِبَ الإِهَابُ عَنِ زَيْه: كُتِبَ، وسلخت المرأة عن درعها.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٦، ص ٢٠٦٢.

(٦) الأزهر: فإذا.

(٧) الأزهر: مخزون.

(٨) الأزهر: وكان.

(٩) الأزهر: بهمته.

(١٠) الأزهر: إليهم.

(١١) ويتحصى من حصى: وَهُوَ هَيْجُ الشَّيْءِ، شَيْبُُ الْحَمْرَةِ وَيَكُونُ فِي النَّارِ خَاصَّةً.

انظر: : معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس : ج ٢، ص ٧٤.

(١٢) برا: بريء النقصي مما يكره مجاورته ومنه دين وعيب، قال تعالى: {بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، التوبة: ١، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٢١.

و[كيف] ^(١) لا يأمن مع ذلك أن يهتك [الله] ^(٢) ستره عندهم ويفضحهم عندهم لما أبدا له من سوء سريرته؟ وأدنى ذلك إن لم يفضحهم عندهم بعبث يظهره منه عندهم أن يثقله على قلوبهم من أجل كذبه الذي أضمر في قلبه، فقد تمقت إليهم وإلى ربّه وإن حظي عندهم بغير عوض من ربّه أن يكون، [فهو] ^(٣) يحظي عندهم بما يعرض ^(٤) للسقوط من عين سيده، وغدا يوم القيامة بين يديه لا يأمن أن يفضحهم ^(٥) على رؤوسهم ورؤوس الخلائق؛ [لأنه] ^(٦) إن لم يعام الله عز وجل، و[بل] ^(٧) أقرب إلى العباد بالحق إليه ^(٨) [مولاه] ^(٩) [ويجب على العامل أن يفسر القرآن بقلبه ويتلوه بلسانه لينجو] ^(١٠).

أما قوله: {بسم الله}، فإنه يرجع إليها ^(١١) من قلبه بالمعرفة ^(١٢) باسم من له الإلهية ^(١٣)، والإلهية هي الكمال، وكل منقوص بأقل المعاني لا تجب له الإلهية، ولا يمكنه اختراع الأشياء إلا من شيء.

(١) الأزهر: كيف.

(٢) الأزهر: الله.

(٣) الأزهر: فهو.

(٤) الأزهر: يرضه.

(٥) الفضح: فعل مجاوز من الفاضح إلى المفضح، افتضح الرجل يفضح افتضاحا إذا ركب أمرا سيئا فاشتهر به.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٤٢٥.

(٦) الأزهر: لأنه.

(٧) الأزهر: بل.

(٨) الأزهر: عليه.

(٩) الأزهر: مولاه.

(١٠) الأزهر: ويجب على العامل أن يفسر القرآن بقلبه ويتلوه بلسانه لينجو.

(١١) الأزهر: بتاليها.

(١٢) الأزهر: إلى المعرفة.

(١٣) الأزهر: الإلهية.

{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ^(١): الذي لَهُ الرَّحْمَةُ صِفَةً لَهُ بِهَا يَرْحُمُ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَعَافَاهُمْ، وَبِهَا رَحِمَ أَهْلَ الْآخِرَةِ فِي الْآخِرَةِ؛ يُنَجِّيهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَيَسْكُنُهُمْ جَنَّتِهِ.

ومعاني: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}، أَنَّ لَهُ الرَّحْمَةَ كَقَوْلِ الْعَرَبِ: (نَدِيمٌ وَنَدِمَانٌ).

{الْحَمْدُ لِلَّهِ}: الشُّكْرُ لِلَّهِ. [القَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالرَّبُوبِيَّةِ] ^(٢).

{رَبِّ الْعَالَمِينَ} ^(٣): يَعْنِي الْجَنِّ وَالْأَنْسَ.

{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ^(٤): اسْمَانِ رَقِيقَانِ أَحَدُهُمَا أَرْقُ مِنَ الْآخَرِ.

{الرَّحْمَنُ}: الْمُتَرَحِّمُ.

{الرَّحِيمُ}: الْعُطُوفُ بِالرَّحْمَةِ.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ^(٥): يَعْنِي الْقَادِرُ عَلَى إِقَامَةِ يَوْمِ الدِّينِ وَهُوَ الْحِسَابُ،

{وَالْمَالِكِ}: هُوَ الْقَادِرُ، وَمَنْ قَرَأَهَا (مَلَكٌ) فَمَعْنَاهُ ^(٦): الَّذِي يَلِي إِقَامَةَ الدِّينِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ فَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحُمُ مَنْ يَرِيدُ.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: أَيُّ أَنْتَ نَعْبُدُ نُوْحِدُكَ وَنُطِيعُكَ.

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ^(٧): أَيُّ وَأَنْتَ نَتَقَوَّى بِكَ وَنَسْأَلُكَ مَعُونَتَكَ عَلَى عِبَادَتِكَ.

(١) الفاتحة: ١، الآية.

(٢) الأزهر: القائم على كل شيء بالربوبية.

(٣) الفاتحة: ٢، الآية.

(٤) الفاتحة: ٣، الآية.

(٥) الفاتحة: ٤، الآية.

(٦) الأزهر: فمعناها.

(٧) الفاتحة: ٥، الآية.

{أَهْدِنَا}: اسلك بنا ووفقنا.

{الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ^(١): الطريق الذي هو السبيل إليك لا نميلُ عنك ^(٢) به فيما ارتضيت وأحببت.

{صِرَاطَ}: طريق.

{الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}: مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ يعني الذين استخلصتهم فحملتهم على رضوان ^(٣) رضوانك ثم استثنى من المنعم {عَلَيْهِمْ}، لأنه قد أَنْعَمَ على الكافرين من الدنيا.

فَقَالَ: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}: يعني سوى من غَضِبْتَ عليهم، وقد قيل هم اليهود.

{وَلَا الضَّالِّينَ} ^(٤): وَسَوِيَ الضَّالِّينَ مِنْ ضَلَّ عَنْ طَرِيقِكَ، وَقَدْ قِيلَ هُمُ النَّصَارَى ^(٥).

[وقد] ^(٦) يروى عن أبي الأحوص ^(٧) عن عبد الله ^(٨) قال: «لكل آية من

(١) الفاتحة: ٦، الآية.

(٢) الأزهر: ولا يميل بنا.

(٣) الرضوان: من الرضا الكثير، خص لفظ الرضوان في القرآن، قال تعالى: {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}، الفتح: ٢٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٥٦.

(٤) الفاتحة: ٧، الآية.

(٥) انظر: فهم الصلاة - المصنف رحمه الله: ص ٣٦٧.

(٦) الأزهر: قد.

(٧) أبو الأحوص: هو سلام بن سليم الحنفي، الإمام الثقة الحافظ: ثقة مات سنة ١٧٩ هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٢٨٢. تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني: ج ٣، ص ٢٨٣.

(٨) هو: عمرو بن عبد الله بن علي الهمداني الكوفي، أبو إسحاق السبيعي، الحافظ، شيخ الكوفة وعالمها كبير القدر، حدث عنه: محمد بن سيرين وهو من شيوخه، والزهرى، وقتادة. ثقة، مات سنة ١٢٧ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي، ج ٥، ص ٣٩٣.

كتاب الله عزَّ وجلَّ ظهرَ وبَطَنٌ وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ»^(١)، وقال أبو عبد الله: «أما ظاهرُها فتلاوتُها، وأما باطنُها فتأويلُها، وأما حدُّها فمنتَهى فِهمُها»^(٢) وعِنْدَ هَذِهِ الْخَلَّةِ فَرَّقَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بَيْنَ الْكَاذِبِينَ وَالصَّادِقِينَ مَن تَلَاهَا أَوْ مَن عَرَفَ تَفْسِيرَهَا وَلَمْ يَبْلُغْ مَنْتَهَى فِهمُهَا، أَوْ صَادِقٌ بَلَغَ مَنْتَهَى فِهمُهَا؛ لِأَنَّ أَقْلَ الصَّدِّقِ مِنَ الْمُرِيدِ الْمُؤْمِنِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالْآيَةِ أَنْ يَفْهَمَهَا عَنْ رَبِّهِ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا، وَإِنَّمَا قَصَرَ بِالنَّاسِ عَنْ فَهْمِهَا قَلَّةٌ^(٣) تَعْظِيمُهُمْ لِقَائِلِهَا، وَأَمَّا «مَطْلَعُهَا فَمَجَاوِزَةٌ حَدَّهَا بِالْغُلُوِّ وَالتَّعَمُّقِ وَالْفُجُورِ وَالْمَعَاصِي»، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} **فَلَا تَعْتَدُوهَا**^(٤).

قال عبد الله^(٥) وذكرَ الحديث: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَالنَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ»^(٦)، وَمَنْ أَطْلَعَ الْحِجَابَ وَاقَعَ مَا وَرَاءَهُ، يَعْنِي مَنْ جَاوَزَ حِجَابَ^(٧) النَّارِ وَقَعَ فِيهَا؛ لِأَنَّ حِجَابَهَا الشَّهَوَاتُ^(٨)، وَمَنْ جَاوَزَ حِجَابَ الْجَنَّةِ دَخَلَ؛ لِأَنَّ

(١) انظر: ص ٤٢٢. مسند الإمام أحمد: ج ٥، ص ١٧. الزهد. لابن المبارك: ج ١، ص ٤٥٥. سنن الترمذي: ج ٥، ص ١٧٨.

(٢) انظر: المعجم الأوسط. الطبراني: ج ١، ص ٤٣٣. البحر الزخار. أحمد بن عمرو: ج ٥، ص ٤٤٢.

(٣) الأزهري: لقلّة.

(٤) البقرة: ٢٢٩، الآية.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٩٣.

(٦) حُفَّتْ: حَافَةُ الطَّرِيقِ أَيْ جَانِبُهَا، وَمِنْهُ حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَقَوْلُهُ فِي مُحْفَتِهَا هِيَ شِبْهُ الْيُودِجِ إِلَّا أَنَّهُ لَا قُبَّةَ عَلَيْهَا.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٩، ص ٤٩.

(٧) جاء في الحديث: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ».

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني: ج ٤، ص ٣٢٨. مسند الإمام أحمد: ج ٢، ص ٣٧٤.

(٨) حجب من الحجاب: وهو المنع من وصول شيء، وما يحجب عن الفؤاد، قوله تعالى: {وَبَيَّنَّهْمَا حِجَابًا}، الأعراف: ٤٦، الآية. ويعني فيه المنع من الوصول إلى اللذة لأهل الجنة إلى أهل النار، وأذية أهل النار لأهل الجنة.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢١٩.

(٩) الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريد وذلك في الدنيا، قوله تعالى: {رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}، آل عمران: ١٤. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٦٨.

حجابها المكروهات، فَمَنْ تَحَمَّلَ^(١) المكروهات^(٢) دَخَلَ الجنةَ، وَمَنْ أَتَى الشهواتِ دَخَلَ النَّارَ، إِلَّا أَنْ يَغْفُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَتَحَمَّلُوا المكروه حتى يدخلوا الجنةَ، وأمرهم بترك الشهواتِ حتى ينجوا^(٣) من النار. والمناجاةُ كُلُّ مَنْ خَاطَبَ بِهِ مَخَاطَبُ وَسَمِعَهُ مِنْكَ^(٤) قريب، فإذا بَعُدَ^(٥) كانت مناداةً لا منجاةً.

مِنْ^(٦) ذَلِكَ مَا يُرَوَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ نُودِيَ، [حَيْثُ]^(٧) قَالَ: (يَا رَبِّ أَعْيِدْ فَأُنَادِيكَ أَوْ^(٨) قَرِيبٌ فَأُنَاجِيكَ)^(٩)، قَالَ^(١٠) اللَّهُ تَعَالَى: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ}^(١١)، ثُمَّ قَالَ: {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}^(١٢)، فجعل المناجاةَ بالقرب من السَّمْعِ، فكل من قرأ قرآنًا أو دعا بدعاءٍ أو ذَكَرَ اللَّهَ بِلِسَانِهِ بِتَحْمِيدٍ أَوْ تَمْجِيدٍ فَقَدْ نَاجَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ لِقَصْدِهِ^(١٣) إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ وَلِقَرَبِ اللَّهِ مِنْهُ،

(١) الأزهر: حمل.

(٢) مكروهات: جمع فِعْلٍ مَكْرُوهٍ: أَي مَا يُسْتَحْسَنُ تَرْكُهُ، قَالَ تَعَالَى: {لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا}، النساء: ١٩.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٨٦٥.

(٣) الأزهر: ينجوا.

(٤) الأزهر: منه.

(٥) البُعدُ: ضد القرب، وليس لهما حد محدود، قوله تعالى: {فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} المؤمنون: ٤١، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ١٣٣.

(٦) الأزهر: ومن.

(٧) الأزهر: حيث.

(٨) الأزهر: أم.

(٩) انظر: كنز العمال في السنن والأقوال. علاء الدين بن علي المتقي: ج ١، ص ٤٣٣. جامع الأحاديث القدسية: عمام الدين الصباطي ج ٣، ص ٣٧.

(١٠) الأزهر: فقال.

(١١) مريم: ٥٢، الآية.

(١٢) مريم: ٥٢، الآية.

(١٣) الأزهر: بقصده.

الله^(١) تعالي أقربُ إلى كلامه^(٢) مِنْ كلامك إلى لسانك، ومِنْ ذلك ما رُوي عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ»^(٣).
 وَقَالَ: [النبيّ] ^(٤)صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [لبعض الصحابة]^(٥): «إِنِّي أَنُاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي»^(٦).

(١) الأزهر: فالله.

(٢) الأزهر: كلامك.

(٣) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن حجاج القشيري : ج ٤، ١٧١٨. السنن الكبرى. البيهقي: ج ٣، ٢٣٣ ص. المعجم الأوسط. الطبراني: ج ١، ص ٢٩٦.

(٤) الأزهر: النبي.

(٥) الأزهر: لبعض الصحابة.

(٦) انظر: صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل : ج ٦، ص ٢٦٧٩. صحيح مسلم: مسلم بن حجاج القشيري: ج ١، ص ٣٩٥.

مسألة في إزالة الخوف

قلت: ما الذي يزيل الخوف^(١)؟

قال: الذي يزيل الخوف من قلوب الخائفين بعد ما تمكن فيها، والذي حال بين المغترين^(٢) وبين الخوف الأمن والغرة، والأمن والغرة يحلان في القلب بالعفلة عن عظيم حقوق الله عز وجل والجهل بواجب طاعته، والعجب باليسير من عمله، واستكثار القليل من عمله، فإذا كان كذلك أمن واغتر حتى يغفل^(٣) عن عظيم إساءته ويستعظم^(٤) القليل من عمله.

(١) الخوف: توقع مكروه عن معلومة، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية، والأخروية. قال تعالى: **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**، الإسراء: ٥٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ٣٠٣.

(٢) المغترين: والمغتر: اسم المفعول من اغتر، اغتر الرجل: غفل، والغرة: وهي غفلة في البيضة، وجمعها مغترين، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**، الانفطار، الآية ٦.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٠٣.

(٣) الأزهر: غفل.

يغفل: من غفل: أي جاهل بأمره لا يعرف ما عنده.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم العنوبي الصُّحاري: ج ٣، ص ٥٣٧.

(٤) الأزهر: واستعظم.

وكذلك يُروى عن ابن مسعود^(١) أَنَّهُ قَالَ: «الْهَلَاكُ فِي اثْنَتَيْنِ؛ الْقُنُوطُ^(٢) وَالْعَجَبُ^(٣)»^(٤)، فَمَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ وَنَسِيَ^(٥) عَظِيمَ ذَنْبِهِ لَزِمَ^(٦) الْأَمْنُ وَالغَرَّةَ قَلْبُهُ، والدليل على الْأَمْنِ صَلَابَةُ الْقَلْبِ وَتَجَلُّدُهُ عَلَى وَعِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتِلْكَ [هِيَ] ^(٧) الْقَسْوَةُ، فَهُوَ ^(٨) عَقُوبَةُ الْأَمْنِ، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**^(٩)، الْآيَةُ، وَقِيلَ فِي التَّفْسِيرِ كُلِّ **{مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}**^(١٠)، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْحِجَارَةَ مَعَ ^(١١) صَلَابَتِهَا تُفَجَّرُ^(١٢) وَتُشَقَّقُ^(١٣) وَتَسْقُطُ خَوْفًا مِنْهُ، وَالْأَمْنُ الْقَاسِي قَلْبُهُ لِصَلْبِ مِنْهَا، وَعَلَى وَعِيدِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِرُ وَلَا يَخَافُ مَقِيًّا^(١٤) عَلَى مَا يَكْرَهُ مُضِيعًا^(١٥) لِمَا أَحَبَّ.

(١) ابن مسعود: هو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، الْإِمَامُ الْحَبْرُ، فَقِيهُ الْأُمَّةِ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَمِنَ النَّجَبَاءِ الْعَالَمِينَ، رَوَى عِلْمًا كَثِيرًا، حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو مُوسَى وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَرَوَى عَنْهُ الْقُرَاءَةُ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، تَوَفَّى سَنَةَ ٣٢ هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٤٦٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة. علي كرم الجزري: ص ٧٣٧.

(٢) الْقُنُوطُ: الْبَاسُ مِنَ الْخَيْرِ، قَالَ تَعَالَى: {لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}، الزمر: ٥٣، الْآيَةُ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٨٥.

(٣) الْعَجَبُ: أَوَّلُ الْعَجَبِ فِي اللُّغَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَا يَنْكَرُهُ وَيَقُلُّ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهر: ج ١، ص ٢٤٧.

(٤) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ج ٧، ص ٢٩٨.

(٥) الْأَزْهَرُ: نَسِيَ.

(٦) الْأَزْهَرُ: وَلَزِمَ.

(٧) الْأَزْهَرُ: هِيَ.

(٨) الْأَزْهَرُ: فِيهِ.

(٩) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٧٤، الْآيَةُ.

(١٠) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٧٤، الْآيَةُ.

(١١) الْأَزْهَرُ: عَلَى.

(١٢) الْأَزْهَرُ: تَتَفَجَّرُ.

(١٣) الْأَزْهَرُ: وَتَتَشَقَّقُ.

(١٤) الْأَزْهَرُ: مَقِيمٌ.

(١٥) الْأَزْهَرُ: مُضِيعٌ.

وَأَمَّا الْغُرَّةُ فَالدَّلِيلُ عَلَيْهَا تَمَنِّيُ الْمَغْفِرَةَ وَطَيْبُ النَّفْسِ [بِهَا] ^(١)، وَسُرُورُهَا فِيمَا نَظَنُ ^(٢) أَنَّهُ حُسْنُ ظَنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَجَا ^(٣) لَهُ مَعَ الْمَقَامِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَتِلْكَ الْغُرَّةُ لَا رَجَا ^(٤)؛ لِأَنَّهُ مَنَ وَضَعَ الرَّجَاءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَهُوَ مَغْتَرٌّ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَجَا التَّائِبِينَ أَنْ لَا يَقْنُطُوا [وَلَا يَعْصُوا] ^(٥)، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ غَفُورٌ [رَحِيمٌ] ^(٦)، وَرَجَا الْمُعَامِلِينَ ^(٧) أَنْ لَا يُمْسِكُوا عَنِ الْعَمَلِ لَمَّا كَانَ مِنْ تَفْرِيطِهِمْ فَقَالَ: **«وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»** ^(٨) الْآيَةُ.

فَرَوَى عَنِ الْبِرَاءِ ^(٩) فِي تَفْسِيرِهَا: «أَنَّ الْعَبْدَ كَانَ يَصِيبُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ فَيَقُولُ: قَدْ هَلَكْتُ، فَيُمْسِكُ عَنِ النِّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَنَهَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنِ الْقُنُوطِ ^(١٠) وَأَمَرَهُ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ» ^(١١)، وَقَالَ: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} ^(١٢)، قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: **«يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ»**، فَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ الرَّجَاءُ فِي

(١) الأزهري: بها.

(٢) الأزهري: يظن.

(٣) الأزهري: رجاء.

رجاءاً: الظن يقتضي حصوله في مسرة، قال تعالى: {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}، النساء: ١٠٤، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٤٦.

(٤) الأزهري: رجاء.

(٥) الأزهري: ولا يعصوا.

(٦) الأزهري: رحيم.

(٧) الأزهري: العالمين.

(٨) سورة البقرة: ١٩٥، الآية.

(٩) البراء بن عازب ابن الحارث، الفقيه الكبير أبو عماره الأنصاري نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة، روى حديثاً كثيراً وشهد غزوات كثيرة مع النبي (ص)، وروى عن: أبي بكر الصديق، حدث عنه: عبد الله بن يزيد الخطمي، توفي سنة ٧٢ هـ..

انظر: سير أعلام نبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ١٩٥.

(١٠) القنوط: الإياس من الخير.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٩، ص ٢٥.

(١١) انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل: ج ٦، ص ٢٧.

(١٢) سورة الكهف: ١١٠، الآية.

ثلاثة مواضع:

أحدها: أَنْ لَا نَقْنَطَ بعدما أَصَبْنَا الذُّنُوبَ فَنَمْسِكَ عَنْ التَّوْبَةِ فَتَتَوَبَّ إِلَيْهِ رَجَاءً^(١) أَنْ يَقْبَلَهَا^(٢) كما رجانا، فَإِنْ عَارَضَنَا الْقَنُوطَ رَجِينَا أَنْفُسَنَا مَغْفِرَتَهُ، وَلَقَوْلِهِ: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}^(٣)، حتى تسخو^(٤) أَنْفُسُنَا بالتوبة.

وأما الموضع الآخر، [الثاني]^(٥): فهو أَنْ نَذْكُرَ مَا كَانَ مِنَّا مِنَ الذُّنُوبِ فَنَمْسِكَ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ خَوْفَ أَنْ لَا يُقْبَلَ^(٦)، فأمرنا أَنْ لَا نَقْنَطَ وَأَنْ نَعْمَلَ، فَإِنْ أَبَتْ أَنْفُسُنَا رَجِينَاهَا الْقَبُولَ حَتَّى تَسْخُو بِالرَّجَاءِ؛ فَأَمَرْنَا بِالرَّجَاءِ^(٧) فِي هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ.

وأما الموضع الثالث: فالرجاء الذي يبعثنا على العمل الصالح، إن^(٨) اسْتَقْلَلَتْ أَنْفُسُنَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ رَجِينَاهَا كَرِيمَ الثَّوَابِ [مِنْ]^(٩) اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَزِيلُ عَطَائِهِ حَتَّى يَخَفَفَ عَلَيْنَا الْعَمَلَ؛ لِأَنَّ كَثِيرَ الْأَجْرِ^(١٠) هُوَ الَّذِي خَفَّفَ عَنِ الْعَمَالِ أَعْمَالَهُمْ، وَكَذَلِكَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا

(١) الأزهري: رجاء.

(٢) الأزهري: يقبلنا.

(٣) سورة طه: ٨٢، الآية.

(٤) تسخو، يَسْخُو، فهو سَخِيٌّ والجمع: أسخياء: أي رجلٌ سَبَطَ الْيَدَيْنِ.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. : سلمة بن مسلم العوثي الصُّحَارِي: ج ٣، ص ٢١٧

(٥) الأزهري: الثاني.

(٦) الأزهري: ألا نقبل.

(٧) الأزهري: الرجاء.

(٨) الأزهري: فإن.

(٩) الأزهري: من.

(١٠) الأزهري: العطاء.

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ^(١).

وقيل للحسن [البصري]^(٢): قومٌ يقولون نرجو أو يضيعون العمل، قال: (هيهات تلك أمانهم يترجحون فيها، من رجاً شيئاً طلبه، ومن خاف [من]^(٣) شيئاً^(٤) هرب منه)^(٥)، ورؤي نحوه عن مسلم بن يسار^(٦) «فأمرنا بالخوف عند المعصية»^(٧)، وعند تضييع واجب حقه فعلينا أن نخوف أنفسنا من سخطه وأليم عقابه؛ حتى تدع^(٨) بترك الذنب^(٩) وأداء واجب الحق، فمن وضع الخوف حيث وضعه الله عز وجل والرجاء، حيث وضعه ثم لم^(١٠) يقنط ولم يغير^(١١) أراه قد بقي منه فقد تأدب بأدب الله عز وجل.

(١) سورة البقرة: ٢١٨، الآية.

(٢) الأزهري: البصري.

(٣) الأزهري: من.

(٤) الأزهري: شيء.

(٥) انظر: كتاب الزهد. لابن المبارك: ص ١٩٠.

(٦) مسلم بن يسار: القدوة، الفقيه، الزاهد، أبو عبد الله البصري، تابعي، ثقة، روى عن: ابن عباس وابن عمر، كان لا يفضل عليه أحد، حدث عنه: ابن سيرين، وقتادة، مات سنة ١٠٠هـ. (إن الحسن البصري لما مات مات مسلم بن يسار قال: وامعلماء).

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٥١١، ص ٥١٣. الجرح والتعديل. محمد عبد الرحمن النميمي: ج ٢، ص ١٩٩.

(٧) انظر: الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٥، ص ٤٩٤. الأحاديث القدسية: عصام الدين الصبابطي: م ٢، ص ١٧٠. الزهد. لأبي المبارك: ص ٤٦٣.

(٨) الأزهري: ندع.

تدع: أي تتقاد بدون إرادة، قال تعالى: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}، النور: ٤٩، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٢٨.

(٩) الأزهري: دنوب.

(١٠) الأزهري: فلم.

(١١) الغرة: الغفلة، وقد اغتر، والإسم منها الغرة.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٥، ص ١٦.

فالمعترُّ قَلَبَ أَدَبَ الله تعالى واستعمل الرجا^(١) حيث أَمَرَ [الله تعالى]^(٢) أَنْ يستعمل الخوف؛ فعصى [الله]^(٣) وأساءَ وطَيَّبَ نَفْسَهُ بِذِكْرِ مَغْفِرَةِ الله تعالى^(٤) وتفضَّله، فَأَقَامَ عَلَى المعصِيَةِ وتمنى المغفرة، فَكَانَ أَوْلَى بِهِ أَنْ يَخَوْفَ نَفْسَهُ كَمَا نَدَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ خَافَ فَأَرَادَ^(٥) أَنْ يَقْلَعَ ثُمَّ عَارَضَهُ الْقَنُوطُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ التَّوْبَةُ رَجَا نَفْسَهُ حَتَّى تَسْخُو بِالتَّوْبَةِ، فَحِينَئِذٍ وَضَعَ الْخَوْفَ مَوْضِعَهُ، وَوَضَعَ الرَّجَاءَ مَوْضِعَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، وَالْمَعْتَرُّ حَوْلَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ فَوَضَعَ الرَّجَا^(٦) مَوْضِعَ الْخَوْفِ وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ حُسْنُ ظَنٍّ بِاللَّهِ، وَتِلْكَ الْغَرَّةُ، وَلِذَلِكَ رُوِيَ عَنْ وَهَبِ بْنِ مَنْبِهِ^(٧) قَالَ: «حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَا جَانَبَ الْغَرَّةَ»^(٨).

(١) الأزهري: الرجاء.

(٢) الأزهري: الله تعالى.

(٣) الأزهري: الله.

(٤) الأزهري: عز وجل.

(٥) الأزهري: وأراد.

(٦) الأزهري: الرجاء.

(٧) وهب بن منبه: هو ابن كامل بن سبيح بن ذي كبار، العلامة الإخباري، حدث عن: ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، حدث عنه: ولده: عبد الله وعبد الرحمن، تابعي ثقة، مات سنة ١١٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٥٤٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. يوسف بن عبد الرحمن الكلبي: ص ٤٧٧. الطبقات الكبرى. لابن سعد: ص ٣٧٤.

(٨) جاء في الحديث: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي». انظر: شرح النووي. مسلم: ج ٤، ص ٣٣٠. فتح الباري في شرح الصحيح البخاري: العسقلاني ج ٤، ص ٣٨٩.

وَرُويَ عَنْ لَقْمَانَ ^(١) أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ ^(٢): ((يَا بَنِيَّ، إِيَّاكَ وَالْغَرَّةَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَضَيِّعَ أَمْرَهُ وَتَتَمَنَّى مَغْفِرَتَهُ ^(٣)). وَلِذَلِكَ مِثْلُ بَيْتٍ ^(٤): ((لَوْ أَنَّ رَجُلًا وَعَدَكَ إِنْ جِئْتَهُ الْيَوْمَ أَعْطَاكَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَإِنْ أَخَّرْتَ الْمَجِيءَ إِلَى غَدٍ عَاقَبَكَ وَحَسِبَكَ، فَقُلْتَ فِي نَفْسِكَ هُوَ كَرِيمٌ أَحْلَقَ أَوْخَرِ الْمَجِيءَ إِلَى الْغَدِ وَيَعْفُو عَنِّي وَيُعْطِنِي الْأَلْفَ دِرْهَمَ النَّيِّ وَعَدَنِي تَفْضُلًا مِنْهُ، كُنْتُ قَدْ اغْتَرَزْتُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَعَدَكَ الْأَلْفَ [دِرْهَمٍ] ^(٥) عَلَى مَجِيءِ الْيَوْمِ وَوَعَدَكَ الْعِقَابَ عَلَى تَأْخِيرِ الْمَجِيءِ مِنْ ^(٦) الْغَدِ، فَأَخَّرْتَ ^(٧) الْمَجِيءَ إِلَى الْغَدِ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ ثَوَابُهُ مَعَ التَّضَيِّعِ لِأَمْرِهِ رَجَاءً مِنْكَ لِفَضْلِهِ، وَلَوْ جِئْتَهُ لِيَوْمِكَ ^(٨) لَوْفَى ^(٩) لَكَ بِمَا وَعَدَكَ، فَتَرَكْتَ الْوَثِيقَةَ وَغَرَزْتَ بِنَفْسِكَ بِتَأْخِيرِكَ لِأَمْرِهِ الَّذِي رَجَاكَ عَلَى فَعْلِهِ وَتَوَعَّدَكَ عَلَى

(١) لقمان بن عنقاء بن مريد بنم صاوون وكان نوبياً، من النبوة في السودان عبداً صالحاً، كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: كان لقمان من السودان مصر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة، قال رسول الله (ص): «اتخذوا السودان لثلاثة منهم من سادات الجنة: لقمان الحكيم، النجاشي، وبلال المؤذن».

انظر: القرآن الكريم: سورة لقمان: ١٣. تفسير الكشاف. الزمخشري، ج ٢١، ص ٨٣٦. مروج الذهب ومعادن الجواهر. المسعودي: ج ١، ص ٢٠.

(٢) الأزهر: لولده.

(٣) انظر: تفسير الكشاف. الزمخشري: ج ٦، ص ٣٣٧. الزهد. لابن المبارك: ص ٤٦٣.

(٤) بَيِّنٌ هُوَ مِنَ الْبَيِّنَةِ: الشَّاهِدُ، لِأَنَّهُ يُبَيِّنُ الشَّيْءَ، أَي: يُوضِّحُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ **الْبَيِّنَةُ**)، الْبَيِّنَةُ: ١، الْآيَةُ.

انظر: حلية الفقهاء. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني: ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) الأزهر: درهم.

(٦) الأزهر: إلى.

(٧) الأزهر: فاخترت.

(٨) الأزهر: اليوم.

(٩) الأزهر: لو في.

تَضِيعُهُ، فَضِيعَتٌ تَرْجُو^(١) الثَّوَابَ فِي مَوْضِعٍ يُسْتَوْجَبُ بِهِ^(٢) الْعَقَابُ^(٣).

(١) الأُزْهَرُ: تَرْجُو.

(٢) الأُزْهَرُ: تَسْتَوْجِبُ فِيهِ.

(٣) انْظُرْ: الزَّهْد. لَابِنْ مَبَارِك: ص ٣٤١.

مسألة في النوافل

وقال: جميع ما تطوع به العباد للنوافل^(١) التي لم تفرض عليهم ست خصال:

إحداها: تكفير السيئات^(٢) وتكميل للفرائض، وكذلك جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه عنه أبو هريرة وقيم الداري^(٣): «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُعْرَضُ [عليه]^(٤) صَلَاةُ الْفَرِيضَةِ، فَإِذَا^(٥) كَانَتْ كَامِلَةً قَبْلَهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا نَقْصَانٌ^(٦)، قِيلَ: انْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَكْمَلُوا^(٧) بِهَا^(٨) فَرَضَهُ^(٩)».

قال: أبو هريرة في حديثه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثُمَّ تُوْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى سَائِرِ ذَلِكَ^(١٠).

(١) الأزهري: من النوافل.

(٢) الأزهري: الذنوب.

(٣) تميم بن أوس بن خازجة بن سود بن جذيمة اللخمي، صاحب رسول الله (ص)، أبو رقية، ولتميم عدة أحاديث، وحديثه يبلغ ثمانية عشر حديثاً، منها في صحيح مسلم حديث واحد، حدث عنه: ابن عباس. وابن موهب عبد الله، وأنس بن مالك، لم يزل بالمدينة حتى تحول بعد قتل عثمان إلى الشام، مات سنة ٤٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٤٤٢.

(٤) الأزهري: عليه.

(٥) الأزهري: فإن.

(٦) الأزهري: ناقصة.

(٧) الأزهري: أكملوها.

(٨) الأزهري: به.

(٩) انظر: تحفة الأحوذى بشرح الترمذي. عبد الرحمن المباركفوري: ج ٢، ص ٤٦٢.

(١٠) جاء في الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ

وقال تميم الداري عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلَ حديثِ أبو هريرة،
إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «إِن لَمْ يَكُنْ لَهُ تَطَوُّعٌ أُخِذَ بِطَرَفِيهِ فَأُلْقِيَ^(١) فِي النَّارِ»^(٢)، فسبحان
[الله]^(٣) من يَتَفَضَّلُ عَلَى الْعَبْدِ حَتَّى يُكْمَلَ بِتَطَوُّعِهِ فَرَضُهُ حَتَّى كَانَ التَّطَوُّعُ
عَمَلَهُ^(٤) فَرَضًا فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا^(٥) تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ فَمِثْلُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كُفِّرَتْ عَنْهُ أَلْفِي سَيِّئَةٍ»^(٦)،
وَقَالَ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَجُلٍ مُحَرَّمًا مُلَبِّيًا فغَابَتْ [عَنْهُ]^(٧) إِلَّا غَابَتْ
بِذُنُوبِهِ فَعَادَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٨).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَذَكَرَ [الله]^(٩) أَنَّهُ يَكْفِّرُ^(١٠)
عَنْهُ عَنِ كُلِّ عُضْوٍ مَا أَصَابَ مِنَ الذَّنْبِ مَا أَصَابَ الْمَاءُ»^(١١)، وَقَالَ: «وَخَفَقَانُ

أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا
هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؛ فَيُكْمَلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٥، ص ١٤١.

(١) الأزهري: وألقي.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. السقلائي: ج ٥، ص ١٤١.

(٣) الأزهري: الله.

(٤) الأزهري: عمل تطوع.

(٥) الأزهري: أما.

(٦) انظر: الأحاديث القدسية. عصام الدين الصبابطي: ص ٨٣. الترهيب والترغيب في الأحاديث.
زكي الدين المنذري: ج ٢، ص ٣٣٧.

(٧) الأزهري: عنه.

(٨) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٣٦٨. روائع التفسير. لابن رجب الحنبلي: ج ٢، ص ١٤٨.

(٩) الأزهري: الله.

(١٠) الأزهري: كفر.

(١١) انظر: المستدرك على الصحيحين: ج ١، ص ٣٤٢. الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري:
ج ١، ص ٩٣. مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٥٧١.

القلب في سبيل الله محمّاة^(١) للذنوب^(٢)، فيأليته يفعل بنا ذلك، وإتّما حصّه بالنافلة التي لا يكمل بها فرض، ولا يكفر بها ذنب من غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.

وكذلك يرويه ابن مبارك^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مَسِيرٍ لَهُ فَأَوْتَرَ عَلَى بَعِيرِهِ وَنَزَلَ^(٤) ابْنُ رَوَاحَةَ^(٥) فَأَوْتَرَ بِالْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْنَ رَوَاحَةَ، أَمَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ قَالَ: بلى يا رسول الله، ولكنك تعمل في عتق^(٦) وأنا أعمل في رق^(٧)»^(٨).

(١) الأزهري: يحات.

محمّاة: اسم أداة تُحمى بها الكتابة، تُستعمل لمحو الخط وإزالة الخطأ المكتوب.

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ج ٣، ص ٢٠٧٣.

(٢) انظر: الجامع الصحيح: محمد بن عيسى الترمذي: ج ٤، ص ١٧٥. حلية الأولياء. الأصفهاني:

ج ٥، ص ٢٠٩. مسند أبي يعلى: ج ٧، ص ٣٠٧.

(٣) عبد الله بن المبارك ابن واضح الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الاتقياء في وقته، سمع من: أبي عبد الرحمن الحنظلي، وأبي حنيفة، حدث عنه: معمر والثوري وطائفة من شيوخه، كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي (ص) وأصحابه، مات في سنة ١١٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٣٧٩.

(٤) الأزهري: ترك.

(٥) عبد الله بن رواحة الأنصاري ابن ثعلبة بن امرئ القيس، كان حارس النبي وشاعره، مات سنة ٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٢٣١. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج ١، ص ١٦٤٠.

(٦) عتق من العتيق: الكريم الرائع، ولمن خلا من الرق.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٤٥.

(٧) الرق: المملوك منهم، العبيد.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٦١.

(٨) انظر: المستدرک صحيح على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج ١، ص ٦٠١. صحيح مسلم:

ج ١، ص ٤٨٧. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٢، ص ٣٣٦.

وأما الحَصلَةُ الثانية: فشكْرُ النعم؛ ليرضى بذلك المنعم ولا يُزيلها [عنك] ^(١)، ومن ذلك ما روى مسعر ^(٢) و[سفيان] بن عيينة ^(٣) عن زياد بن علاقة ^(٤) عن المغيرة بن شعبة ^(٥) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ حَتَّى تَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ^(٦). وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا جاءه شيء يعجبه قال ^(٧): «الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) الأزهري: عنك.

(٢) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق أبو سلمة الهلالي الكوفي، روى عن: عدي بن ثابت. وعمر بن مرة، وزياد بن علاقة، ومحمد بن المنكر، روى عنه: سفيان بن عيينة، ويحيى القطان. مات سنة ١٥٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ١٦٤.

(٣) الأزهري: سفيان.

سفيان بن عيينة: أبو عمران، أخو الضحاك بن مزاحم الإمام الكبير حافظ العصر، طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علماً جماً، فسمع من: عمرو بن دينار، زياد بن علاقة، حدث عنه: الأعمش، وابن جريج، وشعبة -وهؤلاء من شيوخه-، من أعلم الناس بحديث الحجاز، مات سنة ١٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٤٥٥.

(٤) زياد بن علاقة ابن مالك أبو مالك الثعلبي الكوفي، من الثقات المعمرين. يقال: إنه أدرك ابن مسعود، وقد حدث عن: قطبة بن مالك، وجريز بن عبد الله البجلي، حدث عنه: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وقال النسائي: ثقة. وأبو حاتم: صدوق، توفي ١٢٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٢١٥. كتاب العلل. عبد الرحمن الرازي: ج ٣، ص ٣١.

(٥) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب، أبو محمد، من كبار الصحابة أولي الشجاعة، شهد بيعة الرضوان روى عنه: الزهري، وهو أول من وضع ديوان البصرة، وولي على الكوفة في زمن عمر (رض)، مات سنة ٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ٢٢. ٢٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة. الجزري: ص ١١٦٢.

(٦) انظر: صحيح مسلم: ج ٤، ص ٢١٧٢. صحيح البخاري: ج ٤، ص ١٨٣١، ص ٥٠. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٢، ص ٢٦٩.

(٧) الأزهري: يقول.

الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»^(١)، وَرُويَ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا مُحَاطَبًا^(٢) فَخَرَّ^(٣) سَاجِدًا، وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُجْعَلْنِي مِثْلَ زُنَيْمٍ»^(٤)»^(٥).

وَأَمَّا الْخَصْلَةُ الثَّلَاثَةُ: فَتَجْرِيدُ الْقُلُوبِ وَحَيَاةُهَا^(٦) وَعِمَارَةُهَا^(٧)؛ لِرَجْعِ ذَلِكَ إِلَى قُلُوبِهِمْ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ»^(٨)، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثُ [الْقُدْسِيُّ]^(٩)، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «مَا تَعَبَّدَ لِي عَبْدٌ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ»^(١٠) عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ^(١١) يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَعَقْلَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ»^(١٢)، وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ:

(١) انظر: ابن ماجة: ج ٢، ص ١٢٥٠. البحر الزخار. أحمد بن عمرو: ج ٢، ص ١٦٦. مختصر الأحكام. الطوسي: ج ٤، ص ٢٤١.

(٢) وَرَجُلٌ مُحَاطَبٌ لَيْلٍ: يَتَكَلَّمُ بِالْغَثِّ وَالسَّمِينِ، مُخَلِّطٌ فِي كَلَامِهِ وَأَمْرِهِ، لَا يَتَفَقَّدُ كَلَامَهُ، كَالْحَاطِبِ بِاللَّيْلِ الَّذِي يَخْطُبُ كُلَّ رَدِيءٍ وَجَيِّدٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ مَا يَجْمَعُ فِي حَبْلِهِ، وَهُوَ شُبَّ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِلِسَانِهِ. انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. الكجراتي: ج ٥، ص ٣٨٢. لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٣٢٢.

(٣) فَخَرَّ: مَعْنَاهُ كُلُّهُ سَقَطَ وَأَصْلُهُ السَّقُوطُ مِنْ عُلُو.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٠، ص ١١٥.

(٤) (الزُّنَيْمُ):، الدَّعِيُّ الْمُلْصَقُ بِالْقَوْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَرَجُلٌ زُنَيْمٌ: ذُو عِلَاقَةٍ سَوِيَّةٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زُنَيْمٌ). ١٣، الْقَلَمُ الْآيَةِ.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن: ج ٢، ص ٨٣٨. لسان العرب. ابن منظور: ج ١٢، ص ٢٧٧.

(٥) انظر: المصنف. لابن أبي شيبة: ج ٥، ص ٤٥٩. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي العسقلاني: ج ٢، ص ٤٧١.

(٦) الْأَزْهَرُ: وَحْيَاتُهَا.

(٧) الْأَزْهَرُ: وَعِمَارَتُهَا.

(٨) مُحَمَّدٌ: ١٧، الْآيَةِ.

(٩) الْأَزْهَرُ: الْقُدْسِيُّ.

(١٠) الْأَزْهَرُ: افْتَرَضْتَهُ.

(١١) الْأَزْهَرُ: عِيدِي.

(١٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: ج ٥، ص ٢٣٨٥. فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ.

أَنَّ^(١) يَقُومَ لَهُ عَقْلُهُ وَجَوَارِحُهُ لَطَاعَتِهِ، لَا أَنَّ اللَّهَ يَسْكُنُ فِي الْعُقُولِ وَالْجَوَارِحِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}^(٢).

وقال: عبد الله [ابن مبارك]^(٣): «الذِّكْرُ يُثَبِّتُ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ»^(٤)، وقال الحسن^(٥): «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَتَكُونُ نُورًا فِي قَلْبِهِ»^(٦)، ورُوي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ كَانَ دَائِمُ التَّفَكُّرِ مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ»^(٧). وذلك [هو]^(٨) عِمَارَةٌ لِلْقَلْبِ بِذِكْرِ اللَّهِ، وقيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَكْيَسِ^(٩) الْمُؤْمِنِينَ كَيْسًا، قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا»^(١٠)، وَأُنْثِيَ عَلَى رَجُلٍ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ [الصَّلَاةُ]^(١١) وَالسَّلَامُ: «كَيْفَ ذِكْرُهُ لِلْمَوْتِ؟» قَالُوا: مَا هُوَ كَثِيرُ الذِّكْرِ^(١٢)

العسقلاني: ج ١١، ص ٣٥٠. السنن الكبرى. النسائي: ج ١، ص ٣٤٦.

(١) الأزهر: أنه.

(٢) النحل: ١٢٨، الآية.

(٣) الأزهر: بن مبارك.

(٤) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص ٩٩. كنز العمال في السنن والأقوال. علاء الدين المتقي: م ١، ص ٤٠٦.

(٥) الحسن البصري.

(٦) انظر: المصنف. لأبي شعبة: ج ٨، ص ٢٥٦.

(٧) انظر: المعجم الكبير. للطبراني: ج ٢٥، ص ٢٤٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي الهيثمي: ج ٨، ص ٢٧٤.

(٨) الأزهر: هو.

(٩) أكيس: أَعْلَى، أَيِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ أَيِ أَعْلَى.

انظر: غريب الحديث. لابن الجوزي: ج ٢، ص ٣٠٧.

(١٠) انظر: سنن ابن ماجه: ج ٥، ص ٣٢٧. حلية الأولياء. أصبهاني: ج ١، ص ٣١٣. الزهد. لأبي مبارك: ص ١١٤.

(١١) الأزهر: الصلاة.

(١٢) الأزهر: لذكر.

للموت، قال: ليس صاحبكم حيث تذهبون»^(١).

وقال عليه السلام: «مَنْ اسْتَحْيَى مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ وَلَمْ يَنْسَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى»^(٢)، وقال عليه السلام: «الْجَلِيسُ الصَّالِحُ مِثْلُ صَاحِبِ الْعِطْرِ إِنْ لَا يَجِدُكَ عِطْرُهُ يَعْبُقُ بِكَ مِنْ رِيحِهِ»^(٣)، وَرُويَ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ^(٤) [أَنَّهُ]^(٥) قِيلَ لَهُ: «لَمْ لَا تَجَالِسْ أَصْحَابَكَ؟» قَالَ^(٦): «إِنَّهُ إِذَا فَارَقَ ذَكَرُ الْمَوْتِ قَلْبِي سَاعَةً فَسَدَ عَلَى قَلْبِي»^(٧).

وقال الحسن: (إِنَّ الرَّجُلَ لِيَجْلِسَ الْمَجْلِسَ فَيَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَيَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، أَلَا تَرَاهُ يَنْدُبُ^(٨) إِلَى تَرْكِ مَا يَغَيِّرُ^(٩) عَلَى الْعَبْدِ قَلْبُهُ)، وقال

(١) انظر: المصدر نفسه: ص ١١٣.

(٢) انظر: الترغيب والترهيب في الأحاديث. زكي الدين المنذري: ج ٣، ص ٢٦٩.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٣٢، ص ٣٩٩. المستدرک علی الصحیحین. الحاكم النيسابوري: ج ٤، ص ٣١٢. الكفاية في علم الرواية. أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ج ١، ص ٦٠.

(٤) الربيع: هو جامع بن أبي راشد الكاهلي الصيرفي الكوفي، قال الربيع: لو أعلم أي العمل أحب إلى الله لعلّي أكفله، انظر: الطبقات. لابن سعد: ج ٨، ص ٤٤٦. تهذيب التهذيب. العسقلاني: ج ١، ص ٢٨٨. موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل: ص ٣٦٧.

(٥) الأزهر: أنه.

(٦) الأزهر: فقال.

(٧) انظر: التاريخ الكبير. تاريخ ابن خيثمة: ج ١، ص ٩٨. موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل: ص ١٩٩.

(٨) الأزهر: يدل.

يَنْدُبُ: هُوَ احْتِرَاقٌ وَلَذَعٌ مِنَ الْحُزْنِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٧٥٤.

(٩) الأزهر: ما يغير.

أبو حازم^(١): لقاء الإخوان يَلْقَحُ القلوبَ، و[في]^(٢) الحديث: « إِنَّ اللَّهَ يُحْيِي بِالْحِكْمَةِ الْقُلُوبَ^(٣) كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بَوَابِلِ السَّمَاءِ^(٤) ».

والخصلة الرابعة: جَزَعُ مَنْ خسرانَ العمرِ أَنْ تمضي [منهُ]^(٥) ساعةٌ بغير طاعةٍ، وكذلك يُروى في التفسير قوله عزَّ وجلَّ: **وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا^(٦)**، قَالَ: لَا تَدْعُ أَيَّامَ عُمْرِكَ [دونَ]^(٧) أَنْ تعملَ فيها لنفسك، وكذلك جاء في الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ تُعْرَضُ لَهُ السَّاعَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا مَرَّتْ سَاعَةٌ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهَا كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً^(٨)»^(٩)، وَرُوي عن الحسنِ أَنَّهُ قَالَ: «أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى سَاعَاتِهِمْ أَشْحَ مِنْكُمْ عَلَى دنانيرِكم ودراهمكم»^(١٠)، وَرُوي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ

(١) أبو حازم: هو سلمة بن دينار، الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية الزاهد، وروى عن: سعيد بن المسيب، وروى عنه: ابن شهاب، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، وعمارة بن غزية، وثقه ابن معين، لم يكن في زمانه مثله.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ٩٧.

(٢) الأزهري: في.

(٣) الأزهري: قلوب.

(٤) ورد الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بنورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي اللَّهُ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ». انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: ج ١، ص ٦٨٤. المعجم الكبير. الطبراني: ج ٨، ص ٢٠٠.
(٥) الأزهري: منه.

(٦) القصص: ٧٧، الآية.

(٧) الأزهري: دون.

(٨) الحسرة: الغم على ما فاتته والندم عليه قال تعالى: {وَأِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}، الحاقة: ٥٠.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٣٥.

(٩) انظر: المعجم الكبير. الطبراني: ج ٢٠، ص ٩٤. غذاء الألباب في شرح مقطوعة الآداب. محمد السفاريني: ج ٢، ص ٤٩٣.

(١٠) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص ٥٢. المعجم الكبير. الطبراني: ج ١٠، ص ٩٤. البحر الزخار. أحمد بن عمرو: ج ٥، ص ٥٢.

عليهم حسرة يوم القيامة»^(١)، وَرُويَ عَنْهُ^(٢)[النَّبِيِّ]^(٣) عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ»^(٤).

وَرُويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَنِي خَالِي^(٥) ذَكَرْتُكَ خَالِيًا، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبْتَ إِلَيَّ فِتْرًا^(٦) تَقَرَّبْتُ إِلَيْكَ بَاعًا^(٧)، وَإِنْ أَتَيْتَنِي تَسْعَى أَتَيْتُكَ هَرَوَلَةً^(٨)، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ الْعَطَايَا بِالْمَعُونَةِ وَالتَّوْفِيقِ^(٩) مَعَ الرَّحْمَةِ، لَا أَنَّ^(١٠) اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(١١) يَنْزِلُ^(١٢) إِلَى

(١) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٢٤. مَجْمَعُ الرُّوَايَةِ وَمُنْبَغُ الْفَوَائِدِ. نور الدين علي: ج ١، ص ٧٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي ج ١، ص ٤٢٤.

(٢) الأزهري: عن

(٣) الأزهري: النبي.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٣، ص ٤٩. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع. عبد الفتاح الغني: ج ١، ص ٣٨٢.

(٥) الأزهري: خاليا.

(٦) فِتْرًا: مقدار ما بين طَرْفِ الإِبْهَامِ وَطَرْفِ الْمُشِيرَةِ، وَفِتْرَتُ الشَّيْءِ فِتْرًا بِفِتْرِي، وَشَبْرَتُهُ شَبْرًا بِشِبْرِي. يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ فِي الشَّيْءِ.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٨، ص ١١٤. معجم مقاييس اللغة. أحمد الرازي: ج ٤، ص ٤٧٠. الأزهري: شبرًا.

(٧) باع: نحو ذرعه إذا قَدَرَهُ بِذِرَاعِهِ.

انظر: أساس البلاغة. الزمخشري: ج ١، ص ٨٢.

الأزهري: ذراعًا.

(٨) انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج ٥، ص ٣٥١. صحيح مسلم: ج ٤، ص ٢١٠٢.

الترغيب والترهيب في الحديث. زكي الدين المنذري: ج ٢، ص ٢٥٢.

(٩) الأزهري: والتوفيق والمعونة.

(١٠) الأزهري: لأنَّ.

(١١) الأزهري: تعالى.

(١٢) الأزهري: لا ينزل.

أَحَدِ أَطَاعَهُ أَمْ عَصَاهُ.

وأما الخصلة الخامسة: وهي أعظم الخصال، وهي التي تهيج من قلوب أهل الاشتغال بالله تعالى والمحبة له، وهي الكراهة^(١) والجزع من مدخل طرفة عين بينهم وبين ربهم [بالغفلة]^(٢) حباً له^(٣) واشتغالا بذكره، وكذلك كلُّ محبٍ لمحِبِ الغفلة من كلِّ حائل يحول بينه وبين الأسباب المُشغِلة؛ كراهةً أَنْ تَحُلَّ في قلوبهم الغفلة عن ربهم، ومن ذلك ما رُوِيَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ أَبَا جَهْمٍ^(٤) أَهْدَى إِلَيْهِ رِدَاءً^(٥) مُعَلَّمًا^(٦) وَأَخَذَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسَاءً^(٧) أَنْبِجَانِيًّا^(٨)، فَلَمَّا صَلَّى فِيهِ وَانصَرَفَ نَزَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا شَغَلَ قَلْبِي أَنْفًا^(٩)، أَذْهَبُوا بِهَا^(١٠) إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأَتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّتِهِ^(١١)». وَسَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ

(١) الأزهر: الكراهية.

(٢) الأزهر: حباله.

(٣) أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي، وكان علامة بالنسب، كان ممن بنى البيت في الجاهلية، وهو الذي قال فيه النبي (ص)، لفاطمة بنت قيس، إذ خطبها: أما أبو جهم فإنه ضراب للنساء. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٥٥٧.

(٤) الأزهر: ثوبًا.

(٥) وهي البردة من نوع سِبان مخططة تم تعريفها.

(٦) الكساء: وهو اللباس، قال تعالى: {أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ}، المائدة: ٨٩. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧١١.

(٧) الكساء أنبجاني:، وهو كساء يتخذ من الصوف له خمل ولا علم له. انظر: لسان العرب ابن منظور: ج ١، ص ٣٧٢.

(٨) الأزهر: شغل هذا قلبي.

(٩) أنفًا: أي مبدأه، قوله تعالى: {مَاذَا قَالَ أَنْفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}، محمد: ١٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٩٥.

(١٠) الأزهر: بي.

(١١) انظر: صحيح مسلم: ج ١، ص ٣٩٢. سنن أبي ماجه: ج ٢، ص ١١٧٦. السنن المأثورة للشافعي: ج ١، ص ٢٤٦.

الله عنها بابها بستر^(١) فقال: «يا عائشة انزعيه؛ فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا»^(٢).

وَلَبَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتماً مِنْ ذَهَبٍ ثُمَّ صَعَدَ [عَلَى]^(٣)
المنبر فرماه، وقال: «نظرةٌ إليه ونظرةٌ إليكم إِنَّهُ شَغَلَنِي عَنْكُمْ»^(٤)، وَشَرَكَ
نَعْلَهُ بِشْرَاكِ جَدِيدٍ، فقال: «انزعه وأعيدوا»^(٥) الأول^(٦)؛ فَإِنَّهُ أَشْغَلَ^(٧)
قلبي»^(٨) أفلا تراهم يجزعون في الصلاة من أن يحول بينهم وبين ربهم.

فهم الصلاة. للحارث المحاسبي: ص ٣٧٤.

(١) السَّنَرُ: الظِّلُّ، وَظِلُّ الشَّجَرَةِ، أَيْ: سَتَرُهَا وَتَغْطِيَتُهَا، وَالْكِلَةُ: السَّنَرُ الرَّقِيقُ، وَالْقِرَامُ إِذَا خِيطَ فِصَارُ كَالْبَيْتِ، فَهُوَ كِلَةٌ، وَعَلَى الْبَابِ قِرَامٌ» في الحديث.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم العوتبي: ج ٣، ص ٥٧. تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٨، ص ١٢١.

(٢) جاء في الحديث الشريف: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُرْجَةً، ثُمَّ دَخَلَ وَقَدْ عَقَفَتْ قِرَامًا فِيهِ الْخَيْلُ أَوْلَاتُ الْأَجْنَحَةِ، فَلَمَّا رَأَاهُ، قَالَ: انْزَعِيه».

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. زين الدين عبد الرحمن دمشقي: ج ١٠، ص ٥٤٤. سنن النسائي: ج ٨ ص ٤٥٨. الزهد. لأبي مبارك: ص ١٤٥.

(٣) الأزهر: على.

(٤) الشَّرَكُ: شَيُورٌ مِنْ جِلْدٍ يَدْخُلُ ذَلِكَ فِي الثَّقْبِ مِنَ الطَّرَفِ الْآخَرِ، وَيَزِمُ بِهَا الْمَنْطِقَةُ عَلَى الْوَسْطِ، الشَّرَاكُ سَيْرُ النَّعْلِ عَلَى الْقَدَمِ.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن: ج ٢، ص ٧٤٣.

(٥) الأزهر: واثنوني.

(٦) الأزهر: بالأول.

(٧) الأزهر: شغل.

(٨) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص ١٤٦.

وأما الخصلة السادسة: فليخفف الحساب^(١) وقلة الحبس^(٢)، [و]^(٣) لقربه من الله عز وجل^(٤) في الآخرة في الارتفاع بالدرجات^(٥)؛ لأنهم إنما يدخلون الجنة بعد الرحمة بالتقوى، ويعلمون في درجاتها بالقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، ألا تراه يقول تبارك وتعالى: **{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا}**^(٦).

وقال: **{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ}**^(٧)، الآية. وقال: **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}*** أولئك المقربون^(٨).

وقال: **{وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}**^(٩).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتاني جبريل فعرض علي خزائن الأرض، فقال: يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض فخذها ولا

(١) الحساب: هو صفة من صفات الله استأثر بها فلا يشركه فيها شيء. إن سوء الحساب أن لا يُقبل منهم حسنة.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٩٩. المحكم المحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج ١، ص ٧٤. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية الكليات. أيوب بن موسى الحسيني: ج ١، ص ٥٣.

(٢) والحبس والمحبس: موضعان للمحبوس، فالمحبس يكون سجنًا، الحبس يعني زاهد.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٣، ص ١٥٠.

(٣) الأزهر: و.

(٤) الأزهر: تعالى.

(٥) الأزهر: في الدرجات.

(٦) المائدة: ٤٨، الآية.

(٧) فاطر: ٣٢، الآية.

(٨) الواقعة: ١٠، ١١، الآية.

(٩) البقرة: ١٨٥، الآية.

ينقص^(١) مما لك عند الله شيئاً، فقلت: اجمعوها لي جميعاً في الآخرة^(٢). فنزلت: **{تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا}**^(٣). وقال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال^(٤): «يا بلال، ما لي لا أرى موضعاً من الجنة إلا سمعتُ حسك فيها^(٥)». قال^(٦): يا رسول الله، إني ما أحدثتُ إلا توضأت، ولا توضأتُ إلا صليتُ ركعتين^(٧).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَلْحَظُونَ إِلَى الْكَوْكِبِ الدَّرِيِّ فِي أَفَاقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنَعَمًا^(٨)»، وقال [النبي]^(٩) عليه السلام وذكر المتحايين في الله تعالى فقال: «هم قومٌ ليسوا بَأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْطِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجْلِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ

(١) الأزهري: تنقص.

(٢) انظر: فتح الباري للبخاري شرح صحيح البخاري. زين الدين عبد الرحمن: ج ٤، ص ٧٤٤. مسند الإمام أحمد: ج ٣، ص ٤٨٩. جامع الأحاديث القدسية. عصام الدين الصبابطي: ج ٦، ص ٢٧٠.

(٣) الفرقان: ١٠، الآية.

(٤) هو بلال بن رباح (رض)، أبا عبد الكريم وهو مؤذن رسول الله (ص) وخازنًا، روى أبو الدرداء: فنزل داريًا في خولان، فقال لهم بلال (رض): قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا فقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله، فزوجوهما، دفن في حلب سنة ١٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٣٤٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين الجزري: ص ١٣٠.

(٥) الأزهري: فيه.

(٦) الأزهري: فقال.

(٧) انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل: ج ١، ص ٣٨٦. مسند الإمام أحمد: ج ٥، ص ٣٥٤.

(٨) انظر: المصنف لأبي شيبة: ج ١٠، ص ٤٤٧. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٤، ص ٦٠٧. سنن أبي داود: ج ٤، ص ٣٤.

(٩) الأزهري: النبي.

وَجَلَّ، فَجَثَا^(١) رَجُلٌ مِّنْ أَقَاصِيهِ^(٢) الْقَوْمِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ مِّنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ^(٣) الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٤)؟

فَسَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُؤَالِ الرَّجُلِ إِيَّاهُ، فَقَالَ: «نَعَمْ هُمْ قَوْمٌ؛ نَاسٌ مِّنْ أَفْنَاءِ^(٥) الْقَبَائِلِ^(٦) وَنَوَازِعِ^(٧) الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُّتَقَارِبَةٌ، يَتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ وَيَتَجَالَسُونَ فِي اللَّهِ وَيَتَزَاوَرُونَ فِي اللَّهِ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا، فَوْضَعِ^(٨) لَهُمْ مَنَابِرَ [مِنْ نُورٍ]^(٩) فَأَجْلَسُوا عَلَيْهَا، يَحْزَنُ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ

(١) الأزهري: فجثا.

فجثا: برك. جلس على رُكْبَتَيْهِ، وأيضاً جثَّ جَثًّا، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا} مريم: ٧٢. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٢، ص ١٢٧.

(٢) أقاصية: أي أقاصي: أقاصي المعمورة: من آخر الدنيا المكان البعيد. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٦.

(٣) يغبطهم: أي أغبط: هُوَ إِذَا اشْتَهَيْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ نِعْمَةٌ أَوْ رِزْقٌ مِثْلُ شَخْصٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ، انظر: الفروق اللغوية. العسكري: ج ١، ص ١٢٨. لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٥٧.

(٤) الأزهري: تعالى.

(٥) أفناء القبائل: أي الأمصار ونواحيها، رجل من «أفناء» الناس، أي لم يعلم مَنْ هُوَ، وَلَا يُقَالُ فِي الْوَادِعِ رَجُلٌ مِّنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، وَهُمْ قَوْمٌ نَزَّاعٌ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا.

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. جمال الدين الكجراتي: ج ٤، ص ١٧٩. (٦) الأزهري: الناس.

(٧) ونوازع: ينزع إلى أوطانه، غرائب نزعن عن قوم آخرين، ونساء نزاع: تَزَوَّجْنَ فِي غَيْرِ عَشَائِرِهِنَّ. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٣٥٠.

(٨) الأزهري: ووضع.

(٩) الأزهري: من نور.

وَالشُّهَدَاءُ عَلَىٰ مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) « (٢) فلهذه الستُ خصال يطولُ عملُ العَمَلِ.

وقد يعملُ العبدُ بخصلةٍ منها وبخصلتين وأكثرُ، وقد يجمعُها العاقلُ المريدُ (٣) [لله] (٤) فيعملُ بها، وذلك العاملُ بالله عَزَّ وَجَلَّ المشغولُ به وهي ستُ خصال تكميلاً للفرائض وتكفيراً للسيئات وتجريداً (٥) للقلوب وحياةً لها وعمارةً لها وشكراً للنعمة وربحاً للعُمُر، جزعاً أن يَحْسرَ منه ساعةٌ في غير طاعة، وكراهةً وجزعاً أن يدخلَ بين المريد وبين رَبِّهِ غَفْلَةٌ، ولَدَوامِ الاشتغال به والإقبالِ عليه وخلفةِ الحسابِ وطولِ الحبسِ في الموقفِ للقربةِ (٦) مِنْ اللَّهِ تعالى والارتفاعِ في الدرجاتِ.

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص ٤٧٧. مسند الإمام أحمد: ج ٥، ص ٣٤٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي: ج ١٠، ص ٢٧٧.

(٣) المريد أصولها تمرّد: عصي خرج عن الطاعة، من ظهر شره، هو من الجن والإنس. انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلّمة بن مُسلم العَوْنِي الصُّحَارِي: ج ٤، ص ٣٤٥.

(٤) الأزهر: لله.

(٥) تجريداً أي التجريد: مصدر جَرَدَ الجِلْدَ خلقَ شعره أو صوفه.

انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أيوب بن موسى الحسيني: ج ١، ص ٢٧٤.

(٦) الأزهر: وللقربة.

مسألة (١)

قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ حَقَّقًا فِي الْقَلْبِ دُونَ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ فَجَمَلْتُهَا ثَلَاثَةً:

أولها: اعتقاد^(١) الإيمان ومُجانبة^(٢) الكُفْرِ.

والثاني: اعتقادُ السُّنَّةِ ومُجانبةُ البدعة.

والثالث: اعتقادُ الطاعة^(٤) ومُجانبةُ الإصرارِ على ما كَرِهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ثمَّ تفرَّقَ هذه الخصال الثلاث لفروع^(٥) لا تُحصى من أَعْمَالِ الْقَلْبِ خاصةً، ومن هموم القلب بعمل^(٦) الجوارح، فَمِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ خاصةً التي تكونُ عن هذه الجملة:

(١) الأزهر: من أَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

(٢) اعتقاد: اسم اطمئنان القلوب على شيء، اعتقادٌ وَتَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ. فَذَلِكَ الْإِيمَانُ الَّذِي يُقَالُ لِلْمُؤْصِفِ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٣٣. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أيوب الحسيني: ج ١، ص ٧٤.

(٣) مجانية: أي الجنب: وَجَنَّبَ الشَّيْءَ وَاجْتَنَّبَهُ: بَعُدَ عَنْهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاجْتَنِبِي وَبَيْتِي أَنْ تُعْبِدَ الْأَصْنَامَ}، إبراهيم: ٣٥

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٧٨. القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز آبادي ج ١، ص ٦٩.

(٤) الطاعة: من الطوع وهو نَقِيضُ الْكَرْهِ، إِذَا انْقَادَ لَهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٤٠. تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ١٧٧.

(٥) الأزهر: إلى فروع.

(٦) الأزهر: بأعمال.

اعتقادُ التواضع ونفي الكبر، واعتراف^(١) في الظاهر أنها مِنَّةٌ من الله تعالى وتفضلٌ ونفيٌ للعجب، واعتقاد لنصح العباد^(٢) وحبِّ أخيرهم.

واعتقاد الكراهية لنزولِ البلاءِ بالمسلمين نصحاً لهم واتقاء الشَّاةِ^(٣).

واعتقاد الخوف ونفي الأمن.

واعتقاد الحذرِ والشفقةِ والوجلِ مع^(٤) العملِ الصالح ونفي الغرَّةِ بالله.

واعتقاد السلامة للعبادِ ونفي الحقدِ وتمني البلاء.

واعتقاد الصبرِ ونفي الجزع.

واعتقاد الرضى ونفي السخط.

واعتقاد اليأسِ ممَّا في أيدي العبادِ^(٥) يقيناً بالمقدور ونفي الطمع.

واعتقاد الثقة بالله والتوكل عليه يقيناً؛ لأنَّه المالك لا مالكَ غيره، ولا مُقدم لما آخر ولا مؤخر لما قدَّم، ولا زائد^(٦) لما قلَّ ولا مُقلِّل لما كَثُر، وأنَّه أنظر للعبدِ من نفسه وأعلم بما يصلحُه^(٧).

واعتقاد الزُّهد^(٨) ونفي الرغبة.

(١) الأزهر: اعتقاد.

(٢) الأزهر: النصح للعباد.

(٣) للشماتة: من (شمت): الشماتة: فرح العدو ببليَّة تنزل بمن يُعاديهِ، قوله تعالى: ﴿فَلَا تَشْمِتْ بِيِ الْأَعْدَاءِ﴾، الأعزاف: ١٥٠.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٣، ص ٢١٠.

(٤) الأزهر: من.

(٥) الأزهر: الناس.

(٦) الأزهر: زائد.

(٧) الأزهر: بمصالحه.

(٨) (الزُّهد) ضدُّ الرِّغبة في الشيء، والتَّزَهُدُ: التَّعَبُّدُ، وفي الحديث: «أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُزْهِدٌ». انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٦، ص ٨٧.

واعتقاد اليقين ونفي الخوف والرجاء^(١) من المخلوقين.

[واعتقاد الإخلاص]^(٢)، ونفي الرياء وكظم^(٣) الغيظ^(٤)، ونفي الغضب أن يستعمله^(٥) فيها كره الله تعالى بقلبه دون جوارحه، [وقال]^(٦): مَنْ اغْتَاطَ فَلَمْ يَسْتَعْمَلْ غِيظَهُ لَسَتْ خِلَالٌ:

لَمْ يَكْفَيْ بِمَعْصِيَةٍ؛ بِشْتَم^(٧) وَلَا ضَرْبٍ وَلَا تَصَادُم^(٨) فوق ثلاث. وَلَمْ يَتَمَنَّ بِقَلْبِهِ لِمَنْ اغْتَاطَ عَلَيْهِ بَلَاءٌ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، إِلَّا أَنْ يَتَمَنَّى لَهُ رَجَا أَنْ يَتَّعِظَ^(٩) وتكون له كفارة، وترك المني بذلك أفضل، [بل]^(١٠) يتمنى له التوفيق بلا بلاء أولى بأن يتمنى له البلاء، ولم يَغْضِهْ بِغَضًا لَا يَسْتَحِقُّهُ فِي الدِّينِ يَسْتَقْبَلُهُ^(١١) بذلك، [بل]^(١٢) ويُعْرَضُ عنه إذا رآه بِغَضًا لما

(١) الأزهر: الرجال.

(٢) الأزهر: اعتقاد الإخلاص.

(٣) كظم: كظمتُ الغيظ إذا أمسكت على ما في نفسك، قال الله عز وجل: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ}، آل عمران: ١٣٤.

انظر: أساس البلاغة: محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ج ٢، ص ١٣٨.

(٤) الغيظ: فعلٌ في مُهْلَةٍ مِنْهُمَا جَمِيعًا، يباريه ويغالبه، وتأتي كغيره.

انظر: أساس البلاغة: محمود بن عمرو الزمخشري جار الله: ج ١، ص ٧١٨. تهذيب اللغة: محمد الهروي: ج ٨، ص ١٥٧.

(٥) الأزهر: استعمله.

(٦) الأزهر: قال.

(٧) الشتم: وهو السب، والاسم الشنيعة، والتشتائم: التساب، والشتم هو وصف الرجل بما فيه إزاء سيما فيما يتعلق بالنسب.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مسلم العوتبي: ج ٣، ص ٣٢١.

(٨) الأزهر: تصارم.

(٩) الأزهر: يتغيط.

(١٠) الأزهر: بل.

(١١) الأزهر: فيستقبله.

(١٢) الأزهر: بل.

فَعَلَ^(١) مَا^(٢) لَا يَبْغِضُ بِهِ الْفَاسِقِينَ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَعْمَلْ هَذِهِ السِّتَّ خَصَالِ فَقَدْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلِ غَيْظَهُ إِذَا^(٣) كَانَ غَيْظُهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَغْتَمَّ^(٤) بِهِ لَمَّا رَأَى بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ وَيَحِبُّ زَوَالَهَا، وَلَمْ يَفْرَحْ بِمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ مُصِيبَةٍ. وَقَالَ: خُلَّةٌ^(٥) [وَاحِدَةٌ]^(٦) مِنَ الْخِلَالِ^(٧) لَا نَقُصُّ مَعَهَا مِنَ الْعَارِفِ فِي كُلِّ حَالٍ وَهِيَ: التِّيَقُظُ.

وَحُلَّةٌ لَا زِيَادَةَ مَعَهَا مِنْ عَارِفٍ^(٨) وَلَا جَاهِلٍ وَهِيَ: الْغَفْلَةُ وَالنِّسْيَانُ.

وَقَالَ: آفَةٌ^(٩) الْمَرِيدِ الَّتِي أَغْفَلَتْهُ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِتَحْرِي^(١٠) رِضَاهِ عِنْدَ خَاطِبَةِ الْخَلْقِ وَمُعَامَلَتِهِمْ؛ ذَكَرَهُ بِقَلْبِهِ طَلَبَ رِضَاهُمْ وَبِجَانِبِهِ سَخَطَهُمْ^(١١) فِي مَجَاوِرَتِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ، فَإِذَا بَدَأَ بِذِكْرِ رِضَاهُمْ وَبِجَانِبِهِ سَخَطَهُمْ [أَشْغَلَهُ]^(١٢)

(١) الأزهر: عمل.

(٢) الأزهر: بما.

(٣) الأزهر: وإذا.

(٤) الغنم: هو الفوز بالشيء من غير مشقة، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾، الانفال: ٤.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٨، ص ١٤١. لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٩٠.

(٥) الأزهر: خصلة.

(٦) الأزهر: واحدة.

(٧) الأزهر: الخصال.

(٨) الأزهر: لعارف.

(٩) آفة: هي الأكرضه، دودة بيضاء شبيهة النملة تظهر في أيام الربيع.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج ٨، ص ٢٢١.

(١٠) الأزهر: عن تحري.

(١١) السخط: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. راغب الأصفهاني: ص ٤٠٢.

(١٢) الأزهر: أشغله.

ذَلِكَ عَنْ ذِكْرٍ ^(١) رَضِيَ ^(٢) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمِجَانِيَّةٍ سَخَطَهُ؛ فَصَارَ ذِكْرُ رِضَاهُمْ شِعَارًا أَلَزَمَ ^(٣) قَلْبَهُ يَحْرُكُ ^(٤) [بِهِ] ^(٥) جَوَارِحُهُ، وَلَهُ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَصَارَ رَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَمَنَّى تَمَنِيًّا وَحَالَ قَدْ زَالَ عَنْهَا يَتَوَجَّعُ لَهَا، ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاوِدَةِ أَنْ يَبْدَأَ ^(٦) بِذِكْرِ رِضَاهُمْ قَبْلَ رَضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِذَا كَانَ قَدْ اسْتَحْكَمَ هَذَا الدَّاءُ فِيهِ وَاعْتَادَتْهُ نَفْسُهُ بِطُولِ الْمَوَاطَبَةِ عَلَيْهِ فَصَارَ ذِكْرُ رَضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَطَرَاتُ ^(٧)، فَإِنْ أَرَادَ بَعْضُهُمْ [أَنْ] ^(٨) تَعْظُمَ ^(٩) نَفْسُهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَقَلُّ عَنْ عَادَتِهِ فَلَا يَدَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى خِلَتَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: يَبْدَأُ ^(١٠) بِهَا فَيَجْعَلُهَا أَصْلًا فِي قَلْبِهِ، وَهِيَ الْإِهْتِمَامُ وَالْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَجَاوِرُهُ مَجَاوِرٌ ^(١١) وَلَا يَعَامَلُهُ مُعَامِلٌ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَلَا آخِرَةٍ ^(١٢) إِلَّا بَدَأَ بِذِكْرِ رَضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ بِقَلْبِهِ قَبْلَ ذِكْرِ مَجَاوِرِهِ ^(١٣) وَمُعَامَلَةٍ، فَإِذَا أَلَزَمَ هَذَا الْأَصْلَ قَلْبَهُ

(١) الأزهري: ذكره.

(٢) الأزهري: رضي.

(٣) الأزهري: لزم.

(٤) الأزهري: تتحرك.

(٥) الأزهري: به.

(٦) الأزهري: فيبدأ.

(٧) الخاطِرُ: مَا يَخْطُرُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَدْبِيرٍ أَوْ أَمْرٍ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ١٠٤.

(٨) الأزهري: أن.

(٩) الأزهري: تقطم.

تعظم: من العظْمَةِ، وعُظْمَاءُ الْقَوْمِ: سَادَتُهُمْ وَذَوُو شَرَفِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى فِي النِّسَاءِ: {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} يُوسُفُ: ٢٨، الْآيَةِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٧٣.

(١٠) الأزهري: يبتدى.

(١١) الأزهري: يجاوره مجاور.

(١٢) الأزهري: آخرته.

(١٣) الأزهري: يجاوره.

قَرَنَ^(١) إِلَيْهِ الْحَزْرُ مِنْ أَنْ يَفْجُوهُ^(٢) مُعَامَلَةً وَهُوَ عَلَى غَفْلَةٍ؛ فَيَسْبِقُ ذِكْرُ رِضَاهُمْ عَلَى [ذِكْرِ]^(٣) رِضَى^(٤) رَبِّهِ^(٥).

والخلة الثانية: إِذَا لَقِيَهُمْ فَعَامَلَهُمْ أَوْ حَاوَرَهُمْ^(٦) تَقِظْ؛ فَذَكَرَ رِضَى^(٧) اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ رِضَاهُمْ، فَإِنْ خَشِيتُ النَّفْسَ وَنَازَعْتُ إِلَى عَادَتِهَا ذَكَرْتُهَا عَظِيمَ قَدْرِ خَالِقِهِ^(٨) وَأَطْلَاعِهِ عَلَى ضَمِيرِهِ وَجَوَارِحِهِ وَصَغَرَ قَدْرَهُمْ؛ لِيَعْظُمَ بِذَلِكَ قَدْرُ رِضَى [اللَّهِ]^(٩) خَالِقِهِ فِي قَلْبِهِ وَيَصْغُرُ [قَدْرُ]^(١٠) رِضَاهُمْ.

فَإِنْ غَفَلَ وَنَسِيَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ لَمَّا يَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْغَالِ فَرَعَ فَرَعَ الْمَطْلُوبُ الْهَارِبَ مِنَ الْهَلَكَةِ وَاسْتَغْفَرَ [وَاسْتَعَانَ بِ]^(١١) اللَّهِ، وَعَاوَدَ ذِكْرَ [رِضَى]^(١٢) اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِنْ هُوَ دَامَ عَلَى ذَلِكَ تَقَلَّبَتْ أَحْوَالُهُ وَأَبْصَرَ مَا مَضَى مِنْ طَوْلِ غَفْلَتِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخَلْقِهِ؛ فَصَارَ ذِكْرُ رِضَى اللَّهِ شَعَارًا قَدْ لَزِمَ قَلْبَهُ يَهْبِجُ مِنْ قَلْبِهِ الذِّكْرُ

(١) قَرَنَ: يَسْتَعْمَلُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ اثْنَيْنِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. راغب الأصفهاني: ص ٦٦٧.

(٢) الْأَزْهَرُ: يَفْجَأُهُ.

يَفْجُوهُ: مِنْ أَفْجَى: أَيِ مُتَبَاعِدٍ بِمَسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٦.

(٣) الْأَزْهَرُ: ذَكَرَ.

(٤) الْأَزْهَرُ: رِضَا.

(٥) الْأَزْهَرُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(٦) الْأَزْهَرُ: جَاوَرَهُمْ.

(٧) الْأَزْهَرُ: رِضَا.

(٨) الْأَزْهَرُ: خَالِقَهُمْ.

(٩) الْأَزْهَرُ: اللَّهُ.

(١٠) الْأَزْهَرُ: قَدْرُ.

(١١) الْأَزْهَرُ: اسْتَعَانَ بِهِ.

(١٢) الْأَزْهَرُ: رِضَى.

حين يُعَايِنُهُمْ^(١) ويحسنُ بهم^(٢) قبل معاملتهم ومحاورتهم^(٣).

فإذا عاملهم أو حاورهم^(٤) لم تزل المناجاة بقلبه لرَبِّه؛ فقلبه مشغولٌ بمناجاة رَبِّه، وأحواله وجوارحه مشغولة بما يرضي رَبِّه في خَلْقِه؛ فَقَدْ اجتمعتُ لَهُ خصالٌ ثلاثة^(٥):

إحداها: فرحٌ لآمالِ الرضى [الذي]^(٦) يهيجُ من قلبه رجاء^(٧) [لرضا]^(٨) أن ينظر إليه رَبُّه بين العاملين وليس بنايبي^(٩).

الخصلة الثانية: سلامته من الآثام^(١٠)؛ اشتغل^(١١) قلبه بمناجاة رَبِّه عزَّ وجلَّ.

الخصلة الثالثة: سلامته من الآثام التي كانت منه طولَ دهره^(١٢) في

(١) الأزهر: يعاينهم.

يعاينهم من العَيْنِ حَاسَةً الرُّؤْيَا وَ(عَايَنَ) الشَّيْءَ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنِي}، طه: ٣٩. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٩٩.

(٢) الأزهر: إليهم.

(٣) الأزهر: مجاورتهم.

(٤) الأزهر: جاورهم.

(٥) الأزهر: ثلاث خصال.

(٦) الأزهر: الذي.

(٧) الأزهر: الرجاء.

(٨) الأزهر: لرضا.

(٩) الأزهر: بناس.

(١٠) الإثم، والآثام: اسم للأفعال المبطنة عن الثواب، وجمعه آثام، قال تعالى: {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، البقرة: ٢١٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣.

(١١) الأزهر: فاشتغل.

(١٢) دهره: من الدَّهْرِ: اسم مدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ويعبر به عن كل مدة كثيرة، وهو خلاف الزمن؛ فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة، قال تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}، الجاثية: ٢٤.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣١٩، ٣٢٠.

معاملتهم ومحاورتهم^(١) من غير ازدياد في دين ولا دنيا، فهذا المراقب لربه والخائف منه في سريره، والمؤثر لمحبته على محبة نفسه، والمنقطع إلى الله سبحانه عن خلقه فظاهره ظاهر أهل الدنيا، وباطنه باطن المحلّين^(٢) الهالكين^(٣) لربه؛ لأنّه في ظاهر أحواله كأحواله الأولى التي كانت بالغفلة من قلبه، فلمّا صرف قلبه إلى ربه اشتغل بذكر ربه عن ذكر رضى خلقه فطاب في الدنيا عيشه، وتطهر من آثامه، وأنزل الخلق بالمنزلة التي أنزلهم [فيها]^(٤) ربهم عبداً أذلاء لا يملكون له ضراً ولا نفعاً؛ فأثر رضى الله^(٥) على رضاهم وسخت^(٦) نفسه برضى الله عزّ وجل، وإن سخط جميع خلقه برضى^(٧) الله تعالى يسخط كل أحد ولا يسخط الله تعالى برضى أحد من خلقه، ومملك^(٨) أمره في جميع ذلك؛ ترك الاستعجال ولزوم التأني والتثبت ليراقب الرقيب عليه ولا يعجل فيسخط عليه، وسأل ابن المبارك فقال له رجل: إني أعزم على الاجتهاد فأجتهد ثم أفتّر^(٩)، ثم

(١) الأزهر: مجاورتهم.

(٢) الأزهر: المحلّين.

محلّين: ناقة صنفوف: تصف يديها. أي تضم يدها عند إعطائها ما عندها من الحليب. وقد تعطي ما عندها في الجمع بين محلّين أو ثلاثة في حلبة واحدة، وهي تضع خف رجلها موضع خف يدها في الحلب.

انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. محمد جبل: ج ٣، ص ١٢٣١. لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٣٣٨.

(٣) الهائين: من (الهيبة) المهابة وهي الإجلال والمخافة.

انظر: كتاب الألفاظ. ابن السكيت: ج ١، ص ١٢٨.

(٤) الأزهر: فيها.

(٥) الأزهر: ربه.

(٦) السخت: أي ارتياح شديد، وهي الأصل كلمة فارسية، مستخدمة عند العرب.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم العوثي الصّحاري: ج ١، ص ٢٥٢.

(٧) الأزهر: يرضى.

(٨) الأزهر: وملاك.

(٩) أفتّر: من الفتور: سكون بعد حدة، وضعف بعد قوة، قال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ}، المائدة: ١٩، الآية.

أَعُودَ فَأَجْتَهِدُ ثُمَّ أَفْتَرُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَبَارَكٍ: فَأَنْتَ عَلَى اجْتِهَادِكَ؛ لِأَنَّكَ تَنْتَوِي
الاجْتِهَادَ وَإِنْ فَتَرْتَ، أَرَأَيْتَ ^(١) شَارِبَ الْخَمْرِ يَشْرِبُهَا مَرَّةً ثُمَّ يَمْكُثُ عَشْرَ
سِنِينَ لَا يَشْرِبُهَا وَهُوَ يَنْوِي شُرْبَهَا، أَلَمْ ^(٢) يَكُنْ مَدْمَنًا عَلَيْهَا؟ فَكَيْفَ يَحْسِبُ
اللَّهُ ذَلِكَ فِي الشَّرِّ وَلَا يَحْسِبُهُ فِي الْخَيْرِ.

وَقَالَ ^(٣): أَسْرَعُ الْأَشْيَاءِ إِزَالَةُ لَغْلِظِ الْقَلْبِ وَانْكَسَارًا لَهُ ذِكْرُ أَطْلَاعِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ عَلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ، وَأَسْرَعُ الْأَشْيَاءِ اسْتِشَارَةُ لِلْخَوْفِ مِنْ قَلْبِ الْعَارِفِ مَعَ
ذِكْرِ سَالِفِ ^(٤) الذُّنُوبِ، وَمَعَ ذِكْرِ خَشْيَةِ حُلُولِ الْغَضَبِ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهَا، وَأَسْرَعُ
الْأَشْيَاءِ إِزَالَةُ لِلْإِسْتِغْثَالِ بِالدُّنْيَا عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ وَالْمُبَاشَرَةِ وَالْإِعْتِبَارِ بِهَا وَالنَّظَرِ بِهَا إِلَى
مَا غَابَ مِنَ الْآخِرَةِ.

وَأَسْرَعُ الْأَشْيَاءِ هَيْجَانًا لِتَعْظِيمِ اللَّهِ عَزَّ جَلَّ فِي الْقَلْبِ تَأَمُّلُ الْآيَاتِ وَالِدَلَائِلِ
فِي التَّدْبِيرِ ^(٥) الْمُحْكِمَةِ وَالصَّنْعَةِ الْمُتَقَنَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا [مِنْ] ^(٦)
دَلَائِلِ نَاطِقَةٍ ^(٧) وَشَوَاهِدٍ وَاضِحَةٍ، [و] ^(٨) أَنَّ الَّذِي صَيَّرَهَا عَظِيمٌ قُدْرُهُ نَافِذَةٌ
مَشِئَتُهُ عَزِيزٌ فِي سُلْطَانِهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٢.

(١) الأزهري: فأنت مثل.

أَرَأَيْتَ: مَنْ رَأَى: وَيَجْرِي فِي الْكَلَامِ مَجْرَى الاسْتِخْبَارِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى}
العلق: ٩، الآية.

انظر: العين: الفراهيدي: ج ٨، ص ٣٠٧.

(٢) الأزهري: لم.

(٣) المحاسبي رحمه الله.

(٤) السَّلَفُ: سَلَفَ الشَّيْءُ: إِذَا تَقَدَّمَ، وَمِنْهُ قِيلَ: حَدِيثٌ مَأْثُورٌ، أَيْ يَذْكُرُهُ خَلْفٌ عَنْ سَلَفٍ، قَالَ تَعَالَى:
{فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ}، البقرة: ٢٧٥، الآية. يَعْنِي يَتَجَاوَى عَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٢٠. النَّظْمُ الْمُسْتَعْدَبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ أَلْفَاظِ الْمَهْدَبِ.
محمد بن أحمد: ج ٢، ص ١٥٩.

(٥) الأزهري: التدابير.

(٦) الأزهري: من.

(٧) الأزهري: باطنة.

(٨) الأزهري: و.

وأشدُّ الأشياءِ إِماتَةً للشهواتِ لزومَ الأحزان للقلب، وأكسَرُ^(١) الأشياءِ عن القلبِ نشاطاً للدُّنيا الكَمْدُ^(٢) من بَعْدِ الحزن، وليعدَّ^(٣) الأشياءِ على سخا^(٤) النفسِ لتركِ الشهواتِ [و]^(٥) الشوقِ إلى جوارِ العزيزِ الكبيرِ.

وأشدُّ الأشياءِ إزالةً للمكاثراتِ في علوِّ الدرجاتِ في منازلِ العباداتِ لزومُ القلبِ حُبَّةِ الرَّحْمَنِ جَلٍّ وعزٍّ^(٦)، وأنعمُ الأشياءِ لقلوبِ العارفينِ وأدومُها لها سرُّورًا الشوقِ إلى قَرِيبِ الله جَلٍّ وعزٍّ^(٧) واستماعِ كلامِهِ والنظرِ إلى [رحمة]^(٨) وجهِهِ الكريمِ عزٍّ وجلِّ.

وأطهرُ الأشياءِ لقلوبِ المريدِينَ: التوبةُ النصوحِ للعرضِ على رَبِّ العالمين، وتلكِ طهارةُ المتقينِ وَمِنْ بعدها طهارةُ المحبين، وهي في قطعِ الاشتغالِ بشيءٍ من الدُّنيا عن محبوبِهِمْ، فإذا طَهَرَ القلبُ من كلِّ شيءٍ سوى اللَّهِ عزَّ وجلَّ خلا مِنْ ذِكْرِ كُلِّ قاطعٍ عن اللَّهِ، وزالَ عنه كلُّ حاجِبٍ يحجبُ^(٩) عنه؛ فتمَّ بِاللَّهِ تعالى سرُّورُهُ وصفاً ذكْرُهُ في قلبِهِ فاستنارَ له سبيلُ الاعتبارِ.

فكانتِ الدُّنيا وأهلُها عَيْنًا ينظرُ بها إلى سِتْرِ ما يحجبُ مِنَ المملوكِ، فحينئذٍ دَامَ بِاللَّهِ شَغْلُهُ وطارَ إِلَيْهِ حَنِينُهُ وَقُرَّتْ بِاللَّهِ عَيْنُهُ؛ فَالْحَزَنُ وَالْكَمْدُ^(١٠) قد كسرا

(١) الأزهر: وأكثر.

(٢) الكَمْدُ: الحزن المكتوم والكُمْدَةُ: تغيُّر اللون.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٥، ص ٣٣٤.

(٣) الأزهر: واعون.

(٤) الأزهر: مخالفة.

(٥) الأزهر: و.

(٦) الأزهر: عز وجل.

(٧) الأزهر: عز وجل.

(٨) الأزهر: رحمة.

(٩) الأزهر: يحجبه.

(١٠) الكَمْدُ والكُمْدَةُ: تغيُّر اللونِ وَذَهَابُ صَفَائِهِ وَبَقَاءُ أَثَرِهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٣، ص ٣٨٠.

قلبه والمحبة والشوق قد أسخا^(١) إلى الله عز وجل^(٢) فؤاده؛ فشوقه إلى طلب القرب وحزنه لفوت^(٣) المحبة خشية أن يحال بينه^(٤) وبينه^(٥).

وفي^(٦) رسالة الكلثوم بن عمرو^(٧): ((أما بعد، فإني كتبت^(٨) إليك والناس في فتنة^(٩) وتحير^(١٠) قد عمى على الذي توجه [فيه]^(١١) مذهبه فيما كان فيه من

(١) سخا يَسْخَى: من الجواد.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده: ج ٥، ص ٢٨٥.

(٢) الأزهر: قد أسخطا قلبه على الدنيا.

(٣) لفوت من فأت: أي أدير: نقيض الإقبال، قال تعالى: **الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**، الأنفال: ٥٠، الآية.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٢، ص ٦٥٤. مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٠٧.

(٤) والنوى: النية: عزم القلب على عمل من الأعمال فرض أو غيره.

انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ج ١، ص ٢٤. جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج ١، ص ٤٩.

(٥) بينه وبينه: من التبيين: أي المتصل به ليس بينه وبينه حاجز شيء، قوله تعالى: **تَبَيَّنَتِ الْجَنَّةُ**، سبأ: ٣٤، الآية.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ١، ص ٦٩١.

(٦) الأزهر: من.

(٧) هو الكلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي، صاحب المعلقة، نشأ في قنسرين فتعلم ما كان في خزائن الكتب يمر، عاد ذلك على شعره بثمرات يانعة، ومدح العتابي البرامكة فنال حظوتهم ووصلوه بالرشيد الخليفة العباسي فقرّبه إليه، حدثنا الجاحظ: كان كلثوم العتابي يضع من قدر أبي نراس، يصف شعره بالسرقه من أبي هذيل الجامحي، رثى العتابي سيدنا عثمان بقصيدة، منها: ضَحَا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا. توفي العتابي سنة ٢٠٨ هـ.

انظر: الأنساب. عبد الكريم بن محمد السمعاني: ج ٩، ص ٢١٦. مروج الذهب ومعادن الجواهر. المسعودي: ج ٣، ص ٢٩٤.

(٨) الأزهر: أكتب.

(٩) فتنة: من الفتن: هو معنى إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، وفي إدخال الإنسان النار، قال تعالى: **{تَوَفَّوْا فَنُنَبِّئُكُمُ} الذَّارِيَاتِ** ١٤، أي عذابكم، وجُعِلَتِ الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٣.

(١٠) الأزهر: وبحر.

(١١) الأزهر: فيه.

أدبه وعقله^(١) مع قلة المؤمنين^(٢) له على طريق الطاعة، قد كان يُقال إنَّ المغبونَ من غبن^(٣) دينه فلا تغبنَ دينك، واعلم أنَّ الاحتراس من النَّاس عقل حاضر؛ فاحترس من سلك طريق الجهل فإنك تنغم^(٤)، وإياك ومخالطتهم فإنك تندم، والعزلة شرف والرَّين^(٥) والاختلاط بالناس في زمانك هذا عار^(٦)، وشين يلزمك منهم وكلَّ تبعته^(٧)، ويلحق من مجالستهم كل ذلة؛ فإنَّ طريقهم طريق المغبونين، وهذا زمانُ سكوت ولزوم للبيوت؛ فاعقل ما أنت فيه من مذهبك وانظر لنفسك نظر العاقل اللبيب^(٨)، ولا تكن عنها غافلاً فتكون غير أديب، وحاسبها في كلِّ يوم تسلك بها طريق النجاة يوم تحتاج إلى التقرب^(٩) من دار الفائزين، وتخلص ما قدرت من الدخول في الرضى بما يأتيك من أخبار المفسدين، فإنَّ الرضى بذلك ليس من طريق أهل الدين، وإن كانت نفسك

(١) الأزهري: غفلة.

(٢) المؤمنين: من آمن شيئاً: أي علمته، قوله تعالى: {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا}، النور: ٢٧، الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٦، ص ١٥.

(٣) غبن: الغبن، بالشَّكِين، في البَيْع، والغبن، بالتَّحْرِيك، في الرأْي. أي نسيته وضيَّعته. نسيته وأغفله وجَّهَل.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٣، ص ٣٠٩.

(٤) الأزهري: نقيم عليه معهم.

(٥) الأزهري: زين.

والرَّين: الطَّبْع.

انظر: المنتخب من كلام العرب. علي بن حسن الأزدي: ج ١، ص ٣٩٨.

(٦) عار: كل شيء لزمته به سببية أو عيب.

انظر: الإبانة في اللغة العربية.: سلَّمة بن مُسلم العَوْتَبِي الصُّحَارِي ج ٣، ص ٥١١.

(٧) تبعته: فلك شيئاً بعد شيء. تقول: تتبعت علمه، والمتابعة أن تتبعه هواك وقلبك. قال الله تعالى: {فَاتَّبِعْ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ}، الاعراف: ١٧٥، الآية.

انظر: العين. للفراهيدي: ج ٢، ص ٧٨.

انظر: لسان العرب. الأصفهاني: ج ٨، ص ٤.

(٨) اللبيب: من لب، لزوم وتبأت، اللبيب: العاقل.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٥، ص ١٩٩.

(٩) الأزهري: القرب.

تَنَازَعَكَ إِلَى مُحَادِثِهِ الْإِخْوَانَ وَمُتَنَادِمَةِ الْخُلَّانِ فَاحْتَرَزُ^(١) مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ
وَدًّا^(٢) وَيَبْطِنُونَ شَرًّا، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ مَوَاحِيَتِهِ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى، وَلَا^(٣)
تَأْمَنُ شَرَّهُمْ أَبَدًا، وَهَبَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ السَّلَامَةَ وَغَفَرَ لَنَا وَلَكَ يَوْمَ الْعَرْضِ
وَالْحِسَابِ^(٤).

(١) فاحترز: من الجزر: أي توقاه منه، المؤضع الحصين.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ٣، ص ١٤٣٠.

(٢) ودًا: الواو والدال: كلمة تدل على محبة.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٦، ص ٧٥.

(٣) الأزهر: ولا.

(٤) جاء في كتاب التراث العربي (عرف المحاسبي كلثوم بن عمرو، روى عنه رسالة دعا فيها إلى الزهد).

انظر: كتاب التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٢، ص ٣٥.

مسألة في الصمت والكلام في الوعظ^(١)

وللبلاغة قلت: الصمت أفضل أم^(٢) الكلام؟

قال: الصمت أسلم والكلام أفضل عند الله تعالى إذا أريد به وجهه وقصد فيه مع الإصابة، يُكَلِّمُ كُلَّ قَوْمٍ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِمْ وَلِغَةِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَفْرُطُ أَيْضًا فِي الصَّمْتِ كَمَا لَا يَفْرُطُ [أَيْضًا]^(٣) فِي الْكَلَامِ، إِلَّا أَنَّهُ أَنْ^(٤) أَفْرَطَ فِي الصَّمْتِ ضَيَّعَ كَثِيرًا مِنْ حَقِّقِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَقُومَ بِهَا بَلْسَانُهُ يَغْتَرِي^(٥) مِنَ الْإِفْرَاطِ أَفَاتٌ^(٦) كَثِيرَةٌ.

قال: عبيد الله بن الحسن^(٧)، قلتُ لزيد بن علي^(٨): الصمت خير أم الكلام؟

(١) الأزهري: مسألة في الصمت والكلام في الوعظ والبلاغة.

(٢) أم: إذا قيل به ألف الاستفهام فمعناه: أي، قوله تعالى: {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَالُ}، ص: ٦٣، الآية. معناه: أي زاغت.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٨.

(٣) الأزهري: أيضًا.

(٤) الأزهري: إذا.

(٥) يغتري: عراه أمرٌ يغروه عرًا إذا غشيه وأصابه.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٢، ص ٢٣٣.

(٦) أَفَاتٌ: أَفَاتٌ فَلَاكًا عَلَى الْأَمْرِ إِفَاءَةً إِذَا أَرَادَ أَمْرًا، فَعَدَّلَتْهُ إِلَى أَمْرٍ غَيْرِهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ١٢٥.

(٧) عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري بن عمرو بن تميم، وَلِيَ قِضَاءَ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ مَحْمُودًا ثَقَّةً عَاقِلًا مِنَ الرِّجَالِ، سَمِعَ عَنْ: دَاوُودَ بْنِ أَبِي هَنْدٍ وَخَالِدِ الْحِذَاءِ وَسَعِيدِ الْجَرِيرِيِّ، رَوَى عَنْهُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، وَمَعَاذُ بْنُ مَعَاذٍ الْقَاضِي، وَخَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ الْهَجِيمِيُّ، قَدِمَ بَغْدَادَ أَيَّامَ الْمَهْدِيِّ، كَانَ فَقِيهًا، مَاتَ سَنَةَ ١٦٨ هـ.

انظر: الأنساب. السمعاني: ج ٤، ص ٢٤٦. تهذيب الأسماء واللغات. محيي الدين يحيى بن شرف النووي ج ١، ص ٣١١.

(٨) زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، روى عن: أبيه زين العابدين، وأخيه الباقر، وله

فَقَالَ: (أَخْزَى^(١)) الله الساكنة^(٢) فما أَفْسَدَهَا للسانٍ وَأَجْلَبُهَا للضَّجَرِ،^(٣)
والله لمرارة^(٤) في هذا العَيِّ^(٥) هي أسرع في هدمِ الغَيِّ^(٦) من النارِ في يابسِ
العَرْفَجِ^(٧)، وَمِنَ السَّيْلِ^(٨) إلى الجذورِ.

تقاسير في القرآن عاش نيفًا وأربعين سنة، وقتل يوم ثاني صفر سنة ١٢٢ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٩٠.

(١) أَخْزَى: خَزِيَ خِزْيًا: أَي عَلِمَ ذُلًّا وَهَانًا، وَأَخْزَاهُ اللَّهُ أَذْلَهُ وَأَهَانَهُ.
انظر: : تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ٣، ص ٥٤٤.
(٢) الأزهر: السكّنة.

الساكنة من السُّكُون: هُوَ يَقِينُ النَّفْسِ وَتَلَجُ الصُّدْرِ بِمَا عُلِمَ.
انظر: الفروق اللغوية. الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: ج ١، ص ٨١.
(٣) الضَّجَرُ: إِذَا بَدَتْ عَدَاوَتُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى كَثْمِهَا.

انظر: المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ١، ص ٢٤٦.
(٤) المَرَارَةُ: نَسَبُهَا إِلَى المَرَارَةِ لِمَا فِيهَا مِنْ مَرَارَةِ الْإِثْمِ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي: ج ١٥، ص ١٤١.

(٥) العَيِّ: عَجْزٌ يَلْحَقُ مِنْ تَوَلَّى الْأَمْرَ بِالْكَلامِ، وَهُوَ لَا دَوَاءَ لَهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمْ يَغِي بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ}،
الأحقاف: ٣٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٠٠.

(٦) الأزهر: العَيِّ.

العَيِّ: جَهْلٌ مِنْ اعْتِقَادٍ فَاسِدٍ، وَانْهَمَاكٌ فِي الْبَاطِلِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْعَيِّ}،
الأعراف: ٢٠٢، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٠.

(٧) العَرْفَجُ: نَبَاتٌ مِنْ ثَبَاتٍ وَهُوَ سَرِيعُ الْإِتْقَادِ إِذَا كَانَ يَابِسًا يُسَمَّى فِي الْعِرَاقِ (الْقَصَب).
انظر: العين. الفراهيدي: ج ٢، ص ٣٢٢.

(٨) السَّيْلُ: جَمْعُهُ: سَيُولٌ. وَمَسِيلُ الْمَاءِ، وَجَمْعُهُ أَمْسِلَةٌ: وَهِيَ مِيَاهُ الْأَمْطَارِ إِذَا سَالَتْ.
انظر: العين. الفراهيدي: ج ٧، ص ٢٩٩.

وقال في هذا الحديث بعضُ الحكماء^(١) في هذا الحدث قد عَرَفَ زيدٌ أنَّ المِراةَ مذمومةٌ إِلَّا أَنَّهَا أَقْلُ ضَرَرًا مِنَ السَّكُوتِ الَّذِي يورثُ الْبَلَادَةَ^(٢) وَيَحْتَلُّ الْعَقْلَ وَيورثُ عِلَلًا^(٣) وَيُولِّدُ أَدْوَاءً^(٤) أيسرها الْعِيَّ؛ فالإفراط منه [في الصمتِ]^(٥) يضرُّ^(٦)، إِلَّا أَنْ يَسْكُتَ عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ، وما^(٧) لَا يَعْرِفُ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ عَنْ بَعْضِ الْكَلَامِ بِالْخَيْرِ^(٨) إِذَا غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ فَتْنَتُهُ وَهَجَمَ التَّصَنُّعَ لَهُ، وَقُوَّةُ^(٩) نَوَازِعِ الْعَجَبِ بِهِ، فَإِذَا سَلِمَ الْكَلَامُ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ سَكَتَ عَنْهُ أَيْضًا إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ فِي مَوْضِعِهِ وَفِي أَوَانِهِ وَلَمَنْ يَنْتَفِعْ، وَإِلَّا فَالصَّمْتُ أَوْلَى بِهِ.

(١) الأزهري: بعض الحكماء في الحديث.

(٢) بَلَادَةٌ: هُوَ الْمَعْنُوهُ، الْمَنْقَطَعُ بِهِ، رَاجِعٌ إِلَى الْحَيَرَةِ. انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ٩، ص ٣٤٤.

(٣) عِلَلًا: مِنَ الْعِلَّةِ: خَبَثُ النَّفْسِ وَضَعْفُهَا.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ١، ص ١٢٤.

(٤) أَدْوَاءٌ: مِنَ الدَّاءِ: الْمَرَضُ، وَالْجَمْعُ أَدْوَاءٌ. اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَرَضٍ وَغَيْبٍ فِي الرِّجَالِ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ. انظر لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٧٩.

(٥) الأزهري: في الصمت.

(٦) الأزهري: يضر.

(٧) الأزهري: أو ما.

(٨) الأزهري: في الخير.

(٩) الأزهري: وقويت.

وقد نهى العلماء^(١) أَنْ ينطقَ كثيرٌ من العلماء^(٢) ببعض الحكمة^(٣)، إذا غلب عليه في النُّطقِ أسبابُ الفتنة، ولو سَلِمَ المُتكلِّمُ من الفتنة ومن جميع^(٤) الآفاتِ، ووجدَ لها مَوْضِعاً وأهلاً يأملُ المنفعةَ لهم بقوله لكان مع ذلك أولى به أَنْ يخافَ المُتَّ من الله عزَّ وجلَّ، إذ كُلُّ شيءٍ ليس يتحقَّقُ [من قائله]^(٥) لما يقول من فعله^(٦) وأخلاقه وآدابه [فهو ممقوت]^(٧)، كما خافَ عُمرُ رضي الله عنه على الأحنف بن قيس^(٨) والربيع بن زياد^(٩) أَنْ يكونا غيرَ مُحَقِّقَيْنِ لما يقولان. وقال عمرُ بن ذَرٍّ^(١٠): «المستعانُ الله على ألسنةٍ تصفُ وقلوبٍ تعرفُ

(١) العلماء الذين نهوا عن الحكمة: أبو موسى الأشعري ٤٤ هـ. الحسن البصري ١١٠ هـ. محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤ هـ. عبد الله بن مبارك ١٨١ هـ. عبد الله بن سعيد ٢٤٢ هـ.

انظر: بيان فضل علم السلف على علم الخلف. عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: ص ٤٩.

(٢) العلماء الذين نطقوا بالحكمة: يحيى النحوي ٢٧ هـ. يعقوب بن إسحاق الكندي ٢٥٦ هـ. حنين بن إسحاق ٢٦٠ هـ.

انظر: الروافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي: ج ٢، ص ٣٣٧. الملل والنحل. الشهرستاني: ج ٣، ص ٥٠١. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. أحمد بن أبي أصيبعة: ج ٦، ص ١٥١.

(٣) الحكمة المنهى عنها: هي (الفلسفة) باليونانية، والفيلسوف هو: فيلا سوفاً: تعني فيلا هو (المحب)، وسوف هي (الحكمة).

انظر: كشف الظنون. حاج جليبي: ج ٢، ص ٣٠. الملل والنحل. الشهرستاني: ج ٢، ص ٣٦٤.

(٤) الأزهر: كل.

(٥) الأزهر: من قائله.

(٦) الأزهر: بفعله.

(٧) الأزهر: فهو ممقوت.

(٨) الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين، الأمير الكبير، العالم النبيل، اسمه الضحاك، مات في الكوفة سنة ٦٧ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٨٧.

(٩) الربيع بن خثيم ابن عائذ، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، إنه عندما كان يدخل عليه الداخل وفي حجره المصحف فيغطيه، توفي الربيع بن خثيم قبل سنة ٦٥ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٥٨. ٢٦٠.

(١٠) عمر بن ذر: عبد الله بن زرارة، الإمام الزاهد العابد أبو ذر الهمداني الكوفي. وكان ثقة، توفي في سنة ١٥٣ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ٣٨٨.

وأعمالٍ تخالف^(١).

وقال: جعفر بن برقان^(٢) لميمون بن مهران^(٣)، أَنَّ^(٤) قول الله تعالى: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}^(٥)، هو للرجل يذكر من نفسه ما لم يعمل، أو يأمر بما لم يفعل، قال: (كلاهما ممقوت).

(١) الأزهري: عمر رض الله عنه.

انظر: البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ٢٨٤. الكشكول. محمد بهاء الدين العاملي: ص ٣٦٧.

(٢) جَعْفَرُ بْنُ بَرْقَانَ، الجزري، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعَ مِنْ: مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ،، ثِقَّةٌ، مَاتَ سَنَةَ ١٥٤ هـ. انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ٢٣٢. الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي: ج ٢، ص ١٨٧. الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: ج ٢، ص ٤٧٤.

(٣) ميمون بن مهران: الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري، إنه من ضمن العلماء الأربعة للناس في زمن هشام بن عبد الملك، مكحول، والحسن، والزهرى، وميمون بن مهران. توفي سنة ١١٧ هـ.

تنظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٧٢.

(٤) الأزهري: في.

(٥) الصف: ٣، الآية.

قال الشاعر: (١)

ابدأ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا
فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَنَّاكَ تُسَمِّعُ^(٢) إِنْ وَعَظْتَ
وَيُقْتَدَى^(٣) بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ.

وفي هذا أحاديث كثيرة تركناها، ومع ذلك إن أراد أن يعظ^(٤) فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقصار الخطب وبالإيجاز في الكلام، فقال: «إن الله بعثني بجوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً»^(٥).

(١) الشاعر: هو أبو أسود الدؤلي (ظالم بن عمرو بن سفيان)، كان مشهوراً بمصاحبته علي بن أبي طالب (رض)، وكان عالي المكانة وقاضياً في البصرة في الحديث والفقه. وُلد في أيام النبوة وحَدَّث عن عمر (رض)، وعلي (رض)، وأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، قرأ القرآن على عثمان (رض)، وعلي (رض). ومن أكملهم عقلاً ورأياً، أبو الأسود هو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف، وحرف الرفع والنصب والجر والجزم، ثقة، كان أول من تكلم في النحو، كان معدوداً في الفقهاء والشعراء، والمحدثين، والأشراف، والفرسان والأمراء، والدةاهة، عاش ٨٥ سنة، مات سنة ٦٩ هـ.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب. الجزري: ج ١، ص ٥١٤. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي: ج ٤، ص ٢٨٦. نزهة الألباء وطبقات الأدياء. عبد الرحمن بن محمد الأنصاري: ج ٣، ص ٢٠.

(٢) الأزهر: يسمع.

(٣) الأزهر: يقتدي.

(٤) يعظ من الوُعْظ: هو التذكير بالخير فيما يرقُّ له القلب، قال تعالى ﴿يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، النحل: ٩٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٧٦.

(٥) جاء في الحديث «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيَّنَّا أَنَّا نَأْتِمُّ أُتَيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي».

انظر: صحيح مسلم: ج ١، ص ٣٧٢. صحيح البخاري: ج ٣، ص ١٠٨٧. مسند الإمام أحمد: ج ٢، ص ٤٥٥.

وذمَّ بعضَ البيان^(١)، وقال: «هو من النفاق»^(٢)، ومدحَ بعضَ العيِّ، فقال: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا»^(٣)، ولم يقل البيان كله.

وقال: النابغة^(٤) قال: (وجاءتُ بنو تميم^(٥) ليعارضوه بالبلاغةِ بخطيبهم وشاعرهم فخطب خطيبهم وأنشدَ شاعرهم)^(٦)، فقال^(٧): لثابت بن قيس^(٨): فقامَ فخطب، ثم قال: لحسان بن ثابت^(٩) فقامَ فَأَنشَدَ شِعْرَهُ فعلاهم النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) البيان: هو الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق، يكون: الأول بالتسخير، والثانية بالاختيار. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٥٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج ٤، ص ٨٠٦.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٦٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٣، ص ٢٤٨. الجامع الصحيح لسنن الترمذي. الترمذي: ج ٤، ص ٣٣٠.

(٤) قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة من بني عامر بن صعصعة يُكنى (النابغة الجعدي)، شاعر زمانه، وقد حدث عنه: يعلى بن الأشدق، عاش مائة وثمانين سنة، شاهد الرسول الكريم (ص)، وأنشد له.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ١٧٨.

(٥) بنو تميم: هي من أكبر القبائل العربية وينقسمون إلى عدة عشائر منها: بني عمرو، بني الحارث، بني مر، بني العنبر.

انظر: جمهرة النسب. لابن الكلبي: ص ٢٥٢. جمل من أنساب الأشراف. البلاذري: ج ١٣، ص ٧.

(٦) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٣، ص ٦٨٥. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٥، ص ٦٨٩. مسند أحمد: ج ٤، ص ٤٣٢.

(٧) رسول الله (ص).

(٨) ثابت بن قيس، ابن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ وكان جهير الصوت، ولما قدم وفد بني تميم، وافترخ خطيبهم بأمور، فقال النبي (ص) لثابت بن قيس: قم فأجب خطيبهم. فقام، فحمد الله وأبلغ، وسر رسول الله (ص)، والمسلمون بمقامه، توفي سنة ١٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٣١٢.

(٩) حسان بن ثابت بن المنذر النجار شاعر رسول الله (ص) وصاحبه، توفي سنة ٥٤هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ص ٥١٣.

وقالت بنو تميم: وأبيك إن خطيبه أخطب من خطيبنا، وإن شاعره أشعر من شاعرنا، فدم بعض البيان وقال^(١): «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِزُ الْبَلِيغَ مِنَ الرَّجَالِ»^(٢)، ثم لم يدعه مقطوعاً فيكون كل بليغ يبغض الله، فقال: «[وهو]^(٣) الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ بِلِسَانِهَا»^(٤)، وقال النبي: «يَأْكُلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرَةُ بِلِسَانِهَا»^(٥)، فأمر^(٦) بالإيجاز مع البيان للحق ونهى عن الإكثار.

(١) الأزهري: جاء.

(٢) انظر: الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٥: ص ١٣٠. سنن أبي داود: ج ٤، ص ٣٠٢. المصنف. لأبي شيبة: ج ٦، ص ٢١٢.

(٣) الأزهري: وهو.

(٤) انظر: البحر الزخار: ج ٤، ص ٤٨. مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ١٨٤.

(٥) جاء في الحديث «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِالسِّنِّينِ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ بِالسِّنْتِهَا».

انظر: المعجم البسيط. الطبراني: ج ٦، ص ٤٣. تحفة الاحوذى. المباركفوري: ج ٨، ص ١٢٢.

(٦) الأزهري: امرنا.

قَالَ: «حدثنا سنيد بن داوود^(١) قال: أبو سفيان^(٢) عن معمر^(٣) عن قتادة^(٤) قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فناده من وراء الحُجْرَاتِ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ مَدْحِي زَيْنٌ وَإِنَّ دَمِي شَيْنٌ، فَقَالَ: وَيْلَكَ ذَلِكَ اللهُ وَيْلَكَ ذَلِكَ اللهُ»^(٥)، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} ^(٦).

(١) سنيد بن داوود، الإمام الحافظ، محدث الثغر أبو علي حسين بن داود، صاحب التفسير الكبير، حدث عن: جعفر بن سليمان الضبيعي، وأبي بكر بن عياش، وعبد الله بن المبارك، حدث عنه: أبو بكر الأثرم، مات في سنة ٢٢٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٦٢٨.

(٢) سفيان سعيد بن مسروق بن حبيب، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب الجامع، حدث عنه: ابن جريج، وجعفر الصادق، وجعفر بن برقان وأبو حنيفة، أعلم رجل بالحلال والحرام سفيان الثوري، قد كان رأساً في الزهد، قال سفيان: زينا العلم والحديث بأنفسكم ولا تنزينا به، وددتُ أني قرأت القرآن ووقفت عنده لم أتجاوزهُ إلى غيرها، أوصى إلى عمار بن سيف في كتبه فأحرقها.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٢٦٣.

(٣) معمر بن راشد، الإمام الحافظ، أبو عمرو الأزدي، نزيل اليمن، شهد جنازة الحسن البصري وطلب العلم وهو حدث، روى عن: معمر، وشعبة والثوري، حدث عنه: أيوب، وأبو إسحاق، وعمرو بن دينار، ثقة، رجل صالح بصري، سكن صنعاء، وتزوج بها، ورحل إليه سفيان الثوري، مات سنة ٥٤هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٦.

(٤) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، حافظ العصر، قوة المفسرين والمحدثين، البصري الضرير الأكمه، وروى عن: عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، روى عنه: أئمة الإسلام أيوب السخيتاني، وابن أبي عروبة، ومعمر بن راشد، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فقيه زمانه، مات سنة ١٢٨هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٢٧٠.

(٥) جاء في الحديث « يَا مُحَمَّدُ إِنَّ مَدْحِي زَيْنٌ، وَإِنَّ شَتْمِي شَيْنٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ (ص)، فَقَالَ: وَيْلَكَ ذَلِكَ اللَّهُ».

انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٤، ص ٩. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٥، ص ٣٦٢. صحيح البخاري. محمد إسماعيل: ج ٤، ص ١٨٣٤.

(٦) الحجرات: ٤، الآية.

حدثنا سنيد قال: يا حجاج^(١) عن أبي بكر بن عبد الله^(٢) أن وفد تميم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فيهم القعقاع بن سعيد بن زرارة^(٣)، وخالد بن ربيعي النهشلي^(٤)، وليد بن عطار^(٥)، والأقرع بن حابس،

(١) حجاج بن محمد، الإمام الحجة الحافظ، أبو محمد المصيصي، الأعر، ترمذي الأصل. سكن بغداد، ثم تحول إلى المصيصة، سمع من: ابن جريج فأكثر، وأنقن، ومن يونس بن أبي إسحاق، حدث عنه: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق، وأبو خيثمة، ذكره أحمد بن حنبل فقال: ما كان أضبطه، وأصح حديثه، كان ثقة، فمات ببغداد في سنة ٢٠٦ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٤٤٨. الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل: ج ١١، ص ٢٣٤.

(٢) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أمير المدينة ثم قاضي المدينة، أحد الأئمة الأثبات، كان أعلم أهل زمانه بالقضاء، روى عن: أبيه، وعن عباد بن تميم، وعن سلمان الأغر، حدث عنه: ابنه عبد الله ومحمد والأوزاعي، وأفلح بن حميد والمسعودي، لم يكن على المدينة أمير أنصاري سواه، وقيل: كان كثير العبادة والتجهد، توفي سنة ١٢٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣١٤. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي: ج ٧، ص ٢٣. الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع: ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) القعقاع بن معبد بن زرارة التميمي، من سادات العرب يقال له (تيار الفرات لسخائه)، وأدرك الإسلام مع وفد بني تميم إلى رسول الله (ص)، ويوم كان حنين بعثه النبي (ص) أن يأتيه بالخبر. انظر: أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاء ج ٢، ص ٨٦٣. الأعلام. للزركلي: ج ٥، ص ٢٠٢.

(٤) خالد بن ربيعي النهشلي، التميمي، ويقال: خالد بن مالك بن الربيعي، التميمي أحد وفود بني تميم إلى رسول الله (ص)، كان خالد مقد في رهطه، وكان متنافر هو والقعقاع بن معبد، فقال لهما رسول الله (ص) «عرفتكما».

انظر: الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل: ج ٣، ص ١٥٩. الإصابة في تمييز الصحابة. العسقلاني: ج ٢، ص ٨٩.

(٥) لبيد بن عطار بن صاحب التميمي، كان أحد الوفود القادمين من بني تميم إلى رسول الله، هو الحاجب الذي ضرب به المثل، عندما رهن قوسه لدى كسرى ملك الفرس بألف جمل، وعاد بالجمال وأرجع قوسه المرهونة.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. العسقلاني: ج ٦، ص ٦. الأنساب. محمد بن طاهر: ج ٤، ص ١٢. تاريخ دمشق. محمد بن مكرم بن علي: ج ٥٠، ص ٢٩٠.

ومعاوية بن صعصعة^(١)، وقيس بن عاصم^(٢)، والزبرقان بن بدر^(٣) أخو بني هذلة، وعمرو بن الأهتم^(٤)، فلما دفعوا إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان له تسع حجرات^(٥) من شَعْر^(٦) معلقة بخشب العَرَعَر^(٧)، فناداه القَوْمُ من وراءِ الحُجُرَاتِ أَنْ «يا مُحَمَّد اخرج إلينا»، وكان فيهم

(١) يزيد بن الأصم، عبد عمرو بن عدس بن معاوية بن صعصعة، الكوفي، التابعي، كان ثقة، كثير الحديث، هو ابن اخت زوجة النبي (ص)، ميمونه، رأى النبي (ص) وسعد بن أبي وقاص، وسمع من ابن عباس، وأبي هريرة، ومعاوية، عائشة وميمونة، (رضى الله عنهما)، روى عنه: جعفر بن البرقان، عبيد الله بن ميمون، سكن الرقة، توفي سنة ١٠٣ هـ..

انظر: الثقات. أحمد بن حبان : ج ٥، ص ٥٣١. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٦، ص ١١٤. تهذيب الأسماء واللغات. محيي الدين يحيى: ج ٢، ص ١٦١.

(٢) قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي، صحابي جليل، وهو الذي قدم على رسول الله في وفد بني تميم فأكرمه، وقال له: «هذا سيد أهل الوبر»، فأمره النبي أن يغتسل بماء وسدر. روى عنه: الحسن البصري، والأحنف، وخليفة بن حصين.

الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٥، ص ١٠١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ج ٨، ص ٣١٣.

(٣) ابن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن تميم، وكان اسمه الزبرقان حصين، وكان شاعرًا جميلًا يقال له قمر نجد، وكان في وفد بني تميم الذين قدموا على رسول الله (ص)، فأسلم واستعمله رسول الله (ص) على صدقة قومه بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان ينزل أرض بني تميم ببادية البصرة وينزل البصرة كثيرًا.

انظر: الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج ١، ص ٥٣١. الثقات. أحمد بن حبان : ج ٣، ص ١٤٢. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٣، ص ٣.

(٤) عمرو بن الأهتم، شبيب بن شيبه بن عمرو الاهتم، التميمي، أبو معمر البصري، الخطيب، شاعر بليغ في قومه وسمي بالأهتم ضرب قوس أسنانه فهتمها، صالح صدوق، روى عن: حسن البصري، وعطاء بن رباح، ومحمد بن المنكدر.

انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال. : جمال الدين ابن الزكي ج ١٢، ص ٣٦٨. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٤، ص ٢٨٦.

(٥) الحجرات: جمع حجرة وهي البيوت، ومنه حجرات أزواج النبي (ص).

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. الكجراتي : ج ٤، ص ١٤٥.

(٦) وشعر: مكان ذو شجر، بالموصل جبل يُقال له شَعْران، سمي به لكثرة شجره.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ٢٦٩. العين. الفراهيدي: ج ١، ص ٢٥٣.

(٧) عَرَعَر: شجر من الفصيلة الصنوبرية له ساق عال متين، خشبه جيد حسن المنظر.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن الأزدي: ج ١، ص ١٩٧.

رجلٌ شاعرٌ، فقال: «يا محمد اخرج إلينا فوالله إنَّ مَدْحِي زَيْنٌ، وَإِنْ دَمِّي شَيْنٌ فخرَجَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُغَضَّبًا فقال من قائلِ الكلمة، فقيل: شاعرٌ، فقال: «كذبت، بل ذَلِكُمُ اللهُ».

قال: وبعثَ رسولُ الله إلى بني العنبر^(١) عُيَيْنَةُ بن حِصْن^(٢) فقتَلَ المقاتلةَ وسبى^(٣) الذراري^(٤) فجاءَ بسبايَهم، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْتَقَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ فَلْيَعْتَقْ هَؤُلَاءِ»^(٥).

ورجع الحديثُ إلى حديثِ أبي بكر^(٦)، قالَ فحدثني محمد بن المنكدر^(٧) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لِلْعَقْعَاعِ بنِ مَعْبَدٍ وخالد بن ملك بن ربعي: «قد

(١) بنو العنبر: هم بنو عمرو بن تميم، وبنو كعب بن تميم، وهم قبيلة عربية من قبائل بني تميم. انظر: جمهرة النسب. لابن الكلبي: ص ٢٥٥.

(٢) عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ الْفَزَارِي، واسمه عمرو، وكان ضربه أخ له ففَرَزَهُ فُسْمِي فَزَارَةَ، فَحَظَّتْ عِيَاهُ فَسُمِّيَ عُيَيْنَةُ دخل على عمر، فقال: يا ابن الخطاب، والله ما تُقْسِمُ بِالْعَدْلِ، وَلَا تُعْطِي الْجَزَلَ، فغضب عمر (رض) غضبًا شديدًا حتى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، قال عنه رسول الله (ص): «هَذَا أَحْمَقُ مُطَاعٌ». كان من العرب الجفاة.

انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. العسقلاني: ص ٩٨٠.

(٣) سَبَى: أَخَذَ شَيْءٌ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ كَرَهًا، سَبَى الْجَارِيَةُ يَسْبِيهَا سَبْيًا فَهُوَ سَابٍ وَالْمَأْخُودَةُ سَبِيَّةٌ. انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٣، ص ٦٩. معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٣، ص ١٣٠.

(٤) الذراري: تعني الذرية: يعني الخلق، قوله تعالى: {يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، الشورى: ١١، الآية.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق: ج ١، ص ٢٣٣.

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٢، ص ٢٠٥. مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَغُ الْفَوَائِدِ. نور الدين علي: ج ١٠، ص ٤٧. معجم الكبير. الطبراني: ج ٤، ص ٢٤١.

(٦) عبد الله بن أبي بكر بن حزم.

(٧) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر، الإمام الحافظ القدوة وحدث عن النبي (ص)، وأبى قتادة وطائفة مرسلاً عنه: عمرو بن دينار، ثقة، كان المنكدر خال عائشة، كان هو غاية في والحفظ والزهدي، مات سنة ١٣٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٥٤. أنساب الاشراف. البلاذري: ج ١٠، نص ٤٢٤٤.

عرفتكم»^(١)، وذلك أَنَّهُمَا سافرا إلى ربيعة بن حداد أَخِي بني أُسْدِ بن خزيمة. قَالَ: محمد بن المنكدر: [أراد]^(٢) أَن يستعمل أحدهما على بني تميم، فقال أبو بكر: يا رسول الله لتستعمل^(٣) فلانًا، وقال عُمر: يا رسول الله استعمل فلانًا، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَنْتُمَا لَوْ كُنْتُمَا تَخْتَلِفَانِ عَلَيَّ أَحْيَانًا»^(٤)، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٥): **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**^(٦) الآية، وَأَنْزَلَ فِي نَدَاءِ الْقَوْمِ: **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**^(٧).

قَالَ: وبلغنا أَنَّهُمْ قالوا: يا رسول الله إِنَّا نَحْبُ أَنْ تَأْذَنَ لخطيبنا فيخطُبُ ولشاعرنا فينشُدُ، فقام عمرو بن الأَهمم ولبيد بن عطار، فقال: (الحمد لله الذي لَهُ الفضلُ علينا وهو أَهْلُهُ الذي جعلنا ملوكًا وجعل لنا أموالًا عظامًا نفعلُ فيها المعروف^(٨))، فَمَنْ لَهُ مثل أموالنا وَمَنْ لَهُ مثل فعالنا، أَلَسْنَا نروي عن العرب ونروي فضلهم، وإِنا لنستحيي من الإِكثارِ فيما أعطانا)، ثم كان لقوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا»، بأن قاله عنده.

(١) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. العسقلاني: ص ٣٢٢. الجامع الصحيح: الترمذي ج ٥، ص ٣٦.

(٢) الأزهري: أراد.

(٣) الأزهري: استعمل.

(٤) جاء في الحديث: «أَمَّا إِنْكُمَا لَوْ اجْتَمَعْتُمَا لَأَخَذْتُ بِرَأْسَيْكُمَا، وَلَكِنْكُمَا تَخْتَلِفَانِ عَلَيَّ أَحْيَانًا».

انظر: العلل الكبير. الترمذي: ج ٢، ص ٥٢٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٨، ص ٤٦٥.

(٥) الأزهري: فنزل قوله تعالى.

(٦) الحجرات: ١، الآية.

(٧) الحجرات: ٤، الآية.

(٨) الأزهري: بالمعروف.

لأنه [حينما] ^(١) وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم والزبرقان، فقال عمرو [عن الزبرقان] ^(٢): ((إنه مانع لحوزته مُطاعٌ في أذنيه ^(٣)، فقال الزُّبرقان: حسدني يا رسول الله ولم يقل الحق، وإنه ^(٤) ليعلم أني أفضل مما قال، فغضب عمرو، فقال: هو والله زري ^(٥) المروعة ضيق المنطق ليثم الحال ^(٦)، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم [إلى عمرو] ^(٧) في عينيه، فقال: يا رسول الله، رَضِيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ وَغَضِبْتُ فقلتُ أسوأ ما علمتُ وما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الآخرة)) ^(٨)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا» ^(٩).

قال أبو عبيد ^(١٠): ((أخبر أن من البيان أن يذم فيقول الحق، ويمدح فيقول الحق، وإن من البيان ما يصور الباطن في صورة الحق حتى يسحر العقول فيعتقد

(١) الأزهر: حينما.

(٢) الأزهر: عن الزبرقان.

(٣) أذنيه: مجلس يندو إليه من حوائطه، ولا يُسمَّى نادياً من غير أهله، وهو النَّدي، ويجمع أذنيه. وسمي به لأنهم يندون إليه ندواً وندوة، وبه سمي دار الندوة بمكة.

انظر: العين. الخليل البصري: ج ٨، ص ٩٦.

(٤) الأزهر: فإنه.

(٥) زري من زريت: أي قصرت به.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٧٩.

(٦) الأزهر: الخال.

(٧) الزهر: إلى عمرو.

(٨) انظر: عمدة الكتاب. النحاس أحمد النحوي: ج ١، ص ٣٢٧.

(٩) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٦٩. المستدرک على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج ٤، ص ٤٥

(١٠) : هو سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، لإمام الحافظ المجتهد من كبار علماء الحديث، وسمع عن: إسماعيل بن جعفر وسفيان بن عُيينة، وعبد الله بن المبارك، مفنناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن، والفقه والعربية توفي سنة ٢٢٤ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٤٩١. ألفية العراقي. بالتبصرة والتذكرة في علوم الحديث. زين الدين عبد الرحيم بن الحسين: ج ٢، ص ٢٧٩.

الباطل أَنَّهُ حَقٌّ^(١).

وقال: الشاعر^(٢):

أَلَا رَبَّ خَصِمٍ^(٣) ذِي فُتُونٍ عَلَوْتُهُ

وإِنْ كَانَ مَن يَشْبَهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ^(٤): ((البلاغةُ إظهارُ ما غمضَ من الحقِّ، وتصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ))^(٥).

(١) انظر: غريب الحديث. سلام الهروي: ج ١، ص ٢٢٧. لوائح الأنوار السنية. محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: ص ٢١٣.

(٢) هو عمرو بن كلثوم العتابي. وأسند الشعرَ في كتاب البيان والتبيين إلى (ابن المقفع). انظر: البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ٢٢٠. ديوان المعاني. لأبي عساكر: ج ٢، ص ٤٣٥.

(٣) خصم: الخصومة: الجدال. غلبه بالحجة. انظر: لسان العرب. ابن منظور ج ١، ص ١٨٠.

(٤) الأزهر: الحكماء. الحكماء: عبد الله ابن المقفع، ١٤٢ هـ. عبد الملك بن قريب الأصمعي ٢١٦ هـ. عمر بن كلثوم العتابي ٢٠٨ هـ. النابغة الذبياني ١٦٦ هـ. الفرزدق ٩ هـ.

انظر: ديوان المعاني. لأبي عساكر: ج ٢، ص ٤٣٥.

(٥) انظر: ديوان المعاني. لأبي عساكر: ص ٢٢٠.

حدثنا^(١): [القاسم]^(٢) بن سلام^(٣) قال: حدثنا: أبو عبد الله الفزاري^(٤) عن مالك بن دينار^(٥) قال: ((ما رأينا أحداً أنفق^(٦) من الحجاج^(٧))، إن كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق^(٨) وصَفَحَهُ^(٩) عنهم وكَسَاءَتْهُمْ إليه، حتى أقول: في نفسي إني لأحسبه صادقاً، وإني لأظنهم كاذبين ظالمين له^(١٠))).

(١) القول عن المحاسبي رحمه الله.

(٢) الأزهر: القاسم.

(٣) سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، أبو عبيد القاسم.

(٤) أبو عبد الله الفزاري: هو مروان بن معاوية، الإمام الحافظ، الثقة، الكوفي ثم الدمشقي، عن أحمد بن حنبل، قال: ثبت حافظ. ثقة، مات سنة ١٧٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٥٢.

(٥) مالك بن دينار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، وسمع من أنس بن مالك وحدث عن: الأخنف بن قيس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، حدث عنه: سعيد بن أبي عروبة، له نحو من أربعين حديثاً، ثقة، توفي ١٣٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٦٢.

(٦) أنفق من النفاق: وهو الدخول بالشرع من باب والخروج عنه من باب، قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا}، التوبة: ٦٨، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨١٩.

(٧) هو: الحجاج أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، من أبرز ولاة بني أمية، والساسة الدهاة، توفي سنة ٩٥هـ.

انظر: جمهرة أنساب العرب. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي: ج ١، ص ٢٦٧.

(٨) العراق: ويسمى عراق، عراقاً، عراقاً: الأصول، أي الحد العلوي لأرض العرب وأهل الحجاز على ما هو قريب من البحر عراقاً، وقد سميت من باب آخر هذه التسمية لشاطئيه دجلة والفرات، ومن باب آخر لاتصال عروق الأشجار والنخيل به كأنه عراقاً، ثم جمع على العراق، والعراق يتكون من قسمين رئيسين: أرض السواد، والجزيرة، وسميت أرض السواد؛ لكثرة النخل والشجر وخضرته لكتافتها وتقارب السواد. والجزيرة هي ما بين دجلة والفرات من شمال بغداد سامراء تكريت الفلوجة. انظر: معجم البلدان. الحموي: ج ٤، ص ١٠٧. البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ١٨٥.

(٩) وصفحه من صفح: وأصل الصَّفَح أن تتَصَرَّف عنه وتَوَلَّيه صفحةً وجهك، قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ}، الزخرف: ٨٩، الآية.

انظر: النقفية في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البندنجي: ج ١، ص ٣٩٧.

(١٠) انظر: غريب الأحاديث. الخطابي: ج ١، ص ٢٢٨.

فهذا من البيان الذي كأنه سحرٌ يسحرُ العقولَ حتى يميلوا^(١) إلى قوله، ومثل هذا قولٌ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَغْضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرَّجَالِ»^(٢)، فلم يذمَّ البيانَ عن الحقِّ بالإخلاصِ بغيرِ تشقيقٍ، ولا مدحَ العيِّ عن الحقِّ وتركِ البيانِ له للمريد.

ولكن ذمَّ البيانَ الذي جاوزَ المقدارَ كما ذمَّ التقديرَ^(٣) والسرفَ^(٤)، ومدحَ الجودَ^(٥) بغيرِ سرفٍ والإمساكُ^(٦) لغيرِ تضييعِ الحقِّ ولا تقصيرٍ عن الفضلِ، فمدحَ البيانَ لا غلوًّا ولا تقصيرًا ولا خطأً^(٧)، كما حبسَ عُمرَ رضي الله عنه الأحنفَ [بن قيس]^(٨) لما سمعَ بلاغتهُ فحبسهُ سنَّةً مخافةً أن تكون بلاغتهُ على غيرِ صدقٍ.

ثم قال: بعدَ سنَّةٍ سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يقول]^(٩) :

(١) الأزهري: تميل.

(٢) انظر: سنن أبي داود: ج ٤، ص ٣٠٢. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٥، ص ١٣٠.

(٣) التقدير: ضاق عيشه، قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، الفرقان: ٦٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٥٥.

(٤) السرف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا}، النساء: ٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٠٧.

(٥) الجود: شيء جيد على فيعل، وبذل المقتنيات مالا كان أو علما،

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢١١.

(٦) الأزهري: الامتلاك.

(٧) خطأ من الخطل: الإضطراب، والخطل في الكلام: اضطرابه واختلافه.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج ١، ص ٦١٠.

(٨) الأزهري: بن قيس.

(٩) الأزهري: يقول.

«احذروا مُتَافِقًا عَلِيمَ اللِّسَانِ»^(١).

فإذا أَنْتَ لَسْتَ مِنْهُمْ، فَعَلِمَ مِنْهُ بِلَاغَةَ قَوْلٍ مَعَ حُسْنِ إِيمَانٍ وَصَدَقَ، وَإِذَا نَهَا عَنْ الْمِرَاءَةِ^(٢)، وَالتَّزْيِيدِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالبَذْخِ^(٣)، وَالتَّهَاتُرِ^(٤)، وَالتَّشْغَبِ^(٥)، وَالمَغَالِبَةِ^(٦)، وَالمُبَايَنَةِ^(٧)، وَلَمْ يَنْهَهُ عَنِ الْبَيَانِ لِلْحَقِّ بِإِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٤. البحر الزخار. أحمد بن عمرو: ج ١، ص ٤٣٤.

(٢) مِرَاءَةٌ: هي من الرياء: يُظْهَرُ أَمَامَ النَّاسِ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ١٥٥. تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق: ج ٣٨، ص ١٠٣.

(٣) البَذْخُ: الكِبَرُ، وَتَطَاوُلُ. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٣، ص ٧.

(٤) تَهَاتَرَ: إِذَا ادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ بَاطِلًا، ثُمَّ قِيلَ تَهَاتَرَتِ الْبَيِّنَاتُ إِذَا تَسَاقَطَتْ وَبَطَلَتْ. انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٣٤٨.

(٥) الأَزْهَرُ: وَالتَّشْعَثُ.

والتَّشْغِبُ: تَهْيِيجُ الشَّرِّ، وَأَرْبَكَ لَكَ ارْتِيَابٌ فِي فَهْمِكَ بِالشَّبَهَاتِ. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٥٠٤. تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق: ج ٣، ص ١٥٠.

(٦) مغالبة: مصدره غلب، اسْتَوْلَى عَلَيْهِ قَهْرًا، قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، الصافات: ١٧٣، الآية.

انظر: المُتَجَدِّدُ فِي اللُّغَةِ. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٢٧٣.

(٧) مُبَايَنَةٌ: (هَاجَرَهُ) وَفَارَقَهُ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق: ج ٣٤، ص ٣٠٠.

فإذا جاوزَ ذلكَ كان هو الخطأ والتبْهيت^(١)، وللمتشدين^(٢) والثرثارين^(٣) والمتفهيّقين^(٤)، وكلُّ ذلك قد ذمّه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهى عنه، فلم يروِ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أصحابه أَنَّهُمْ تشدَّقوا ولا أغدقوا^(٥) ولا تعمقوا، وروى: عَمَّنْ بَعْدَهُمْ وكانَ قليلاً ثم قد كثرُ.

قال الشاعر^(٦):

تَشَادَقَ حَتَّى مَالٍ بِالْقَوْلِ شُدُقُهُ
وَكُلُّ خَطِيبٍ لَا أَبَالِكَ (٧) أَشْدُقُ.

(١) التبْهيت: استقبالك الرجلُ بأمرٍ تَفْذُفه بِهِ، وَهُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزْهري الهروي: ج ٦، ص ١٣٣.

(٢) المتشدقون: مصدر مُتَشَدَّقٌ: فُهِمُ الْمُتَوَسَّعُونَ فِي الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاظٍ وَاحْتِرَازٍ، وَفِي الْحَدِيثِ «أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ التَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٠، ص ١٧٣.

(٣) التثرارون: مصدرها تَرَثَّرَ لَا يَكُلُ وَلَا يَمَلُ، مِهْذَارٌ يَكْثُرُ الْكَلَامَ فِي تَكْلُفٍ وَخُرُوجٍ عَنِ الْحَدِّ، لَا يُؤْتَمَنُ عَلَى سِرٍّ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ التَّرْثَارُونَ الْمُتَفَهِّقُونَ».

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٥، ص ٤٣.

(٤) الْمُتَفَهِّقُونَ مصدرها أَنْفَهَقَ فِي الْكَلَامِ، وَتَفَهَّقَ الَّذِي يَتَوَسَّعُ فِي كَلَامِهِ وَيَفْهَقُ بِهِ فَمَهُ وَالَّذِي يَنْتَحِجُ بِالْبَذْخِ أَيْضًا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْمُتَفَهِّقُونَ، قَالَ: «الْمُنْكَبِرُونَ».

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٥، ص ٢٦٢.

(٥) أغدقوا مصدرها غدق: هُوَ الْكَثِيرُ الْوَاسِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

انظر: المحكم المحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ٥، ص ٣٨٣.

(٦) جاء قول الشاعر: في عمرو بن سعيد الأشدق.

انظر: البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ١٢١. غريب الحديث. للخطابي: ج ١، ص ٤٤١.

(٧) لَا أَبَا لَكَ: قِيلَ هِيَ كَلِمَةٌ مَدْحٍ، أَنْتَ شَجَاعٌ مُسْتَعِنٌ عَنْ أَبِي يَنْصُرُكَ، وَفِي لُغَةِ الْعَرَبِ هُنَاكَ كَلِمَاتٌ يُرِيدُونَ مِنْهَا بَاطِلًا.

انظر: الكليات. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكوفي: ج ١، ص ٩٧٠. الإبانة في اللغة العربية. سلَمة العَوْتِي: ج ٤، ص ٦٣.

وقال معاوية^(١): و[قد]^(٢) تكلمت عنده الخطباء (والله لأرْمِيَنَّهُم بِالْخَطِيبِ
الْأَشْدَقِ، فَمُ يَازِيْدُ^(٣))^(٤).

وإنما سَمِيَ عمرو بن سعيد^(٥) الْأَشْدَقُ؛ لِتَشَادِقِهِ فِي الْكَلَامِ.

حَدَّثَنَا: عَتَابُ بْنُ زِيَادٍ^(٦) قَالَ: يَا ابْنَ مِيَارِكُ، قَالَ: يَا الْأَوْزَاعِي^(٧) عَنْ
عُرْوَةَ^(٨) قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَرَّ أُمَّتِي الَّذِينَ وَلِدُوا فِي
النَّعِيمِ وَغَدَّوْا بِهِ هِمَّتَهُمْ أَلَوَانُ الطَّعَامِ وَأَلَوَانُ الثِّيَابِ يَشْدُقُونَ فِي الْكَلَامِ»^(٩).

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، روى عنه: ابن عباس وسعيد بن المسيب، مات معاوية سنة ٦٠ هـ.

انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين ابن الأثير: ص ١١٤٦٠.

(٢) الأزهري: قد.

(٣) الأزهري: زياد.

(٤) انظر: البيان والتبيين الجاحظ: ج ١، ص ١٢٢.

(٥) عمرو بن سعيد بن العاص بن أبي أحيحة سعيد بن العاص، الملقب بالأشْدَق لفصاحته، راوي
أحاديث، وروى عنه: ابنه إسماعيل، وما زالت آثار قصره في المدينة شائعة لهذا اليوم، مات سنة ٧٠ هـ.

انظر: الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج ١، ص ٤٥٢. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي:
ج ٦، ص ٣٦٤.

(٦) عتاب بن زياد الخرساني المزروي، ثقة، صاحب حديث، مات سنة ٢١٢ هـ.

انظر: الجرح والتعديل: ج ٧، ص ١٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ص ٢٥٧.

(٧) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، ثم تحول إلى بيروت
مربطاً بها إلى أن مات، وكان ثقة، وكان خيراً، فاضلاً، مأموناً كثير العلم والحديث والفقه، حجة، توفي ١٥٧ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ١٠٩.

(٨) عروة: هو عروة بن زُوَيْم اللَّخْمِي، الفقيه المحدث، أبو القاسم، حدث عن: أبي ثعلبة الخشني،
فَقِيلَ سَمِعَ مِنْهُ، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَأَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِي، روى عنه: الأوزاعي، كان يخرج آخر الليل
ينادي يا أهل البصرة الصلاة، مات في البصرة سنة ١٢٥ هـ.

انظر: الثقات. ابن حبان: ج ٥، ص ١٩٦. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي: ج ٦، ص ١١٢.

(٩) انظر: الزهد. لأبي وكيع: ج ١، ص ٤٠٢.

حدثنا: محمد بن كناسة^(١)، قال: مسعر بن كدام^(٢) عن عدي^(٣) وقال: خَطَبَ عمر رضي الله عنه فقليل له، لو زدتنا، فقال: «إِذَا أَمَرْنَا بِإِقْصَارِ الْخُطْبِ»^(٤).

(١) الأزهري: محمد بن كناسة.

محمد بن كناسة: محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله، الإمام العلامة، الثقة البارع الأديب الشاعر، أبو عبد الله، وسمع من: هشام بن عروة، والأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، سمع عنه: أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة، وابن نمير، وأبو خيثمة، ثقة، مات في الكوفة سنة ٢٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٥٠٩.

(٢) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق أبو سلمة الهلالي الكوفي، روى عن: عدي بن ثابت، وعمرو بن مرة، والحكم بن عتيبة، وثابت بن عبيد، وقتادة بن دعامة، روى عنه: سفيان بن عيينة، ويحيى القطان وسليمان التيمي، ثقة، ثابت، توفي سنة ١٥٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ١٦٤.

(٣) عدي بن ثابت، الإمام الحافظ الواعظ الأنصاري الكوفي، روى عن أبيه، وعن البراء بن عازب، وسليمان بن صرد، وعنه: علي بن زيد بن جدعان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومسعر، ثقة، صدوق، وثابت صحابي كبير، مات سنة ١١٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ١٨٨.

(٤) انظر: سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث: ج ٢، ص ٣٢٥.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرٍ بْنُ السَّهْمِيِّ^(١)، قَالَ: جُوَيْرٌ^(٢) عَنْ كَثِيرِ بْنِ زِيَادٍ^(٣) عَنِ الْحَسَنِ^(٤) قَالَ: ((قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا^(٥) فَأَوْجَزَ فِي الْخُطْبَةِ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُمْ فَاخْطُبْ، فَقَامَ دُونَ مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَطَبَ دُونَ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُمْ فَاخْطُبْ، فَقَامَ دُونَ مَقَامِ أَبِي بَكْرٍ وَخَطَبَ دُونَ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ آخَرَ: قُمْ فَاخْطُبْ، فَذَهَبَ يُطْنَبُ^(٦) وَيَشَقُّقُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْكُتْ؛ إِنَّ التَّشْقِيقَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الْبَيَانَ لَسِحْرٌ»^(٧)، ثُمَّ قَالَ: لَا بَنَ مَسْعُودٍ قُمْ فَاخْطُبْ، فَقَامَ فَتَشْهَدُ وَحَمْدُ اللَّهِ وَأَتْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا أَنْ^(٨) اللَّهُ رَبُّكُمْ^(٩))).

(١) عبد الله بن بكر السهمي، ابن حبيب، الحافظ الحجة، أبو وهب السهمي الباهلي البصري، نزيل بغداد، سمع أباه بكر بن حبيب شيخ العربية، وحميدا الطويل، ج، ثقة، وكان أحد الفقهاء وأصحاب الحديث، مات سنة ٢٠٨ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء الذهبي: ج ٩، ص ٤٥١.

(٢) جوير بن سعيد الأزدي البلخي، عداة في الكوفيين، سكن بغداد ويقال: اسمه جابر وجوير لقب، روى عن أنس بن مالك وجواب التيمي ونكوان أبي صالح السمان والضحاك بن مزاحم، تلاميذه: إسحاق بن بشر، إسماعيل بن زياد. مات سنة ١٥٠ هـ.

انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ج ٥، ص ١٧١. الكامل في ضعفاء الرجال: ج ٢، ص ٣٣٩.

(٣) كثير بن زياد، أبو سهل العتكي البصري، سكن بلخ، وروى عن: توبة العنبري، والحسن البصري، وعمر بن عثمان، حدث عنه: جعفر بن زياد، جوير بن سعيد البلخي، والحسن بن يحيى، روى له: أبو داود، الترمذي، وابن ماجه.

انظر: الجرح والتعديل: ج ٧، ص ١٥١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن زكي: ج ٢، ص ١١٢.

(٤) الحسن البصري.

(٥) الأزهر: فخطبنا.

(٦) أطْنَبَ، إطنابًا: المبالغة بالكلام، وأطْنَبَ الرجل في المدح والذم، إذا بالغ فيه.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج ١، ص ٣٦٣.

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٤، ص ٧٢.

(٨) الأزهر: إن.

(٩) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية. حمد بن مفلح بن محمد المقدسي: ج ٢، ص ٩٠.

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ^(١)، قَالَ حَدَّثَنَا: مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو^(٢) عَنْ أَبِي
مُسْلِمَةَ^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْيُمَا النَّاسِ،
قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِينَكُمُ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّ تَشْقِيقَ الْكَلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٤).

(١) يزيد بن هارون ابن زاذي الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو خالد السلمي، سمع من: عاصم الأحول،
ويحيى بن سعيد الأنصاري القاضي، وسليمان التيمي، حدث عنه: بقية بن الوليد مع تقدمه، وعلي
بن المديني، وأحمد بن حنبل، كان رأساً في العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن، مات سنة ٢٠٦ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٣٥٨. الإكمال في مشكاة الرجال: ص ١١٧.

(٢) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص، الإمام، المحدث، حدث عن يحيى بن عبد الرحمن بن
حاطب، وإبراهيم بن عبد الله بن حنين، حدث عنه: مالك، والثوري، وإسماعيل بن جعفر، ويزيد بن
هارون. حدث في العراق مات سنة ١٤٥ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ١٣٦.

(٣) أبو مسلمة بن عبد الرحمن، ابن عوف بن عبد عوف، الحافظ، أحد الأعلام بالمدينة، مات سنة ١٠٤ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٨٥.

(٤) جاء الحديث «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضُ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ».
انظر: مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود. محمد أشرف: ج ١٣، ص ١٣٤.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَارٍ^(١)، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ^(٢)، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ^(٣)، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ عَنْ مَصْرُوفٍ^(٤) عَنْ أَبِيهِ^(٥) قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ، قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلًا وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلًا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَقُلَّ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّهُ الشَّيْطَانُ»^(٦).

(١) محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان، الإمام الحافظ، أستاذ الإمام البخاري، كتب عن بنادر نحو خمسين ألف حديث، كان يحفظ حديثه، مات سنة ٢٥٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ١٤٥.

(٢) محمد بن جعفر بن غندر، أبو عبد الله الهذلي البصري، الحافظ المجود الثبت، وابن جريج هو الذين سماه غندراً صدوقاً، مؤدياً، ثقة، مات سنة ١٩٣هـ.

انظر: كشف النقاب عن الأسماء والألقاب. عبد الرحمن بن علي الجوزي: ج ٢، نص ٣٤٦. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٩٩.

(٣) شعبة ابن الحجاج بن الورد الواسطي، الإمام الحافظ، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل، مات سنة ١٦٠هـ. في البصرة.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٢٠٣.

(٤) الأزهري: مطرف.

مصرف: هو محمد بن طلحة بن مصرف الياشي، الإمام الحافظ المقرئ، روى عن أبيه طلحة بن مصرف، إبراهيم بن عبد الأعلى بن عامر، وأبي صخرة جامع بن شدان، حدث عنه: أحمد بن عبد الله، سود بن عامر، مات سنة ١٦٧هـ.

انظر: الثقات. ابن حبان: ج ٧، ص ٣٨٨.

(٥) أبيه: طلحة بن مصرف ابن عمرو بن كعب، الإمام الحافظ المقرئ، تابعي من أهل الكوفة، أما عن ميول طلحة وآرائه، فقد خالف أهل الكوفة في حبه لعثمان (رض)، وحدث عن: أنس بن مالك، ومرة الطبيب، وزيد بن وهب، حدث عنه: ابنه محمد بن طلحة ومنصور، والأعمش، رجل لا يخطئ ولا يلحن إذا قرأ، ما خلف مثله، توفي في سنة ١١٢هـ.

انظر سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ١٩٠.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١٢، ص ٥٢٠.

حَدَّثَنَا: روح بن عبادة^(١)، قَالَ: حَدَّثَنَا حسين المعلم^(٢) عن عبد الله بن بردة^(٣): أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَعَ النَّاسَ لِقُدُومِ الْوَفْدِ، فَقَالَ لِإِذْنِهِ^(٤) عبيد الله^(٥) أو عبد الله بن الأرقم^(٦) انظُرْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَأَذَنَ^(٧) لَهُمْ أَوَّلَ النَّاسِ ثُمَّ الْقُرْنِ^(٨) الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلُوا فَصَفَّوْا^(٩) قِدَامَهُ^(١٠)، قَالَ:

(١) روح بن عبادة بن العلاء بن حسان بن عمرو، الحافظ الصدوق، صدوق ليس به بأس، حديثه يدل على صدقه، مات سنة ٢٠٥هـ.

انظر: تهذيب التهذيب. أحمد بن علي: ج ١، ص ٦١٤. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٤٠٣.

(٢) حسين بن ذكوان المعلم، من أهل البصرة عالم ثقة، صاحب حديث، وقد احتج به صاحب الصحيحين يقول عنه: الكتاب إما حسين ذكوان أو حسين المكتب. مات سنة ١٥٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٤٦. الثقات. ابن حبان: ج ٦، ص ٢٠٧.

(٣) عبد الله بن بردة بن أبي موسى الأشعري، الإمام، الفقيه، الثبت، اسمه كنيته، ابن صاحب رسول الله (ص)، مات سنة ١٠٧هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٣٦٤.

(٤) الأزهري: لابن عبد الله.

(٥) عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

(٦) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف وكان ممن حسن إسلامه، كتب للرسول (ص) وكان يكتب ويختتم لبعض الملوك، وكتب لأبي بكر، ولعمر، وولاه عمر بيت المال، روى عنه: عروة وغيره، توفي سنة ٦٤هـ.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. العسقلاني: ج ٤، ص ٣٣. الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج ٦، ص ٧٢.

(٧) أذن أو الأذن: الاستماع للشيء، قوله تعالى: {أَذِّنْ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ}، سبا: ٢٣، الآية.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مسلم العوتبي الصَّحَّارِي: ج ٨، ص ١١٥.

(٨) والقرن: الأمة.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٥، ص ١٤١.

(٩) فصَّفَّوْا من صفَّ: أي في سهولة وسراح، (وَأَذْرَكَ الْأَمْرَ عَفْوَاً، صفَّوا: أي في سهولة وسراح).

انظر: المحكم المحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج ٢، ص ٣٧٣.

(١٠) قِدَامُهُ: أي يسبقه، والقَدَمُ المحرَّكة: السَّابِقَةُ في الأمر، أَقْدَامٌ وَحْيٌ، وَقَوْلُهُ، (ص): «وَلَا تَقْدَمُوا رَمَضَانَ بِصِيَامٍ قَبْلَهُ».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١١، ص ٥٣٧.

فَنظَرَ فَإِذَا رَجُلٌ صَخْمٌ عَلَيْهِ^(١) ثُمَّ سَاقَ الْحَدِيثَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: (عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مُنَافِقُ عَالَمِ اللِّسَانِ)^(٢).

حَدَّثَنَا: رُوحُ بْنُ عَبَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ^(٣) عَنْ الْحَسَنِ^(٤) قَالَ: إِنَّهُمْ وَاللَّهِ مَا كَانُوا بِالْهَاتِرِينَ^(٥)، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ الْكَلَامَ لِيَعْقَلَ عَنْهُمْ.

حَدَّثَنَا: يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِي^(٦) عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: إِلَّا إِنَّ الْحِلْمَ وَالْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ^(٧) وَالْعِيَّ عِيَّ اللِّسَانِ لَا عِيَّ الْعَقَّةِ وَالْقَلْبِ، وَهِنَّ تَمَّا يَنْقُصُ فِي الدُّنْيَا وَيَزِيدُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا يَزِيدُنِي^(٨) فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرَ تَمَّا يَنْقُصُ بِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّ الْجَفَاءَ وَالْبَيَانَ وَالْبَذَاءَ مِنَ النِّفَاقِ وَهُوَ تَمَّا يَزِيدُ فِي الدُّنْيَا وَيَنْقُصُ مِنَ الْآخِرَةِ، وَمَا

(١) عَلِيَّةٌ مِنَ الْعُلُو: عال، عَلِيَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ، وَالْعَرَبُ يَقُولُ: عَلَيْهِمْ بَضْمُ الْهَاءِ وَالْمِيمِ، وَرَجُلٌ مِنْ عَلِيَّةٍ: أَيُّ مِنْ أَعْلَاهُمْ.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَوْتَبِيُّ الصُّحَارِيُّ: ج ٣، ص ٤٨٧. الْمُتَخَبُّ مِنَ كَلَامِ الْعَرَبِ. عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْهَنْثَانِيُّ الْأَزْدِيُّ: ج ١، ص ٨٩.

(٢) انظر: المفهم من تخليص كتاب مسلم. أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرْطُبِيُّ: ج ٦، ص ٥٧٢.

(٣) ابْنُ عَوْنٍ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنِ بْنِ أَرْطَبَانَ الْعُثْمَانِي، الْإِمَامُ الْقُدْوَةُ عَالِمُ الْبَصْرَةِ، أَبُو عَوْنِ الْمَزْنِيِّ، تَقَى، مَاتَ سَنَةَ ١٥١ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذَّهَبِيُّ: ج ٦، ص ٣٦٥. الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ. صَلاَحُ الدِّينِ خَلِيلُ الصَّفْدِيِّ: ج ١٧، ص ٢١١.

(٤) الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) الْهَاتِرِينَ أَصُولُهَا هَتَرٌ: مَرَقُ الْعَرَضِ. رَجُلٌ مُسْتَهْتَرٌ لَا يُبَالِي مَا قِيلَ فِيهِ. وَمَا شُنِمَ بِهِ. وَأَهْتَرِ الرَّجُلُ: فَقَدَ عَقْلَهُ مِنَ الْكِبَرِ فَهُوَ الْمَهْتَرُ.

انظر: العين. الْفَرَاهِيدِيُّ: ج ٤، ص ٣٢.

(٦) الْمَسْعُودِيُّ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الْمَسْعُودِيُّ الْهَنْزَلِيُّ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مُحَدِّثٌ، قَدِمَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ فِيهَا أَصْبَحَ فِي نَهَايَةِ عَمْرِهِ أَصَمًّا، تَقَى، مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ١٦٠ هـ.

انظر: تاريخ مدينة السلام. الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: ج ١١، ص ٤٨٥.

(٧) الْأَزْهَرُ: مِنَ الْإِيمَانِ.

(٨) الْأَزْهَرُ: يَزِيدُ.

ينقص من الآخرة أكثر مما يزيد في الدنيا، قال: (يزيد^(١) البيان الفصاحة للبلاغة). قلت: فالصمت أسلم.

قال: أجل، والكلام أفضل عند الله إذا أريد به وجهه وقصد فيه مع الإصابة، فكلم كل قوم على قدر فهمهم ولغو^(٢) ألسنتهم، ولا تفرط^(٣) أيضاً في الصمت كما لا تفرط^(٤) في الكلام؛ لأنه إن أفرط في الصمت ضيع كثيراً من حقوق الله تعالى أن يقوم بها بلسانه، ويعتري^(٥) من الأفرط آفات كثيرة؛ فإذا سلم الكلام من جميع الآفات سكت عنه أيضاً، إلا أن ينطق في موضعه وفي أوانه ولمن ينتفع به، وإلا فالصمت أولى به، ولو سلم المتكلم من جميع الآفات ووجد لقلوبه موضعاً وأملاً^(٦)، فأمل المنفعة لهم بقوله لكاف^(٧) مع ذلك أولى به أن يخاف المقت من الله عز وجل إذا كان من ليس يتحقق لما يقول من فعله وأخلاقه وآدابه، كما خاف عمر رضي الله عنه على الأحنف بن قيس والربيع بن زياد أن

(١) الأزهري: يريد.

(٢) لغو: أي صوت.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٢، ص ٣١٠.

(٣) الأزهري: يفرط.
تفرط من الفرط: أي التقصير والعجز.
انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري: ج ٣، ص ٦٤٣.

(٤) الأزهري: يفرط.

(٥) يعتري من عري: عراه أمرٌ يغزوه غزواً: إذا غشيه وأصابه.
انظر: العين. الفراهيدي: ج ٢، ص ٢٣٣.

(٦) أملاً من الأمل: الرجاء والتثبت.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي ج ١٥، ص ٢٨٤.

(٧) كاف: أي كاف لهم بالمعصية، قوله تعالى: {كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}، النساء: ٦، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧١٤.

يكونا غيرَ محققين^(١) لما يقولان، وقالَ عُمر بن ذرّ: «المستعان الله^(٢) على السنة تصف وقلوبٌ تعرف وأعمالٌ تُخالف»^(٣).

(١) محققين أصلها: (الحق): وهي ضدُّ الباطل، والجَمْعُ (مُحَقِّقُونَ)، وكَلَامٌ (مُحَقِّقٌ) أي رَصِينٌ وجب. انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمَةُ بن مُسْلِمٍ العَوْنِي الصُّحَارِي: ج ٢، ص ٢٨٦.

(٢) الأزهري: الله المستعان

(٣) انظر: آداب الدنيا والدين. الماوردي: ج ٣، ص ٢٠٠.

مسألة في الجدل في أسباب الدنيا

قلت: والجدال في أسباب الدنيا منه مذمومٌ وممدوحٌ^(١).

قال: نعم، أمّا الممدوح منه فمجادلتك عن المظلوم عند حاكم أو غيره،
تجادل بالحق؛ لتدفع عنه ظلمًا، أو لتستخرج له حقًا، وكذلك المكذوب عليه
فتجادل عنه بالحق لتردّ عنه الكذب، أو المظنون به^(٢) السوء وهو مستورٌ عندك
فتجادل عنه لتزول عنه التهمة، أو من اغتیب فتجادل عنه بغير تكذيب للقائل،
ولكن تجادله^(٣) لتقيم عليه الحجة لما حرّم الله عزّ وجلّ عليه من الغيبة، ولما أمرَ
به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ستر عورات المسلمين، وكذلك مجادلتك
عن نفسك في جميع ذلك.

قلت: فمجادلتي في هذا الوجه أفیه^(٤) آفةٌ أكون فيها مذمومًا؟

قال: نعم، تجادل لتردّ ظلمًا أو غيبةً أو كذبًا أو لتستخرج حقًا، إلا أنك
تجادل بغير الحق.

قلت: وكيف ذلك؟

(١) الممدوح من المدح: أثنى عليه بما له من الصفات الحسنة.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ٧، ص ١١١.

(٢) الأزهر: فيه.

(٣) الأزهر: تجادل.

(٤) الأزهر: هل فيه.

قال: تدعي^(١) فوق الحقّ [الذي تريد أن تستخرجه]^(٢) وفوق الظلم الذي تريد رده، أو تجادل بالسّفه والشتّم للظالم بما لا يحلّ لك، أو تحمل^(٣) شهود زور^(٤) على أن يشهدوا [عليه]^(٥)، وإن كان الذين يشهدوا عليه حقًا إلا أنهم يشهدوا على ما قد علموا أنهم لم يعلموه يقينًا، وأن^(٦) تستعين عليه بمن يظلمه أو يشتّمه ليصير إلى الحقّ والرجوع عن الظلم؛ فأنت غير مذموم بقصدك، وأن تردّ الظالم وأنت مذموم إذا جادلته بغير حقّ، أو خرجت إلى السّفه والشتّم أو اشتغالك بما لا يحلّ من أشهاد الزور واستعانة على ظلم من يجادله وإن كان ظالمًا فيما تطالبه به لنفسك أو لغيرك.

وأما الجدل المذموم فمجادلتك عن الظالم؛ لتردّ عنه أخذ الظلامة منه، أو عن الكاذب على مسلم أو معاهد^(٧) ليصدق ولا يكذب، أو عن الظان بالسوء ليحقق ظنّه، وعن الذي اغتاب لتثبت ما غاب^(٨) به المشتوم ليرأى من عيبه^(٩)، وكذلك مجادلتك عن نفسك في جميع ذلك لتدفع عنك أخذ ظلامتك^(١٠)، أو لتمنع حقًا

(١) تدعي أصلها دَعَى: وهي تدعي حقًا لك ولغيرك.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) الأزهر: الذي تريد أن تستخرجه.

(٣) الأزهر: تحلم.

(٤) زور: الكذب، وقد زور الشهادة، أي: كذّبها، وزور كلامه تزويرًا: نَمَقَهُ وَأَصْلَحَهُ.

انظر: المنجد في اللغة. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٢٢١.

(٥) الأزهر: عليه.

(٦) الأزهر: أو أن.

(٧) معاهد: الذمّي لأنّه معاهد ومُبايع على ما عليه من إعطاء الجزية والكف عنه.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ١، ص ١٠٢.

(٨) الأزهر: عاب.

(٩) الأزهر: غيبته.

(١٠) الأزهر: ظلامة.

أو ليصدق كذبك، أو لتحقق ظنك السوء^(١)، أو لتثبت عيًّا بغيبه مسلم.
قُلْتُ: فَإِنْ جَادَلْتَ عَنْ ظَالِمٍ أَوْ كَاذِبٍ فَعَلِمْتُ بِظُلْمِهِ أَوْ كَذِبِهِ أَوْ لَمْ أَعْلَمْ.

قال: ذلك على نوعين، والناس فيه فرقتان:

أَمَّا أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ أَنْ^(٢) تَكُونَ عَلِمْتَ ذَلِكَ مِنْهُ وَأَنْ خَصَمَهُ بَرِيءٌ أَوْ مَظْلُومٌ، فَذَلِكَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْتَ شَرِيكٌ لِلظَّالِمِ بِقَدْرِ^(٣) مُجَادَلَتِكَ عَنْهُ وَبِتَجْوِيزِكَ^(٤) لِفَعْلِهِ، وَبِدَفْعِكَ صَاحِبَ الْحَقِّ عَنْ حَقِّهِ.

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: أَنْ تَجَادَلَ عَنِ الظَّالِمِ وَالْكَاذِبِ أَوْ الظَّانِّ أَوْ الْمَغْتَابِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ^(٥)، فَالنَّاسُ فِي هَذَا الْوَجْهِ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مِنَ الْإِخْوَانِ وَغَيْرِهِمْ قَدْ عَرَفْتَ بَرَاءَتَهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ لِطَوْلِ^(٦) خَبَرَتِكَ بِهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ قَدْ عَلِمَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ فَأَنْتَ مَمْدُوحٌ؛ لِأَنَّكَ جَادَلْتَ بِمَا عَلِمْتَ مِنْ طَوْلِ خَبَرَتِكَ بِهِمْ وَمَعْرِفَتِكَ بِأَنَّهُمْ^(٧) مُجَانِبُونَ لِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْوَرَعِ لِلَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ، وَالْقَوْلُ بِالسُّنَّةِ، أَنْتَ^(٨) مُطِيعٌ إِذَا جَادَلْتَ عَنْهُمْ لِعِلْمِكَ الْمَتَقَدِّمِ، إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ خَصَمٌ مِنْ تَجَادُلٍ عَنْهُ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ لَا يُمْكِنُ فِيهِ غُلْطٌ، فَإِنْ لَمْ يُبَيِّنْ خَصَمُهُ حُجَّةً فَلَكَ أَنْ تَجَادَلَ عَنْهُ، إِلَّا

(١) الأزهر: سوء ظنك.

(٢) الأزهر: فإن.

(٣) الأزهر: بعد.

(٤) بتجويزك الاجتيار: السلوك.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٥، ص ٣٢٧.

(٥) الأزهر: تعلمه.

(٦) الأزهر: بطول.

(٧) الأزهر: بأنه.

(٨) الأزهر: فأنت.

أَنْ تَكُونَ مُعَامَلَةً^(١) عَلَى الْمُنَازَرَةِ^(٢) لَخِصْمِهِ؛ لِيُبَيِّنَ حُجَّتَهُ أَوْ يُبْطِلَ^(٣) حُجَّتَهُ.

و[أَمَّا]^(٤)النوع الثاني: أَنْ^(٥) تَكُونَ لَمْ تَخْبُرْهُمْ بِالْوَرَعِ وَلَا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَجُبَانِيَةِ الْبِدْعِ^(٦)، فَلَا تَجَادَلْ عَنْهُمْ، وَإِنْ كَانُوا عِنْدَكَ مُسْتَوْرِينَ فَإِنَّهُ قَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ قَدْ فَعَلَ خِلَافَ ظَاهِرِ^(٧) سِتْرِهِ، فَتَشَبَّهَ وَلَا تَجَادَلَ فِيهَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ.

وقد نهانا الله عزَّ وجلَّ عن ذلك فقال: {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ^(٨)، الآية كلها، وذلك أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اخْتَانَ^(٩) رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ خِيَانَةً فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ لظَاهِرِ سِتْرِ الْإِسْلَامِ^(١٠)، فَنَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَدَّ عَنْهُ عَنِ ذَلِكَ^(١١)، فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجَادَلَ عَمَّنْ لَمْ تَطُلْ

(١) الأزهر: فمعاملته.

(٢) المناظرة: الجدال وَأَنْ يَسْتَخْرِجَ الرَّجُلُ مِنْ مُنَازَرَتِهِ كَلَامًا وَمَعَانِي الْخُصُومَةِ وَغَيْرَهَا.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٥، ص ٢٠٤.

(٣) الأزهر: ليبطل.

(٤) الأزهر: أما.

(٥) الأزهر: فإن.

(٦) الأزهر: البدعة.

(٧) لظاهر: أي غَائِبٍ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ، وَقِيلَ: زَائِلٌ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلَى زَيْنٌ}،
الرعد: ٣٣، الآية.

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي ج ٦: ص ١٣٥.

(٨) النساء: ١٠٥، ١٠٦، الآية.

(٩) اخْتَانَ: مِنَ الْخِيَانَةِ.

انظر: معجم ديوان الأدب. الفراهي: ج ٣، ص ٤٤٦.

(١٠) الأزهر: بالإسلام.

(١١) انظر: تفسير الكاشف. الزمخشري: ص ٢٨٥. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير: ج ٢، ص ٤٠٥.
مسند أحمد: ج ٦، ص ٣٢٠.

خبرتك به بالورع والتقوى، ولكن مناظرة مع تثبت ولا لظلم^(١) لخصمه حتى تعلم. ومن الناس من تعرفه^(٢) بالظلم فيعرض له من يطلب منه ظلامته ولم تعلم أنه قد ظلمه، فلا تجادل عنه ولا تناظره في أمره وأمسك واطلب السلامة^(٣) منه.

ومعنى ثالث: تدخل بين الرجلين أو القوم لتصلح بينهم وقد غيب عنك من الظالم منهم من المظلوم، فيكون لك هواء في أحدهم لقراءة أو صحبة أو مرفق^(٤) يدخل عليك من ناحيته؛ فتجادل عنه مجادلة من قد استيقن أنه مظلوم وتظلم خصمه، فذلك جور منك وظلم له إذا جادلت عنه عمن لا^(٥) تعلم أم مظلوم أم ظالم^(٦)، بل تكون بينهم كالقاضي لا تميل ولا تحيف^(٧)، وكل^(٨) من صحت له حجة، كنت معه حتى تخرج الآخر منها برهان أو تكون ليس لك في واحد منهم هوى [في إحداهما]^(٩) فتجور في محاورتك، فتظلم مرة هذا ومرة هذا^(١٠) بغير علم تريد بذلك الصلح فهذا لا يجوز لك.

قلت: فأين قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما كذب من أصلح بين اثنين»^(١١).

(١) الأزر: عن ظالم.

(٢) الأزر: يعرف.

(٣) الأزر: الظلامة.

(٤) والمرفق: أي الأمر الرفيق بك أن يجمعك وإيأه رفقاً.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني: ج ٢، ص ٤١٨.

(٥) الأزر: لم.

(٦) الأزر: ظالم أو مظلوم.

(٧) تحيف: ما يزيد فتنة خصمه.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٩، ص ٦٠.

(٨) الأزر: فكل.

(٩) الأزر: هوى في إحداهما.

(١٠) الأزر: هذا مرة وهذا مرة.

(١١) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج: ج ٤، ص ٢٠١٢.. سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث: ج ٤، ص ٢٨١.

قال: ليس معنى ذلك [أَنْ] ^(١) يظلم ^(٢) مُسَلِّمًا بغير عِلْمٍ، ولكنْ مداراة ومعارضة ليرى ^(٣) ما في صَدْر كلِّ واحدٍ على صاحبه أو صَدْرُ الغَضبانِ منهما، أو الضارُّ حتى يسطلحا، فلا يجوزُ أَنْ يُعَيَّنَ ^(٤) ظالمًا ولا مظلومًا إِلَّا بالحقِّ، [لا] ^(٥) بتَصْرِيحٍ ^(٦) ولا بتَعْرِيضٍ ^(٧) ولا يَشْهَدُ ^(٨).

(١) الأزهر: أن.

(٢) الأزهر: تظلم.

(٣) الأزهر: لتزى.

(٤) يُعَيَّن من العين: ويقال للمراعي الشيء عَيْن، قال تعالى: {فَأَنكَ بِأَعْيُنِنَا} الطور: ٤٨، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٩٨.

(٥) الأزهر: لا.

(٦) تَصْرِيح: أعطاه إذنًا، فهو التبيين وانكشاف الأمر. انظر: معجم الصواب اللغوي. أحمد مختار عمر: ج ١، ص ٢٣٥.

(٧) التعريض أصلها عرض: أَقْطَعُوا الأَمْرَ فِيهِ، جَانِبُهُ. انظر: التعريفات. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: ج ١، ص ٦٢.

(٨) الأزهر: شاهد. يشهد: وهي الشهادة إما بالبصر أو البصيرة، قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} السجدة: ٦، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٦٥.

ما حَدَّثَنَا: سليمان بن حرب^(١)، قَالَ: حماد بن زيد^(٢) قَالَ: أيوب^(٣) عن هارون بن رثاب^(٤) عن زيد بن سويد الرقاشي^(٥)، قَالَ سَعِيد بن المسيب: «مَنْ مَشِيَ مَعَ خِصْمٍ^(٦) يَرَى خِصْمَهُ أَنَّهُ شَهِدَ^(٧) عَلَيْهِ فَهُوَ شَاهِدٌ زُورٌ»^(٨).

(١) سليمان بن حرب، ابن بجيل، أبو أيوب الإمام الثقة الحافظ، البصري، قاضي مكة، مات بالبصرة سنة ٢٢٤هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٣٣١.

(٢) حماد بن يزيد، ابن درهم، العلامة، أبو إسماعيل الأزدي، أدبه كسرى، وفقهه عمر (رض)، مات سنة ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٤٥٧.

(٣) أيوب: هو يحيى بن أيوب، الإمام المحدث الغافقي المصري، احتج به الأئمة الستة في كتبهم، توفي سنة ١٦٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٩.

(٤) هو هارون بن رثاب بن رباب الأسدي التميمي البصري، أبو بكر، من أهل السنة روى له مسلم، وأبو داود، والبخاري.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج ٣، ص ٥٥. الثقات. لابن حبان: ج ٧، ص ٥٧٨.

(٥) زيد بن سويد الرقاشي: سويد بن زيد بن سويد الرقاشي البصري روى عن أبيه والمسيب، وروى عنه: سقط، وهارون.

انظر: الثقات. ابن حبان: ج ٦، ص ٣١٥. الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: ج ٤، ص ٢٣٩.

(٦) خَصْمٌ مِنَ الْخُصُومَةِ: وَالْخَصْمُ الْمَدْعَى وَالْمَدْعَى عَلَيْهِ. قوله تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، الحج: ١٩ الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٢، ص ١٨٠.

(٧) الأزهر: يشهد.

(٨) انظر: موطأ الإمام مالك. مالك بن أنس: ج ١، ص ٢٧٤. السنن الكبرى. النسائي: ج ١٠، ص ٢٠١. المبسوط. محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي: ج ١٦، ص ١٤٥.

حَدَّثَنَا: سُريح^(١) عن حماد بن يزيد عَنْ أَيُوبَ وَعبد الله بن أَبِي زائدة^(٢) عَنْ هَارُونَ بن رباب عَنْ زِيد بن سويد الرقاشي عَنْ سَعِيد بن المسيب، مثله.

(١) الأزهر: سُريح.

هو سُريح بن أَبِي يونس، هو الإمام القدوة الحافظ أبو الحارث المروزي من الأئمة العابدين، مات في شهر ربيع الأول سنة ٢٣٥هـ..

انظر: الجرح والتعديل. لأبي حاتم: ج ٤، ص ٣٠٥.

(٢) عبد الله بن أَبِي زائدة: هو يحيى بن زكريا، ابن أَبِي زائدة الحافظ، العلم، جده ميمون بن فيروز، أفقه أهل الكوفة، ثقة، مستقيم الحديث أسند له الحديث: «إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعماء»، وهو أول من صنف الكتب بالكوفة، مات سنة ١٨٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٣٣٨. الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: ج ٩، ص ١٤٤.

مسألة في التفويض

قُلْتُ: ما التفويض إلى الله عزَّ وجلَّ؟ فَإِنَّ اللهَ [تعالى] ^(١) سُبْحَانَهُ مَدَحَ
مؤمن آلِ فرعون فأخْبَرَ بما نَجَّاهُ بِهِ حِينَ بَايَنَ ^(٢) قَوْمَهُ وَأَظْهَرَ لَهُمُ الْخِلَافَ،
فَقَالَ: «وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» ^(٣)، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَوَضَّا أَمْرَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَرِيحًا» ^(٤)، وَقَالَ: عامر بن عبد
الله ^(٥) لِأَخْتِهِ ((فَوَضِي أَمْرُكَ إِلَى اللَّهِ تَسْتَرِيحِي)) ^(٦).

قال: إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ مِّنْ وَهْبِهِ اللَّهُ ذَلِكَ زَالَتْ عَنْهُ هُمُومُ الدُّنْيَا
وَالْخَوْفَةُ لِلْعِبَادِ وَالطَّمَعُ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَتَرَكِ النَّظَرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ إِلَى حِيلَةٍ ^(٧) نَفْسِهِ،

(١) الأزهري: تعالى.

(٢) باين من تبيين: استخفَّ به.

انظر: كتاب الأفعال. علي بن جعفر بن علي السعدي: ج ٢، ص ٣١٩.

(٣) غافر: ٤٤، الآية.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير: ج ٧، ص ٣٢٥٩. الجامع لشعب الإيمان.
أحمد الهيكلي: ج ١٤، ص ٣٦٣.

(٥) عامر بن عبد الله ابن عبد قيس العنبري، زاهد البصرة، من التابعين، زكي النفس، زاهد في الدنيا،
لزم أبا موسى الأشعري في سَلَمِهِ وَحَرِيهِ، كَانَ ثَقَّةً مِنْ عِبَادِ التَّابِعِينَ، حَدَّثَ عَنْهُ: الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ،
وَابْنُ سِيرِينَ، كَانَ يَصْلِي بِالْيَوْمِ أَلْفَ رَكْعَةٍ، تَرَكَ الْبَصْرَةَ مَرْغَمًا، وَاخْتَارَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ دَارَ إِقَامَتِهِ، مَاتَ
فِي زَمَنِ مَعَاوِيَةَ.

انظر: تاريخ دمشق: ج ٢٦، ص ٢٢. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ١٦.

(٦) جاء في الرواية: أن عامر عبد الله العنبري قال لابن عم له: «فَوَضَّا أَمْرَكُمْ إِلَى اللَّهِ تَسْتَرِيحًا».
انظر: تاريخ دمشق. لابن عساكر: ج ٢٧، ص ٢٩.

(٧) حيلة: لأنه شيء أُحِيلَ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى، وَالْقُدْرَةُ عَلَى دَقَّةِ التَّنَصُّفِ.

انظر: المحكم والمحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ٤، ص ٦.

فهذه راحةٌ للقلوب وفراغٌ^(١) منها لطاعةِ [الله]^(٢)، ويدلُّك على ذلك قولُ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ لِرَجُلَيْنِ: «فَوَضَّا أَمْرَكُمَا إِلَى اللهِ تَسْتَرِيحَا»

والتفويضُ: عَمَلٌ نِيَّةٌ، لَا مَوْؤَنَةٌ^(٣) لَهُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، بَلْ فِيهِ الرَّاحَةُ لِلْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَكَيْفَ تَلْحَقُ الْمُؤْنَةُ^(٤) وَالْهَمُّ مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَتَبَرَّأَ هُوَ مِنَ النَّظَرِ فِيهِ إِلَى نَفْسِهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ سِوَى مَنْ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ؛ لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ففَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ طَمَعَ أَنْ يَقُومَ لَهُ بِهِ لَيْسَتْ رِيحٌ^(٥) الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ قَلِيلَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْإِهْتِمَامِ وَالْإِحْتِيَالِ.

فكَيْفَ يَمَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلِكِ الْأَعْلَى، الَّذِي لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادَهُ وَدَبَّرَهُ وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ وَلَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ، وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّهُ أَمَرَ بِالتَّفْوِضِ إِلَيْهِ وَضَمَّنَ لِلْمَفُوضِينَ [إِلَيْهِ]^(٦) الْكَفَايَةَ لِمَا هُمْ هُمْ وَالْقِيَامَ لَهُمْ بِمَا فَوَّضُوا إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَالتَّفْوِضُ مِنْ خَالِصِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِلثِّقَةِ بِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِنَفَازِ قُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ.

فالتفويضُ: الْإِلْجَاءُ^(٧) مِنْ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، [فِي] الْأُمُورِ كُلِّهَا الَّتِي تَخَافُ وَتُرْجَا، أَوْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ،

(١) فَرَّغَ مِنْ يَفْرُغُ: أَيِ خَالِي، قَالَ تَعَالَى: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَصْنَبِحَ فُوَادُ أَمْ مُوسَى فَارِغًا} الْقِصَصُ: ١٠، الْآيَةُ. انظر: العَيْنُ. الْفَرَاهِيدِيُّ: ج ٤، ص ٤٠٨.

(٢) الْأَزْهَرُ: اللهُ.

(٣) الْأَزْهَرُ: مُؤْنَةٌ.

مُؤْنَةٌ مِنَ الْمُؤْنَةِ: أَيِ الثَّقَلُ.

انظر: الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ. أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْفَيْوَمِيُّ ثُمَّ الْحَمَوِيُّ: ج ٢، ص ٥٨٦.

(٤) الْأَزْهَرُ: الْمُؤْنَةُ.

(٥) الْأَزْهَرُ: لِمُسْتَرِيحٍ.

(٦) الْأَزْهَرُ: إِلَيْهِ.

(٧) الْإِلْجَاءُ: أَيِ الْإِضْطِرَارِ، يَكُونُ فِيمَا لَا يَجِدُ الْإِنْسَانُ عَنْهُ بَدْءًا مِنْ أَعْمَالِ نَفْسِهِ.

انظر: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج ١، ص ١٥٢. الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ. لِلْعَسْكَرِيِّ: ج ١، ص ١٣٢.

(٨) الْأَزْهَرُ: فِي.

والمريدون في ذلك رَجُلَان:

رَجُلٌ اعتقدَ من قلبه أَنَّهُ أَلْجَأَ أَمُورَهُ كُلَّهَا [إِلَى اللَّهِ] ^(١) إِلَيْهِ مُتَبَرِّئٌ مِنَ الْحَوْلِ ^(٢) والقوة من نفسه، ومن الخَلْقِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، ولا يَنْتَظِرُ صُنْعًا ولا لُطْفًا ^(٣) إِلَّا مَنْ عِنْدَهُ، قد طَابَتْ ^(٤) وَسَخَتْ نَفْسُهُ بِإِلْجَائِهِ أَمُورَهُ ^(٥) إِلَى مَوْلَاهُ، وهو مع ذلك على خَاطِرٍ أَنْ يَخْتَدِعَهُ الشَّيْطَانُ فَيَدْخُلَ إِلَيْهِ ^(٦) عَلَى النِّسيانِ والغَفْلَةِ [فِي] ^(٧) أَنَّهُ يَمْلِكُ أَمْرَهُ، [ولكنه] ^(٨) عَجَزَ عَنْهُ فَأَلْجَأَهُ إِلَى مَوْلَاهُ، [فعند ذلك] ^(٩) قد دَخَلَ عَلَيْهِ [مِنَ الشَّيْطَانِ] ^(١٠) بَابٌ مِنَ الْعَجَبِ دَقِيقٌ لَا يَقْطُنُ لَهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ السَّمَّاسَةُ ^(١١).

(١) الأزهري: إِلَى اللَّهِ.

(٢) الحَوْلُ: أَي لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ».

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَوْنِيُّ الصُّحَارِيُّ: ج ٢، ص ٢٠٦.

(٣) الأزهري: لُطْفًا وَلَا صُنْعًا.

(٤) طَابَتْ: وَطَأَتْ نَفْسُهُ بِالشَّيْءِ إِذَا سَمَخَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ وَلَا غَضَبٍ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٥٦٦.

(٥) الأزهري: الْأُمُور.

(٦) الأزهري: عَلَيْهِ.

(٧) الأزهري: فِي.

(٨) الأزهري: وَلَكِنَّهُ.

(٩) الأزهري: عِنْدَ ذَلِكَ.

(١٠) الأزهري: مِنَ الشَّيْطَانِ.

(١١) السَّمَّاسَةُ: الدَّلَالُونَ بِكَلَامِ الْفَرَسِ، وَعِنْدَ كَلَامِ الْعِرَاقِيُونَ الْأَوْبَاشُ: تَعْنِي الْجَمَاعَاتُ وَالْأَخْلَاطُ مِنْ قِبَائِلَ شَتَّى.

انظر: شرح غريب ألفاظ المدونة. الجبي: ج ١، ص ٧٤. الْمُسْتَعَذَّبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ أَلْفَاظِ الْمُهَذَّبِ. محمد الركبجي: ج ٢، ص ٢٧٧.

و[الرجل] ^(١) الثاني: اعتقد في قلبه أنه لا أمر له ولا حول له ولا قوة ولا ملك له يحتاج يلجأه إلى ربه، ولكن ربه مالك نفسه وجميع أموره، فإنما معناه بتفويضه أموره أنه فوض الأمور التي لا يملكها إلى الله عز وجل، يقول في نفسه الأمور كلها لله وبالله تكون وتتصرف فألجأت الأمور كلها إلى الله تعالى ^(٢) > فأنا مُنتظر لما يقضي ^(٣) ويقدر أحسن الظن به إذ من ^(٤) علي بالانتظار؛ لذلك أن يطف لي ^(٥) وينظر [إلي] ^(٦) ويحسن [إلي] ^(٧) ويختار [لي] ^(٨) فلا أمر لي فأفوضه والأمر كله لربي.

فقد فوضت إليه الأمور كلها وألجأتها مُنتظراً لصنعه ولطفه، وإنما قولي أفوض أمري إلى الله [أي] ^(٩) الذي لا أملكه، وإنما تسميتي ليس أعني [بها] ^(١٠) ملكي، إنما قولي أمري معناه أمري الذي أحتاج إليه [من مُلك ربي] ^(١١) لست أملكه ^(١٢) [فهو المالك له] ^(١٣) كقولي: أحتاج إلى أن يأتيني رزقي ولم أملكه بعد؛

(١) الأزهري: الرجل.

(٢) الأزهري: عز وجل.

(٣) قَضَى يَقْضِي قَضَاءً، فهو قاض، وأَوْفَى يَنْذُرُه، إذا حكم وقَصَلَ، انظر: التفتية في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البندنيجي: ج ١، ص ١٣١.

(٤) مَنْ: هي من المنة.

(٥) الأزهري: يطاف بي.

(٦) الأزهري: إلي.

(٧) الأزهري: إلي.

(٨) الأزهري: لي.

(٩) الأزهري: أي.

(١٠) الأزهري: بها.

(١١) الأزهري: من مُلك ربي.

(١٢) الأزهري: لا من ملكي.

(١٣) الأزهري: فهو المالك له.

فكذلك أَوْضُ أموري التي يحتاج إليها بملكة^(١) رَبِّي لا أَنَا، فهو المالكُ لَهُ.

فهذا الذي لم تدخل عليه أغلوطَةٌ ووَضَعَ نفسه مِنَ العبودية حيث وَضَعَهَا مولاهُ، وأَفَرَدَ اللهُ بالربوبية والقُدرة على جميع الأمور والتدبير لها دونَ مَنْ سواه فهذا الذي يكفيه اللهُ ويختارُ له، فَإِنْ غَلَطَ رَجَوْتُ لَهُ أَنْ يتجاوزَ [الله]^(٢) عَنْ غَلَطِهِ إِذَا كَانَ الْغَالِبُ عَلَى قَلْبِهِ تفويضُ جميع الأمور [كلّها]^(٣) إِلَى رَبِّهِ وَالْمُفَوَّضُ^(٤) مَكْتَفِي^(٥) مُسْتَرِيحٌ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَوْلَايَ^(٦) يَقُولُ وَيُخْبِرُ عَنْ قَوْلِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ وَكَيْفَ فَعَلَ بِهِ حِينَ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ، فَقَالَ: **وَأَفَوَّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**^(٧).

قَالَ: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{فَوْقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا}**^(٨) الآية.

قُلْتُ: فَبِمَ^(٩) يَنَالُ التَّفْوِيضُ [لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]^(١٠).

قَالَ: بغيرِ كبيرِ مؤونةٍ في قَلْبٍ، وَلَا تَعَبٍ بَدَنٍ، وَلَا تَعْلِيمٍ مِنْ أَحَدٍ، وَلَا إِنْفَاقٍ مِنْ مَالٍ، وَلَا عَمَلٍ جَارِحَةٍ إِلَّا الْمُنَاجَاةُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِاللِّسَانِ بَعْدَ اعْتِقَادِ

(١) الْمَلَكَةُ: هي صفة راسخة في النفس، ومملكة الشيء تمليكًا، أي جعله ملكًا له.

(٢) الْأَزْهَرُ: اللهُ.

(٣) الْأَزْهَرُ: كلُّها.

(٤) الْمُفَوَّضُ: أي الموكَّل أمره إلى الله سبحانه.

انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. عبد النبي بن عبد الرسول الأحمَد نكري: ج ٣، ص ٣٢١.

(٥) الْأَزْهَرُ: مكْتَفٍ.

(٦) اللهُ سبحانه وتعالى.

(٧) غافر: ٤٤، الآية.

(٨) غافر: ٤٥، الآية.

(٩) فَبِمَ: أداة استفهام مركبة (بِمَ تَكْتُبُ) قوله تعالى: **{فَبِمَ يُبَشِّرُونَ}**، الحجر: ٥٤، الآية.

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عبد الحميد عمر: ج ١، ص ٢٤٧.

(١٠) الْأَزْهَرُ: اللهُ عز وجل.

[القلب] ^(١)، وهو أن يتفكر المرید المؤمن في صغر قدره في نفسه وما أزيل عنها من الطلب لشيء من نفسه أو من غيره إلا ما أعطاه مولاه ^(٢) ومن به عليه؛ فيعقل ^(٣) من صغر قدر نفسه (وما أزيل عنها من الطلب لشيء من نفسه) ^(٤)، (أو من غيره إلا ما أعطاه مولاه) ^(٥).

وضعفها ومهانتها وقلة حيلتها وضعف جميع الخلق ^(٦) ومهانتهم أن يزيدوا أو يحدثوا ^(٧) من فعل خيرا وصرف مكرها إلا ما دبره المولى الكريم، ويتفكر ويتذكر أن الرب هو القادر [وأنه لا إله] ^(٨) إلا هو ^(٩)، له الذي لا يكون ^(١٠) إلا ما أراد ودبر، وأنه لا يعجزه شيء أراد، وأنه جميع العباد لا ينالون خيرا إلا من عند ربهم، ولا يصرفون عن أنفسهم سوا ^(١١) إلا ما صرفه عنهم.

(١) الأزهر: القلب.

(٢) الأزهر: من.

(٣) فيعقل من العقل: ضد الجهل، سمى عقل الإنسان وهو تمييزه الذي به فارق جميع الحيوان عقلا لأنه يعقله.

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي: ج ١، ص ١٦٠.

(٤) الأزهر. لم ترد فيها: (ج.س.).

(٥) جاءت الأقواس كما في مخطوطة: (الأصل)

(٦) الأزهر: الخلاق.

(٧) الأزهر: إنهم لا يريدون أو يحدثون.

(٨) الأزهر: وأنه لا إله.

(٩) إلا هو: هو الله سبحانه، قال تعالى: {لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، البقرة: ٢٥٥، الآية.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد عيم الإحسان المجددي البركتي: ج ١، ص ١٢.

(١٠) الأزهر: يكون.

(١١) سوا، سوء، تعني جهنم، والسوء نعت لكل شيء رديء.

انظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. محمد بن يوسف بن علي: ج ١، ص ١٥٣. العين. الفراهيدي: ج ٧، ص ٣٢٧.

فإذا عقل ذلك علم أنه^(١) جهل منه أن ينظر إلى نفسه أو إلى أحد سوى مولاه، فقال في نفسه: ألجأت أموري كلها إلى ربي المالك لا مالك لها سواه، ولا أنتظر ولا أتكلم ولا أمل ولا أخاف ولا أحذر غيره.

فالمريد ينال التفويض بهذه المعرفة عن هذه الفكرة والتذكر كما وصفت لك.

قلت: فما يؤرث^(٢) الله المفوض إليه الأمور [كلها]^(٣).

قال: زوال جميع هموم الدنيا، وزوال خوف جميع العباد، وزوال الرجا لأحد منهم، وترك التطلع والاستشراف^(٤) لما يكون منهم، وزوال الاتكال^(٥) على حيلة^(٦) نفسه، فلما حل هذا المحل لم يستعمل جارحة من جوارحه تقرباً إلى أحد سواه رجاء منفعه منه، ولا دفع ضرر عنه، ولا [لا]^(٧) فقر واستغنى [بالله]^(٨).

قلت: وكيف يجوز له طلب معاش أو اهتمام لأمر دينه أو معاتبة لنفسه على ما صنع أو عزم على طاعة أو معاش يقوم له، وقد فوض أمره إلى الله تعالى وبرأ نفسه من تدبير شيء من أمره.

(١) الأزهر: أن.

(٢) يؤرث أصلها الورثة، والإرث: وهو الحصول على شيء من غير تعب، قوله تعالى: **وَأُورَثَهَا قَوْمًا آخَرِينَ** {الدخان: ٢٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٦٣.

(٣) الأزهر: كلها.

(٤) الاستشراف: هو التشرّف للشيء التطلع والنظر إليه، وفي الحديث: «استشرف لهم ناس»، أي رفقوا رؤوسهم وأبصارهم بالتعجب له.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٩، ص ١٧٢.

(٥) الاتكال: أي يكل الأمر إلى غيره، ويتوانى ولا ينهض بالأمر أي اعتمد، ومنه حديث الدعاء: «لا تكلني إلى نفسي طرفه عين فأهلك».

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ١١، ص ٧٢٥.

(٦) الأزهر: حياة.

(٧) الأزهر: لا.

(٨) الأزهر: بالله.

قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يُعَاتَبَ نَفْسَهُ عَلَى تَفْرِيطِهَا وَتَعَذُّلِهَا^(١) عَلَى ذُنُوبِهَا
اتِّبَاعًا لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَصِرْ إِلَى ذَلِكَ
إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، فَبِعَثُّهُ وَوَفَّقَهُ عَلَى عَذْلِ نَفْسِهِ وَلَذَّتْهَا
وَقَدَّرَ لَهُ ذَلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ.

وكذلك إِنَّ عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ لآخرتهِ أو طلب معاشٍ^(٢) يَقْوِيهِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ لَمْ
يَعْزَمَ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْهِ^(٣)، وَلَكِنْ مَرَّ^(٤) بِالْعَزْمِ عَلَى مَا يَقْرُبُ إِلَى مَوْلَاهُ
مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعَاشٍ لَا تَقُومُ الطَّاعَةُ إِلَّا بِهِ مِنْ قَوَامٍ^(٥) أَوْ قُوَّةٍ عَلَى قُرْبِهِ إِلَى رَبِّهِ،
فَهُوَ قَبْلَ أَنْ يَعْزِمَ يَتَكَلَّفُ^(٦) الْعَزْمَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ التَّكَلُّفَ مِنْ مَوْلَاهُ هُوَ^(٧)
مَنْ^(٨) بِهِ عَلَيْهِ.

(١) الأزهر: ويعزلها.

تَعَذَّلَهَا أَصْلُهَا الْعَذْلُ: عَذَلَ يَعْذِلُ، وَهُوَ اللَّوْمُ، وَالْعَذَالُ الزَّجَالُ، وَالْعَذَلُ النِّسَاءُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٩، ص ١٢٠. انظر العين. الفراهيدي: ج ٢، ص ٩٩.

(٢) الأزهر: معاشًا.

(٣) القصد هو الله عز وجل.

(٤) الأزهر: مَنْ الله.

مَرَّ: الْمُرُورُ، وَ (مَرَّ) عَلَيْهِ وَمَرَّ بِهِ مِنْ بَابِ رَدَّ أَيْ اجْتَنَزَ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٥، ص ١٦٥.

(٥) (قَوَامٌ) نِظَامُهُ وَعِمَادُهُ، وَامْتِلَاكُهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)،
النِّسَاءُ: ٥، الْآيَةُ.

انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن القاسم بن محمد بن بشار: ج ١، ص ٣٣٥.

(٦) يتكلف من الكلف: شدة الحب والمبالغة فيه،

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحَارِي: ج ٤، ص ١٢٥.

(٧) الأزهر: فهو.

(٨) هي المنة.

فإذا عَزَمَ عِلْمٌ أَنَّ الْعَزْمَ هو من تقدير الله عزَّ وجلَّ له، وإذا طلب رزقًا أو طاعةً فمَوْضُ (١) إلى مولاہ اُنْ يَقْدَرُ ذلك له (٢)، فإن خَطِرَ [لہ] (٣) [لہ] (٤) خاطرٌ (٥) يدعوہ إلى رجاءِ حيلتہ، أو تدبیر، أو معونةِ أحدٍ من خلقِ الله، نفى ذلك ورجع إلى انتظارِ المقدورِ مِنْ رَبِّه فهو في طلبه كأنه ليس يطلبُ.

لَأَنَّ أَهْلَهُ (٦) اُنْ [إِلَّا] (٧) يَتَمَّ لَهُ ذلك من قِبَلِ نفسه، أو مِنْ قِبَلِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَنْ قَلْبِهِ زائل لا يلزَمُ قَلْبُهُ خَوْفٌ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ مِمَّا يَخَافُهُ، أو يَكْرَهُ أَنْ يَقَعَ بِهِ وَلَا يَلْزَمُ قَلْبُهُ طَمَعٌ فيما عند غير الله عزَّ وجلَّ لِأَمْرٍ كَانَ إِلَى الْخَطَرَاتِ (٨)، بِذَلِكَ لَا يَنْفِيهَا (٩) إِلَّا بِذِكْرِ قَدْرِ مولاہ (١٠)، وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِيَدِهِ.

قلتُ: كيفَ سَمِيَتْهُ تفويضِ إِبْجَاءٍ وَزَعَمْتَ أَنَّ الْمُفَوِّضَ هو الْمُتَنَظِّرُ النَّاظِرُ إِلَى رَبِّهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ، وَلَمْ تُسَمِّهِ حُبَّةً وَلَا رَضًى وَلَا سُرُورًا؟

قَالَ: لَأَنَّ التَّفْوِیْضَ قَبْلَ نَزُولِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لَمْ يَكُنْ فَوْضٌ فِيهِ الْمُفَوِّضُ،

(١) الأزهر: فوض.

(٢) الأزهر: له ذلك.

(٣) خَطَرٌ: الْقُدْرُ وَالْمَكَانَةُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج ٢، ص ١٩٩.

(٤) الأزهر: له.

(٥) الخاطر: راهنة بِيَالِهِ مِنْ بَابِ دَخَلَ، وَ (أَخْطَرَهُ) اللَّهُ بِبِيَالِهِ.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري: ج ١، ص ٢٥٥.

(٦) الهمُّ: الْحُزْنُ، وَمَا هَمَمْتُ بِهِ مِنْ أَمْرٍ فِي نَفْسِكَ.

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي ج ٥، ص ٢٤٨.

(٧) الأزهر: إلا.

(٨) الْخَطَرَاتُ: جَمْعُ خَطَرَةٍ، وَهِيَ مِنْ خَطَرَ الشَّيْءُ فِي قَلْبِهِ.

انظر: طلبية الطلبة. نجم الدين النسفي: ج ١، ص ٦٧. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. محمد بن علي ابن القاضي: ج ١، ص ٧٥٣.

(٩) يَنْفِيهَا مِنْ يَنْفِي: أَي تَنْحَى، وَدَفَعَهُ وَأَزَالَهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٥، ص ٣٣٦.

(١٠) قدر الله عز وجل.

فلما كَانَ تَفْوِيضًا فِيهَا يَسْتَقْبِلُ سَمِيَّتَهُ إِجْلَاءً، وَبَعْدَ الْإِجْلَاءِ [سَمِيَّتُهُ] اِنْتِظَارًا
لَأَنَّهُ^(١) [نَظَرَ إِلَى]^(٢) مَوْلَاهُ لَا إِلَى غَيْرِهِ، وَالرِّضَا وَالسَّرُورَ [يَكُونُ]^(٣)
بِمَا قَدْ نَزَلَ بِهِ [مِنْ]^(٤) الْقَضَاءِ^(٥) وَالْقَدْرِ، وَالرِّضَى فِي الْمَكْرُوهِ وَحَدَهُ^(٦)
بَعْدَ وَقُوعِ الْقَضَاءِ، وَرُويَ عَنْ عِمَارٍ^(٧) عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ: «وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ»^(٨)، فَأَمَّا قَبْلَ الْقَضَاءِ^(٩) فَإِتِمَا
هُوَ نِيَّةُ الرِّضَا إِنْ نَزَلَ بِهِ الْمَكْرُوهُ، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي *كِتَابِ الرِّضَا*^(١٠).

(١) الأزهري: سميته انتظاراً لأنه.

(٢) الأزهري: إلى.

(٣) الأزهري: يكون.

(٤) الأزهري: من.

(٥) الأزهري: قضاء.

(٦) وَحَدَهُ: أي أوحده معناه لا يداخله فيه أحد، الإيمان بالله وحده، والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد.
انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن بشار: ج ١، ص ١٤٩. الإبانة في اللغة العربية.
سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: ج ٥، ص ١٢٥.

(٧) عمار بن ياسر: ابن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الوديم، وقيل بين قيس والوديم
حصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف، عدة أحاديث: ففي مسند بقي له اثنان وستون حديثاً، ومنها في
«الصحيحين» خمسة، روى عنه: ابن عباس وأبو موسى الأشعري، وأبو أمامة الباهلي، وجابر بن
عبد الله، ومحمد بن الحنفية، قال رسول الله (ص): لم يكن نبي قط إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء
وزراء، وإني أعطيت أربعة عشر: حمزة، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وجعفر، وحسن، وحسين، وابن
مسعود، وأبو ذر، والمقداد، وحذيفة، وعمار، مات في صيفين سنة ٣٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٤٠٧.

(٨) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. نور الدين الملا الهروي: ج ٥، ص ٤١٤. كنز
العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي بن حسام الدين: ج ٢، ص ١٧٤.

(٩) الأزهري: قضا.

(١٠) كتاب الرضا، ورد كمخطوطة في مكتبة (Nagpur. الهندية)، (١٣. ١)، رقم ٨٢٠، كتبت
المخطوطة سنة ٦٢١هـ. نشرها كمحقق لها الكاتب O. Spics. في مجلة إسلاميكا، العدد ٦،
ص ٢٨٣. ٢٨٩، سنة ١٩٣٤.

انظر: تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٦. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١،
ص ١١٨.

قلتُ: فلمَ لا سَمِيئَتُهُ التفويضَ توكلًا وهو في مستقبلِ الأشياءِ؟

قالَ: لأنَّ التفويضَ عَن التوكُّلِ، والتوكُّلُ عَن الثَّقَةِ [بِهِ] ^(١) فإذا وثَّقَ توكلَ، وإذا توكلَ فوَّضَ المفوَّضِ وهو الملتجئُ إلى الله عزَّ وجلَّ أمورُهُ عَن التوكُّلِ والثَّقَةِ بِهِ منتظرٌ ^(٢) لمواقعِ القضاءِ والقَدْرِ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِ أَنَّ يَنْزَلَ القضاءَ والقَدْرَ بما يَحِبُّ ويَأْمَلُ الصَّنْعَ واللطفَ لَهُ ^(٣).

(١) الأزهر: بِهِ.

(٢) الأزهر: انتظار.

(٣) الأزهر: بِهِ.

مسألة في معرفة النفس

قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِزْرَاءِ^(١) عَلَى النَّفْسِ، كَيْفَ هُوَ؟

قَالَ: مَعْرِفَتَكَ بِغَدْرِهَا^(٢) وَسُوءَ رَغْبَتِهَا وَأَفْعَالِهَا، وَمَعْرِفَتَكَ بِقَدْرِهَا أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ بُنِيَتْ فِي طِبَائِعِهَا وَهَيْئَتِهَا، وَكَيْفَ اسْتَنْقَلَتْهَا^(٣) لَطَرِيقِ نَجَاتِهَا^(٤) مِنْ غَيْرِ بَغْضٍ لِلنَّجَاةِ، وَلَكِنْ كَرَاهِيَةً لِحَمْلِ الْمُنْ [وكرَاهة]^(٥) تَرَكُ^(٦) مَحْبُوبِهَا^(٧) مِنْ عَاجِلِ^(٨) الدُّنْيَا، وَكَيْفَ اسْتَخْفَفَهَا لِمَا فِيهِ هَلَكْتُهَا^(٩) مِنْ غَيْرِ حُبِّ الْهَلَكَةِ^(١٠) فِي

(١) الأزهري: الإزراء.

والإزراء: التهاون بالشيء.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. الحموي: ج ٥، ص ٢٧٨٨.

(٢) الأزهري: بقدرها.

(٣) اسْتَنْقَلَتْهَا مِنْ اسْتَنْقَلُ: الَّذِي قَدْ اسْتَنْقَلُ نَوْمًا، نَامَ فَسَالَ لُغَابِهِ.

انظر: المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده: ج ١، ص ٤٩٤.

(٤) نَجَاتِهَا أَصْلُهَا نَجَاةٌ: إِذَا سَلِمَ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ١٠، ص ٦٥٠٣.

(٥) الأزهري: كراهة.

(٦) الأزهري: لترك.

(٧) الله سبحانه وتعالى.

(٨) عَاجِلٌ: هِيَ مَوْتٌ رُغَافٌ، وَالزَّعَافُ الْكَذِبُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٣، ص ٨.

(٩) الأزهري: هلاكها.

(١٠) الْهَلَكَةُ: أَيِ هَالِكٌ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق: ج ٧، ص ٤٠٧.

آخرتها، ولكن بمفارقة لذاتها ومُجانبة هواها في غير عاجلِ دُنياها^(١).

هذا مع إقرارها بأنَّ ثواب الآخرة وعقابها أعظمُ وأبقى، وأنَّ محبوب^(٢) الدُّنيا ومكروها الدُّنيء^(٣) الفاني^(٤) هي تُؤثِّر بعد العِلْم والمعرفة بذلك [الدنيء]^(٥) الفاني على العظيم الباقي^(٦) من غير جحودٍ منها للعظيم الباقي، ولكن لتعجيل دُنيا من لذة تصيبها أو راحة من مكروه نالتُه، أو يشغلها عن محبوبها ويعلم أنَّ طبعها قائمٌ يطلب^(٧) ما يوافقها من الدُّنيا لا يغفلُ عن ذلك طرفه عين، تتقلب من^(٨) الطلب بقدر الأسباب والحاجات إذا نالت ما تريد من شيءٍ تعلقت بآخر لا تنفك دائمة من ذلك ومَراذِها^(٩) [ما]^(١٠) هي عليه قائمة.

وجوارحُها له مُدركةٌ وهي لا تنسى ما تهوى ولا تتركُه طرفه عين حتى

(١) الأزهر: دنيا

(٢) الأزهر: محبوبات.

(٣) الأزهر: دنيء.

الدنيء: الخبيث، الخبيثُ البُطنُ والفرج.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٧٨.

(٤) الأزهر: فاني.

الفاني: ذهب قوته إذ استهلكت.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٣٢٩.

(٥) الأزهر: الدنيء.

(٦) الله سبحانه وتعالى.

(٧) الأزهر: يطلب.

(٨) الأزهر: يتقلب في.

(٩) مرادها: أصلها مَرَاد وهي رمال مُنْبِطحة لا تُبَت فيها، ومنه للمرأة التي لا تلد عاقر.

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٤١٩.

(١٠) الأزهر: ما.

تَقْصُرُ^(١) قَصْرًا وَتَجْبُرُ^(٢) جَبْرًا، وَيُحَالُ^(٣) بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالَّذِي بِهِ تَقْصُرُهَا^(٤) وَتَجْبُرُهَا لَيْسَ هُوَ حَاضِرًا تَدْرُكُهُ فَتَخَافُهُ أَوْ تَأْمَلُهُ، وَلَكِنَّهُ غَائِبٌ عَنْهَا فَلَا تَنَالُهُ إِلَّا بِالتَّكْلُفِ، وَتَرْدَادُ^(٥) الْفِكْرِ فِيهِ لِعَظِيمِ قَدْرِهِ، وَلَا يَنَالُ التَّكْلُفُ لَذَلِكَ إِلَّا بِالتَّيَقُّظِ وَتَرْكِ إِشْغَالِهَا بِلَذَائِهَا؛ فَحَقُّ عَلَى الْعَاقِلِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ أَرَادَ نَجَاتَهَا أَنْ لَا يَغْفَلَ التَّيَقُّظَ وَلَا يَدَعَ التَّفَكُّرَ وَلَا يَغْفُلَ عَنْهَا وَلَا يَأْمَنُهَا، [بَلْ]^(٦) وَيَزِيلُ حَسَنَ الظَّنِّ عَنْهَا^(٧) وَيُسْرِعُ إِلَيْهَا بِالتَّهَمِّ إِذَا سَارَعَتْ إِلَى طَلَبِ النِّجَاةِ.

إِذَا كَانَ يَعْرِفُ مِنْهَا خِلَافَ ذَلِكَ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهَا وَسُوءِ رَغْبَتِهَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَرَفَهَا مُسْتَثْقَلَةً لَطَرِيقِ النِّجَاةِ، مُسْتَخْفَةً^(٨) لَطَرِيقِ الْهَلَكَةِ، [وَأَنَّ]^(٩) لَنْ تَنْفَادَ إِلَى سُبُلِ النِّجَاةِ إِلَّا بِالْقَصْرِ^(١٠) وَالْجَبْرِ وَمَعَ انْقِيَادِهَا تَجَاذِبِهِ^(١١)، فَإِنْ مَنَعَتْ الْمَجَادِبَةَ^(١٢) طَلَبْتُ أَنْ تَجْعَلَ سُبُلَ النِّجَاةِ سُبُلَ الْهَلَكَةِ، فَطَلَبْتُ التَّصْنَعَ بِالطَّاعَةِ

(١) الأزهري: تقصر قسراً.

تَقْصُرُ: يَدُلُّ عَلَى أَلَّا يَبْلُغَ الشَّيْءُ مَدَاهُ وَنِهَائَتَهُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد فارس: ج ٥، ص ٩٦.

(٢) تجبير من جبر: وَهَذَا مِنْ أَحَدِ مَا جَاءَ عَلَى فِعْلَتِهِ، فَعَمِلَ، جَبَرَ الْعَظَمَ جَبُورًا.

انظر: جمهرة اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ٢٥٦.

(٣) يُحَالُ: الَّذِي يَقِيلُ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق: ج ٢٨، ص ٢٨٣.

(٤) الأزهري: تقصرها.

(٥) تَرْدَادٌ مِنْ تَرَدَّدَ، تَرَدَّدَ: تَرَجَّعَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْآءَ}، الْقِصَصُ: ٣٤، الْآيَةُ.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده: ج ٩، ص ٢٦٨.

(٦) الأزهري: بل.

(٧) الأزهري: بها.

(٨) مستخفة من استخفَّ: وَهِيَ مُسْتَنَزَّةٌ.

انظر: تهذيب اللغة. : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: ج ٧، ص ٢٤٣.

(٩) الأزهري: و.

(١٠) الأزهري: تقصر.

(١١) الأزهري: تحاربه.

(١٢) الأزهري: المحاربة.

والعُجْبُ بِعَظِيمِ النِّعْمَةِ وَالتَّكْبِيرِ بِكَثِيرِ الْمُنَّةِ وَالْحَسَدِ لِمَنْ فَضَّلَ عَلَيْهَا.

وَالْغَرَّةُ لِمَنْ لَمْ تَنْقَادْ لَهُ إِلَّا كَارِهَةً، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَقَدْ حَلَّتْ تَهْمَتُهُ وَأَبِيحَ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ بَلْ يَقِينًا^(١) لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ كَذَلِكَ، فَلَا تَدَعِ تَهْمَتَهَا عِنْدَ مُسَارَعَتِهَا^(٢) إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ حَتَّى تَوْفِّقَهَا وَتَفْتَشُهَا أَنْ لَا^(٣) تَكُونَ أَضْمَرَتْ فِيهِ بَلِيَّةً^(٤) لَتَنَالَ عَاجِلَ دُنْيَاهَا.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمُكَارِهِ وَالنَّارُ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَطْلَعَ الْحِجَابَ وَقَعَ مَا وَرَاءَهُ»، يَعْنِي مَنْ جَاوَزَ^(٥) حِجَابَ النَّارِ وَقَعَ فِيهَا؛ لِأَنَّ حِجَابَهَا الشَّهَوَاتُ، وَمَنْ جَاوَزَ حِجَابَ الْجَنَّةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّ حِجَابَهَا الْمَكْرُوهَاتُ، فَمَنْ تَحَمَّلَ الْمَكْرُوهَاتِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَمَنْ أَتَى الشَّهَوَاتِ دَخَلَ النَّارَ إِلَّا أَنْ يَغْفُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ عِبَادَهُ بِأَنْ يَتَحَمَّلُوا الْمَكْرُوهَ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَأَمَرَهُمْ بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ حَتَّى يَنْجُوا مِنَ النَّارِ، وَقَالَ: ثَلَاثٌ خِلَالٍ يَلْزُمُهَا قَلْبُكَ:

أَوَّلُهَا: الْيَقِينُ^(٦) بِأَنَّ الْمَقْدُورَ^(٧) يَأْتِي وَإِنْ لَمْ يُقَدَّرْ لَا يَأْتِي، فَمَنْ أَيْقَنَ بِذَلِكَ وَرَثَ اللَّهُ قَلْبَهُ خَصْلَتَيْنِ أَحَدَهُمَا:

أَنْ يَأْمَنَ قَلْبُهُ أَنْ يَفُوتَهُ مَا قَدَرَ لَهُ.

(١) الأزهري: يقينًا.

(٢) الأزهري: منازعتها.

(٣) الأزهري: لثلاث، في اللغة العربية هي تعطي نفس المعنى.

(٤) بليّة من البلوى: والبلاء، في الخير والشر. وَقَعَ فَلَانٌ فِي وَرْطَةٍ وَفِي بَلِيَّةٍ وَفِي هُوَةٍ.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٨، ص ٣٤٠.

(٥) الأزهري: جاوزَ.

(٦) اليقين: إزالة الشك، قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ}، الحاقة: ٥١، الآية.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ٦، ص ٥١٠.

(٧) المَقْدُورُ: المَقْدُورُ وَالْقُدْرَةُ كِلَاهُمَا وَقَعَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ.

انظر: الكليات. أيوب بن موسى الحسيني القريمي: ج ١، ص ١٦١.

والثانية: أَنْ يَبَاسَ أَنْ يَنَالَ مَا لَمْ يَقْدِرْ لَهُ، فَمِنْ لَزِمَ ^(١) قَلْبُهُ الْأَمْنُ أَنْ لَا يَفُوتَهُ رِزْقُهُ وَإِلَّا يَبَسَ أَنْ يَنَالَ مَا لَمْ يَقْدِرْ لَهُ، قَلَّ هَمُّهُ وَغَمُّهُ وَخُضُوعُهُ لِلخَلْقِ وَالْمَدَارَةِ هُمْ لِأَنْ يَنَالَ بِهِمْ مَنْفَعَةٌ، فَهَذَا الْغِنْيُ بِاللَّهِ.

والخَلَّةُ الثانيةُ: الْحَذَرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ [لَا] ^(٢) يَغْفَلَ [عَنْهُ] ^(٣) فَيَزِلُّ ^(٤) فَيَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ ^(٥)؛ لِأَنَّ الْحَذَرَ يَوْقُظُهُ وَالتَّيَقُّظُ يَذَكِّرُهُ وَالذِّكْرُ يَنْبَهُهُ حَتَّى يَرِاقِبَ [مَوْلَاهُ وَ] ^(٦) مَلِكُهُ.

الْخَلَّةُ الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ إِطْلَاعِ اللَّهِ ^(٧) عَزَّ وَجَلَّ فِي ضَمِيرِهِ وَجَوَارِحِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يورثُهُ الْحَيَاءُ، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ ^(٨) النَّظَرَ وَخَافَ [مِنْ] ^(٩) الْمُقْتِ إِن رَكَنَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ مَا فِيهِ النِّقْصُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَرِّمًا اسْتَحْيَا ^(١٠) مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ^(١١) أَنْ يَرَاهُ مُقْصِرًا عَمَّا يَحِبُّ مَوْلَاهُ مَعَ مَا قَدْ اسْتَوْدَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَعَرَفَهُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرِهِ وَكِبَرِيَاءِ جَلَالِهِ.

(١) الأَزهَر: أَلْزَمَ.

(٢) الأَزهَر: لَا.

(٣) الأَزهَر: عَنْهُ.

(٤) فَيَزِلُّ مِنْ يَزِلُّ: زَلِقَ.

انظر: المحكم والمحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ٩، ص ٦.

(٥) الأَزهَر: عَيْنَ اللَّهِ.

(٦) الأَزهَر: مَوْلَاهُ وَ.

(٧) الأَزهَر: الرِّبَ.

(٨) ذَكَرَ مِنْ يَتَذَكَّرُ: أَيُّ قَوْلِهِ تَعَالَى: لِيَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأُنْثَى لَهُ الذِّكْرُ، {الفجر: ٢٣، الآية.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ١١، ص ٣٨٠.

(٩) الأَزهَر: مِنْ.

(١٠) الأَزهَر: اسْتَحْيَى.

(١١) الأَزهَر: عَزَّ وَجَلَّ.

وجملته ذلك أَنْ تَعُدُّو^(١) إِلَى سَوْكَ وَأَنْ تَكُونَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ فِي سَوْقٍ كُنْتُ أَوْ غَيْرَهَا، فَتَلْزِمُ قَلْبَكَ الْيَقِينَ وَالْحَذَرَ وَذَكَرَ الْإِطْلَاعَ بِالنَّظَرِ، فَبِالْيَقِينِ تَسْتَرِيحُ وَبِالْحَذَرِ تَتَّقِظُ، وَبِذَكَرِ النَّظَرِ تَسْتَحْيِي مِنَ النَّاطِرِ الْأَعْلَى جَلَّ وَتَبَارَكَ وَتَعَالَى^(٢).

وَقَالَ^(٣): يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ إِذَا رَأَى الْقِسْوَةَ فِي قَلْبِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا مِنَ الرَّانِ^(٤) [عَلَى قَلْبِهِ]^(٥) [مِنْ سَوْءٍ]^(٦) عَنْ فَعْلِهِ؛ فَيَخَافُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا حَجَبَ قَلْبُهُ عَنْهُ بِالرَّانِ وَالْقِسْوَةِ أَنْ يَحْجِبَهُ غَدًا عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ بَأَنَّهُ عَاقِبَ مَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ وَلَايَتِهِ بِحَجَبِ قَلْبِهِ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا وَحَجَبِ بَصَرِهِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْآخِرَةِ إِلَى جَلَالِهِ.

فَقَالَ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}^(٧)، {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}^(٨).

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ حَجَبَ قُلُوبَهُمْ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا وَحَجَبَ أَبْصَارَهُمْ عَنْهُ^(٩) فِي الْآخِرَةِ، أَنْزَلَهُمَا^(١٠) جَمِيعًا أَحَدُهُمَا يَتْلُو الْآخَرُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَعْنَى ثَالِثٍ.

(١) تَعُدُّو: لِلوَقْتِ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «كَالطَّيْرِ تَعُدُّو خِمَاصًا وَتُرُوحُ بَطَانًا»، أَيُّ تَعُدُّو بُكْرَةً وَهِيَ جِيَاعَ انْظُر: شَمْسُ الْعُلُومِ وَدَوَاءُ كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْكُلُومِ. نَشَوَانُ بْنُ سَعِيدٍ الْحَمِيرِيُّ الْيَمَنِيُّ: ج ٣، ص ١٩٢١.

(٢) الْأَزْهَرُ: جَلَّ وَعَلَا وَتَبَارَكَ.

(٣) الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) الرَّانُ وَالزَّيْنُ، وَهُوَ مَا يَغْشَى الْقَلْبَ وَيَتَخَلَّلُهُ مِنْ ظُلْمَةِ الذُّنُوبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، الْآيَةُ.

انْظُر: مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص ٣٧٣.

(٥) الْأَزْهَرُ: عَلَى قَلْبِهِ.

(٦) الْأَزْهَرُ: مِنْ سَوْءٍ.

(٧) الْمُطَفِّينَ: ١٤، الْآيَةُ.

(٨) الْمُطَفِّينَ: ١٥، الْآيَةُ.

(٩) الْأَزْهَرُ: عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ.

(١٠) الْأَزْهَرُ: لِيَنْزِلَهُمَا.

وإن اعترض للمريد خاطرٌ من الشيطان ليقطعه عن الخوف من الله عز وجل^(١) أن يجل^(٢) به هاتين العقوبتين، فقال: إتما أنزلهما في الكافرين، فليرد^(٣) [بقوله]^(٤) عليه، وإن كان الله [قد]^(٥) أنزلهما للكافرين فإن الله سبحانه لم يؤمن منهما كثيراً من المؤمنين، وقد رأى أحدهما قد حلّ بكثير من المسلمين وقد حذر الله المؤمنين أن يعاقبهم بما يعاقب به الكافرين، فقال تبارك وتعالى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}^(٦)، يعني لأعذبكم بها معهم وقد ذكر الكافرين.

فقال: {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}^(٧)، {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ}^(٨)، ثم أخبر بعاقبة من عبد شيئاً دونه. فقال: {قُلِ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}^(٩)، {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ}^(١٠)، يحذرهم أن يعذبهم بما عذب به الكافرين.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أما تروني أبصر رقيق العيش وقال: أيضاً لغلأمه: يا يرفا أنضج العصيدة بالماء فتكسر حرارة الزيت، فإني

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) جاءت كلمة أن يجل: أنها حُذت لتكون مانعة عن التعدّي.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج ١، ص ١٩٩.

(٣) فليرد من يرد: يقال ذلك لكل من جاء لينفذ فسد سبيله.

انظر: المجموع المغيب في غريب القرآن والحديث. الأصبهاني: ج ١، ص ٧٤٩.

(٤) الأزهر: بقوله.

(٥) الأزهر: قد.

(٦) آل عمران: ١٣١، الآية.

(٧) الزمر: ١٤، الآية.

(٨) الزمر: ١٥، الآية.

(٩) الزمر تكملة: ١٥، الآية.

(١٠) الزمر: ١٦، الآية.

سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَيَّرَ^(١) أَقْوَامًا^(٢) فَقَالَ {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}^(٣)، فَأَنْزَلَهَا فِي الْكَافِرِينَ؛ فَحَذَّرَهَا عُمَرَ أَنْ يَقَعَ بِهِ مَا خَوْفَ اللَّهِ بِهِ الْكَافِرِينَ وَلَمْ يُؤْمَنْ^(٤) مِنْهُ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَلَيْهِمْ^(٥) الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحَذَرُ مِنْهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي دَارِ الْحَزَنِ وَالْعَذَابِ.

وَقَالَ: الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ عَبْدِ آمَنَ بَرِّهِ وَعَرَفَ عَظِيمَ قَدَرِ ثَوَابِهِ وَأَيَقَنَ بِشِدَّةِ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، كَيْفَ تَقَرَّ^(٦) عَيْنُهُ أَوْ يُزِيلَ^(٧) الْحَزْنَ وَالْوَجَعَ قَلْبُهُ وَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي إِدْبَارِ^(٨)، وَأَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ مَعْرِفَتُهُ أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٩) بِهِ وَإِبْعَادُ لَهُ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ عَبْدًا^(١٠) قَدْ عَوَّدَهُ اللَّهُ [عَزَّ]^(١١)

(١) عَيَّرَ: الذي يخلي نفسه وهواها، لا يردعها ولا يزجرها. قولهم: فلان عيَّارٌ.

انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن القاسم بن محمد بن بشار: ج ١، ص ١٥٣.

(٢) انظر: كتاب الزهد. لأبي داود السجستاني: ج ١، ص ٧٥.

(٣) الأحقاف: ٢٠، الآية.

(٤) يُؤْمَنُ: قال تعالى: {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} (التَّوْبَةُ: ٦٢).

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٥، ص ١٤. المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث. الأصبهاني: ج ١، ص ٤٧٢.

(٥) الأزهر: وعلمهم.

(٦) تَقَرَّ: أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ: أَيَّ أَعْطَاهُ حَتَّى تَقَرَّ عَيْنُهُ فَلَا تَطْمَحُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٥، ص ٨.

(٧) يزِيلُ: لزمني فلان لزوم ظله.

انظر: الباب في قواعد اللغة. محمد علي السراج: ج ١، ص ٢٦٢.

(٨) إدبار وهي من دبر: أَي هُوَ تَقْيِضُ الْقَبْلِ، وَدُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ: عَقِبُهُ وَمُؤَخَّرُهُ.

انظر: النظام المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المذهب. محمد بن أحمد الركي: ج ٢، ص ١١٠. المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده المرسى: ج ٩، ص ٣١٠.

(٩) الأزهر: تعالى.

(١٠) الأزهر: عدا.

(١١) الأزهر: عزَّ.

وَجَلَّ ذِكْرُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْفِطْنَةِ^(١) وَفَرَاغَ لِلْقَلْبِ لِمَعَامَلَتِهِ، ثُمَّ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ [عَزَّ]^(٢) وَجَلَّ ذِكْرُهُ وَقَدْ أَبْعَدَهُ فَحَبَسَ عَنْهُ مَا كَانَ يَتَعَاهَدُ بِهِ قَلْبُهُ مِنْ فَوَاضِلِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ بِالْمَعُونَةِ وَالتَّيْيِدِ وَفَرَاغَ الْقَلْبِ عَنِ الْإِشْتَغَالِ بِالْدُّنْيَا، وَالزَّمَّ قَلْبُهُ التَّعْظِيمَ لَهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَشِدَّةَ الْفِرْعِ مِنْهُ عِنْدَ نَسْيَانِهِ [فَحَبَسَ عَنْهُ]^(٣) فَسَلَبَهُ ذَلِكَ^(٤) [إِيَاهُ]^(٥) وَابْتِلَاهُ بِأُضْدَادِهِ بِإِطَالَةِ الْغَفْلَةِ وَكَثْرَةِ النِّسْيَانِ وَالتَّغْمِيزِ^(٦) عِنْدَ تَضْيِيعِ بَعْضِ حَقُوقِهِ حَتَّى صَارَ مَبَاعِدًا عَنْهُ، مَطْرُودًا مِنْ قَرْبِهِ، حَيْرَانًا سَكْرَانًا^(٧) يَطْلُبُ الرِّجُوعَ مَا يَجْعَلُ لَهُ رَبَّهُ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

وَكَيْفَ لَا يَتَعَجَّبُ الْمُتَعَجِبُونَ مِمَّنْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ [مِنْ الْهُوَانِ]^(٨) وَالْمَذَلَّةِ وَالْإِقْصَاءِ وَالبُعْدِ بَعْدَ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ، بَلْ كَانَ الرَّبُّ^(٩) [عَزَّ]^(١٠) وَجَلَّ ذِكْرُهُ يَسَارِعُ إِلَى مَحَبَّتِهِ مِنْ غَيْرِ دُعَاءٍ وَلَا طَلَبٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ قَرِيرُ الْعَيْنِ مَسْرُورُ الْقَلْبِ مُشْتَغَلٌ بِطَلَبِ

(١) الْفِطْنَةُ: الْفَهْمُ.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٧، ص ٤٥٣.

(٢) الْأَزْهَرُ: عَزَّ.

(٣) الْأَزْهَرُ: حَبَسَ عَنْهُ.

(٤) الْأَزْهَرُ: ذَلِكَ سَلَبَهُ.

(٥) الْأَزْهَرُ: إِيَاهُ.

(٦) التَّغْمِيزُ: غَمَضَ عَيْنِيهِ بَدُونِ نَوْمٍ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ١٩٩.

(٧) الْأَزْهَرُ: حَيْرَانٌ سَكْرَانٌ.

سَكْرَانًا مِنْ سَكَرٍ: غَابَ عَقْلُهُ وَإِدْرَاكُهُ، قَالَ تَعَالَى: {لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا}، الحجر: ١٥، الآية. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار: ج ٢، ص ١٠٨٣.

(٨) الْأَزْهَرُ: مِنَ الْهُوَانِ.

(٩) الْأَزْهَرُ: اللَّهُ.

(١٠) الْأَزْهَرُ: عَزَّ.

الدُّنْيَا لَا يَكْتَرُثُ لِمَا فَقَدَ، وَلَا يَحْزَنُ لِمَا سُلِبَ^(١)، وَلَا يَعْثُ^(٢) بِالرَّجُوعِ عَمَّا عَلَيْهِ عُوقِبَ^(٣) وَإِنَّمَا حَزَنُهُ خَطَرَاتُ لَا تَثْبُتُ^(٤) وَتَضَّرَعُهُ بِقَلْبٍ مَشْغُولٍ [بِغَيْرِ مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ]^(٥).

وكيف لا يدوم لهُ الحزن ويستغلُّ قلبُهُ بالله عند الطلب وهو عن الله محبوب ومن القرب منه مطرود قد حل به منه الحرمان، وقد عاقبه بأن سلبهُ كرامة مواهبهِ^(٦) وعزَّ الغنى به؛ فصار مُوَلِّيًا^(٧) عَنْهُ بَعْدَ الْقَبُولِ عَلَيْهِ، مُشْتَغَلًا بقلبه بغير الشغل بربِّه، وأعظم من ذلك كِلَهُ أَنَّهُ لَا يَشْتَدُّ خَوْفُهُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا سَلَبَهُ كَرَامَتَهُ وَعَاقِبَهُ بَغْضَبٍ حَلَّ بِهِ مِنْهُ وَمَقَّتْ لَهُ وَسَقُوطٍ مِنْ عَيْنِهِ، فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ مَنْزِلَتُهُ، (نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حُلُولِ عَقُوبَاتِهِ، وَنَسْأَلُهُ النِّقْلَةَ إِلَى مَا يَحِبُّ وَيَرْضَى بِتَوْبَةٍ تُطَهِّرُ^(٨)) مِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ وَإِقْبَالَ عَلَيْهِ وَالشُّغْلَ بِهِ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَنَسْأَلُهُ أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ سَرِيعًا بِمَنْهٍ^(٩).

ولكن حقَّ الحزنِ والعَوِيلِ^(١٠) والنفسُ معرضةٌ، يا نفسُ قد اطمأنتْ

(١) الأزهري: سلف.

(٢) الأزهري: يعزم.

(٣) الأزهري: عما عوقب عليه.

(٤) الأزهري: لا تثبت.

(٥) الأزهري: بغير من تضرع إليه.

(٦) كرامة مواهبه: أي القرب بالذِّكْر وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٦٦٤.

(٧) مُوَلِّيًا من وَلَّى: أي هَارِبًا، تَوَلَّى: أَدْبَرَ وَذَهَبَ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ٤٠، ص ٢٤٨.

(٨) الأزهري: تطهرنا.

(٩) دعاء للمصنف رحمه الله.

انظر: كتاب معاتبة النفس. الحارث المحاسبى، ت: أحمد عبد القادر عطا: ص ٤١.

(١٠) العويل: يكون صوتًا من غير بكاء، (للصدر منه عويل فيه حشرجة).

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٣، ص ١٢٥.

وَسَكَنتَ، وَكَثِيرًا يَغْلِبُ عَلَيْكَ السُّرُورُ وَشَوَاهِدُ الْمَقْتِ [بَادِيَةٌ عَلَيْكَ] ^(١) مِنْ
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَدَلَائِلُ الْغَضَبِ بَيِّنَةٌ فِيكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِكَ، فَأَنْتَ تَرَيْنَ مِنْ
 اللَّهِ تَعَالَى فِيكَ دَلَائِلَ الْغَضَبِ وَشَوَاهِدَ الْمَقْتِ، ثُمَّ لَا تَكْتَرِثِينَ كَأَنَّكَ لَغَضَبِهِ
 تَسْتَطِيعِينَ وَلِعَذَابِهِ تَحْمَلِينَ، هِيَاهُ إِنَّكَ عَنْ دُونَ غَضَبِ اللَّهِ تَضَعِفِينَ، وَمِنْ
 أَقَلِّ مِنْ أَذَى الدُّنْيَا تَجْزَعِينَ، فَكَيْفَ بِشِدَّةِ غَضَبِ الْجَلِيلِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَلَكِنْ
 عَقُوبَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنَعَتْكَ مِنْ أَنْ تَجْزَعَينَ، فَكَيْفَ يَعْأُ ^(٢) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْ
 لَا يَجْزَعُ مِنْ غَضَبِهِ وَلَا يَتَوَجَّعُ لِأَلِيمِ عَذَابِهِ وَلَا يَقْبَلُ ^(٣) [عَلَى] ^(٤) اللَّهُ بِشُكْرِ ^(٥)
 الدَّوَامِ نَعْمَهُ ^(٦) وَلَا يَنْحَاشُ ^(٧) وَيَهْرُبُ إِلَيْهِ لَمَّا رَأَى مِنْ عَقُوبَاتِهِ فِي الدِّينِ خَاصَّةً
 دُونَ مَعَاشِهِ فِي دُنْيَاهُ.

فَلَمْ يَتَغَيَّرْ لِكَ مَوْلَاكَ عَمَّا كَانَ يُعَاهَدُ ^(٨) بِهِ قَلْبِكَ مِنْ هَيْجَانِ التَّيَقُّظِ وَقُوَّةِ
 التَّنْبِيهِ وَدَوَامِ الذِّكْرِ وَالْجَزَعِ مِنْ نَسْيَانِهِ وَشِدَّةِ الْهَرَبِ وَرُغْبِ الْقَلْبِ مِنْ أَقَلِّ
 اللَّذَاتِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكَ، وَتَأْدِيَةً كَانَ تَنْبِيهُ اللَّهِ مِنْكَ لَكَ وَتَقَرُّبًا مِنْكَ إِلَيْهِ وَتَحَنُّنًا
 مِنْهُ عَلَيْكَ فِي وَقْتِ تَنْبِيهِ قَلْبِكَ عِنْدَ الْغَفَلَاتِ، وَيَمَنَّ عَلَيْكَ بِوُجُودِ الْحَلَاوَةِ فِي
 الطَّاعَاتِ وَشِدَّةِ التَّلَذُّذِ بِالْمُنَاجَاةِ؛ فَأَمْسَيْتِ وَأَصْبَحْتِ مِبَاعِدَةً مِنَ اللَّهِ مَقْصَاةً

(١) الأزهري: بادية عليك.

(٢) يَعْأُ مِنَ الْعِبَاءِ: أَيِ النَّقْلِ، أَيِ لَمْ أَعُدْهُ شَيْئًا، مَا يَعْأُ اللَّهُ بِقُلَانٍ إِذَا كَانَ فَاجِرًا مَاتِقًا.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ١١٨.

(٣) يَقْبِلُ مِنَ الْإِقْبَالِ: أَيِ لَزَمَهُ وَأَخَذَ فِيهِ.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. ابن مرسى: ج ٦، ص ٤٢٧.

(٤) الأزهري: على.

(٥) الأزهري: بشكره.

(٦) الأزهري: نعمائه.

(٧) يَنْحَاشُ: إِذَا لَمْ يَكْتَرِثْ لَهُ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٣، ص ٧٥.

(٨) الأزهري: يتعاهد.

مطرودة^(١) عن بابِه مُنْحَاة^(٢) من قربه، تهادين في الغفلاتِ فلا ينبهك،
ويدومُ بك النسيانُ فلا يوقظك، وتكونُ منكِ الدَّلَّةُ^(٣) بعد الزلَّةِ.

فلا يدومُ لكِ الحزنُ ولا يطيلُ فيك^(٤) الغمُّ، بل قلب^(٥) التنبُّه والتذكير
فيك فصارَ ينبهك ويذكرك، ثمَّ يَحْذُلكِ وَيَحْجُبُكَ عن استعمالِ التذكير^(٦)
وطاعةِ التنبيه^(٧).

فالحالة الأولى: طولُ غفلة؛ لقلَّةِ المبالاةِ لأنَّ^(٨) يَطْلُعُ وتنظر^(٩).

والحالة الثانية: جراحةٌ وإقدامٌ عليه مع التذكيرِ والتنبيهِ [إلى]^(١٠) أَنْ [صارَ]^(١١)
ذلك يباعد منه وَيُحَرِّمُ الخلودَ في جواره، فهل سمعَ السامعونُ بأسوأَ من حالِكِ،
وهل عرفَ العارفونَ أشرَ^(١٢) مِنْ منزلتكِ، ثُمَّ مع ذلكَ الحزنُ عنكِ زائلٌ والغمُّ
لكِ مُبايِنٌ، والتوجُّعُ لكِ غيرُ لازمٍ.

(١) الأزهر: مطرودة.

(٢) مُنْحَاةٌ أصلها نحاء: نَحْيًا: صَبَّرَهُ فِي نَاحِيَةٍ، بمعنى مقام الساقية على الحوض.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد الحسني: ج ٤٠، ص ٤٩.

(٣) الأزهر: الزلَّة.

(٤) الأزهر: بك.

(٥) الأزهر: قلت.

قَلْبٌ: تحويلك الشيء عن وجهه. في الحديث: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ كَابَةِ الْمُقْلَبِ».
انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مُسْلِمِ العَوْنِي الصُّحَارِي: ج ٣، ص ٧١٥.

(٦) الأزهر: التذكير.

(٧) الأزهر: التنبيه.

(٨) الأزهر: بأن.

(٩) الأزهر: وينظر.

(١٠) الأزهر: إلى.

(١١) الأزهر: صار.

(١٢) الأزهر: بأشر.

وقد رآكَ مولاكَ في أسباب الدُّنيا بأضدادِ ذلك كُلِّه، شُغلكِ بطلبِها دائِمْ، تنشطينَ وتقوينَ إذا رأيتِ الزياداتِ في معاشِكَ، وتنكسرِينَ إذا رأيتِ النقصانَ فيه، ولا تفعلينَ ذلكَ فيما بينكَ وبينَ رَبِّكَ إلَّا في أَقلِّ الأوقاتِ، فَقَدْ أَصَبَحْتَ عندَ الله مفتضحة^(١)، ومنَ البُعْدِ مِنْهُ غيرَ مُكرَّثةٍ لأجرَم^(٢)، قد أَصَبَحْتَ وهو عنكَ مُعرَّضٌ، ولكِ مُقصٍ مَباعِدٌ، ولولا التفضُّلُ بالعفوِ والحِلْمِ^(٣) لَسَلَبَكَ جَميعَ نِعَمِ^(٤) الدِّينِ، ولكنَّهُ يَقي^(٥) مِنَ العقوبةِ بالعفوِ تَفَضُّلاً وإِحساناً، مِنْ أَجلِ ذلكَ وَجَبَ حَبُّهُ على المَطيعِينَ والعاصِينَ.

(١) مفتضحة: أصلها فضح انكشاف شيء، وَلَا يَكادُ يُقالُ إلَّا في قَبِيح.

انظر: مقاييس اللغة. حمد بن فارس بن زكرياء القزويني: ج ٤، ص ٥٠٩.

(٢) لأجرَم: لا رد لكلام، ومعنى جرم: كسب.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمَةُ بن مُسْلِمِ العَوْتَبِيِّ: ج ٢، ص ٣٨٠.

(٣) الحِلْمُ: خِلَافُ الطَّيْشِ، قوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}، التوبة: ١١٤، الآية.

انظر: مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج ٢، ص ٩٣.

(٤) نِعَمٌ: بتحريك حرف العين، فهو المَنَّة وهو الإفضال والعطية، نِعَمَ شِعَارُ الضَّجْبِيعِ، نِعَمَ الأُمُّ أُمُّكَ في الغَنَى.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمَةُ بن مُسْلِمِ العَوْتَبِيِّ الصُّحَارِيِّ: ج ٤، ص ٣٧٥. كتاب الألفاظ. محمد بن سهل بن المَرْزُبانِ الكرخي: ج ١، ص ٢٦٥.

(٥) الأَزهَرُ: يَبْقَى.

يَقي: وهي أن يَقي نفسه من اللائمة أو من العقوبة.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد عَمِيمُ الإحسان المجددي البركتي: ج ١، ص ٦٠.

مسألة في الغفلة والنسيان

قال: الغَفْلَةُ^(١) غفلتان والنِّسيان^(٢) نسيانان، فأما أحد الغفلتين:

فغَفْلَةٌ عن نسيان وزوال الذِّكْر وهي أيسرُ الغفلتين، وهي غفلة الخائفين؛ لأنَّهم لا يتعمدون وإن كانوا من أنفسهم بذلك لا يرضون، لأنَّ أكثرَ النسيان وزوال الذِّكْر من قلةِ العناية؛ لأنَّ أقلَّ الناسِ نسياناً لأسباب دينه أشدَّهم عنايةً للقيام بحقِّ ربِّه، وأشدَّهم عنايةً بذلك أشدَّهم تعظيماً لربِّه، وأشدَّهم تعظيماً لربِّه أكثرهم معرفةً بتعظيم قدرِ ربِّه، وأكثرهم معرفةً بتعظيم قدرِ ربِّه أدومهم فِكْراً وألحهم^(٣) على الذِّكْر والنظر في معاني صفاته العليا وأسمائه الحسنى ونعمائه التي قد عمَّت الدين والدنيا.

وأما الغفلة الثانية: وهي أعظمُ الغفلتين، ولا تكاد تكون إلا من مجترئ^(٤) على ربِّه في ساعة غفلته وهي الغفلة التي معها الذِّكْر وزوال النسيان، ولم يغفل؛ لأنه لم يعلم بل العلم معه قايم^(٥)، أن ذلك لا يرضي الله عز وجل وإنما سُمِّيَ

(١) غفلة: التَّغْمُدُ، (أَغْفَلَ) الشَّيْءَ تَرَكَهُ عَلَى ذِكْرٍ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا}، الكهف: ٢٨، الآية.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٤، ص ٤١٩.

(٢) النِّسيان: هي الغفلة عن معلوم في غير حالة السَّنة.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ج ١، ص ٣٣٧.

(٣) وألحهم من الإلحاح: الإقبال على الشيء لا يفتر عنه أي دام به.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٣، ص ٢٩.

(٤) مجترئ أصلها اجتبرأ: أي أقدم، تناول.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ١، ص ١٧٠.

(٥) الأزهر: قائم.

قايم: وهي جمع للقائم، كما في ميسم مواسم.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ١١، ص ٧١٥٨.

فَعَلُهُ عَنْ غَفْلَةٍ؛ لِأَنَّهُ غَفَلَ عَنْ تَعْظِيمِ قَدْرِ مَنْ يَعْصِي ^(١) وَقَدَّرَ شِدَّةَ عِقَابِهِ؛
 فَلِذَلِكَ سُمِّيَ غَافِلًا. وهذه الغفلة وإن كان معها الذِّكْرُ بِمَعْرِفَةِ مَا يَعْمَلُ فَإِنَّ
 قَلْبَهُ غَافِلٌ مَحْجُوبٌ ^(٢) عَنِ الْآخِرَةِ، فَمِنْ ثَمَّ ^(٣) سُمِّيَتْ غَفْلَةً. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
 اللَّهِ [عز] ^(٤) جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِمَنْ سَخَطَ عَلَيْهِ يُعِيرُهُ ^(٥) بِغَفْلَتِهِ يَوْمَ الدِّينِ، فَقَالَ: {لَقَدْ
 كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ} ^(٦)، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ لِلْغَفْلَةِ ^(٧)
 غِطَاءً ^(٨) عَلَى الْقَلْبِ فَانْكَشَفَتْ عَنْهُ الْغَفْلَةُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى مَا غَفَلَ عَنْهُ حِينَ
 كَشَفَ عَنْهُ، وَهَاتَانِ الْغَفْلَتَانِ تَكُونَانِ فِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ.

إِلَّا أَنَّهَا مِنَ الْمُؤْمِنِ عَلَى غَيْرِ مَعْنَاهَا مِنَ الْكَافِرِ، الْمُؤْمِنُ عَلَى سَهْوٍ وَنِسْيَانٍ وَهُوَ
 مُقَرَّرٌ بِمَا غَفَلَ عَنْهُ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا عَمَلَ مِنْ عَمَلٍ لَا يَحِلُّ لَهُ فِي غَفْلَتِهِ أَنَّ ذَلِكَ
 لَا يَحِلُّ لَهُ، إِلَّا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ:

أَحَدُهُمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْسِيَ وَيَسْهَوِ غَافِلًا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ كَانَ
 قَدَّمَ النِّيَّةَ وَالْعَزَمَ [عَلَى] ^(٩) أَنْ لَا يَعْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى ثُمَّ عَرَضَتْ [لَهُ] ^(١٠) الْمَعْصِيَةُ
 فَنَسِيَ نَهْيَ اللَّهِ عَنْهَا وَغَفَلَ عَنِ ذِكْرِ سُوءِ الْعِقَابِ؛ فَغَفَلَ وَعَصَى، وَإِنَّمَا كَانَ مَا

(١) الأزهري: يعصي.

(٢) الأزهري: محجوب غافل.

(٣) الأزهري: ولذلك.

(٤) الأزهري: عز.

(٥) يُعِيرُهُ: ذمته من العار، تستخدم للتعسف.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٩٦.

(٦) ق: ٢٢، الآية.

(٧) الأزهري: الغفلة.

(٨) الأزهري: الغطاء.

(٩) الأزهري: على.

(١٠) الأزهري: له.

أَتَى مِنْ مَعْصِيَتِهِ^(١)، وَإِنْ كَانَ غَافِلًا؛ لِأَنَّهُ سَاهَ^(٢) تَرَكَ شِدَّةَ الْحَذَرِ أَنْ يَلْزِمَ قَلْبُهُ، فَإِذَا عَرَضَتِ الْمَعْصِيَةُ هَاجَ^(٣) الْحَذَرُ فَوْرَتُهُ^(٤) الذِّكْرُ فَاَنْتَهَى، فَلَمَّا تَرَكَ الْحَذَرَ حَتَّى غَفَلَ وَعَصَى لَمْ يَعْذِرْهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ ضَيَّعَ الْحَذَرَ، وَإِنَّمَا ضَيَّعَ الْحَذَرَ مِنْ ضَعْفِ خَوْفِهِ.

وَأَمَّا مَا^(٥) غَفَلَ عَنْ سَهْوٍ عَنْ عَمَلِ الْفَرَائِضِ فَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ:

مَا كَانَ قَدْ حَضَرَ آخِرَ وَقْتِهِ الَّذِي إِنْ لَمْ يُبْتَدِئْ [فِيهِ]^(٦) خَرَجَ الْوَقْتُ كُلُّهُ حَتَّى خَرَجَ الْوَقْتُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ خُرُوجِ الْوَقْتِ يَذْكُرُ الْفَرَائِضَ وَغَفَلَ بَعْدَ اللَّزُومِ لِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَدِئَ فِي أَدَائِهِ، وَمَا كَانَ مَالَمْ يَحْضُرْ آخِرَ وَقْتِهِ الَّذِي إِنْ لَمْ يَتَعَدَّى^(٧) فِيهِ كَانَ مُضِيعًا فِيهَا^(٨) قَبْلَ دُخُولِ آخِرَ وَقْتِهِ حَتَّى خَرَجَ الْوَقْتُ، فَغَيْرَ حَرَجٍ وَلَا آثِمٍ^(٩)؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا»^(١٠) وَقَالَ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي النَّسْيَانُ»^(١١)، وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ أَنَّ النَّاسِيَّ

(١) الأزهري: معصية.

(٢) ساه: من السهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه.

انظر: تهذيب اللغة. : محمد الهروي: ج ٦، ص ١٩٤.

(٣) الأزهري: وهاج.

(٤) الأزهري: أورثه.

(٥) الأزهري: من.

(٦) الأزهري: فيه.

(٧) الأزهري: يبتدئ.

(٨) الأزهري: لها.

(٩) الآثم: اسم الأفعال المبطنة عن الثواب، وجمعه آثام، قال تعالى: {فِيهِمَا إِنْكُمْ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، البقرة: ٢١٩. الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣.

(١٠) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ١، ص ٨٥. صحيح مسلم. محمد بن الحجاج: ج ١، ص ٤٤٧.

(١١) انظر: المستدرك على الصحيحين. النيسابوري ج ٢، ص ٢١٦. سنن ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٠١.

قبل دخول آخر الوقت حتى خرج الوقت فغير عاصٍ.

وآخر^(١) من المؤمنين قد كانت نيته أن يعصي^(٢) الله تعالى فعرضت له المعصية فأتاها ناسياً غافلاً عن سهو لم يذكر نهي الله عز وجل عنها، فهذا عاصٍ في وقت فعله وقبل وقت فعله، إن^(٣) كان فعل [ما]^(٤) قد^(٥) فعله قبل وقت غفلته ثم نوى أن يأتيه فهذا مُصرٌّ^(٦) عاصٍ بإصراره قبل وقت غفلته، لا اختلاف بين العلماء [في]^(٧) أنه عاصي بتلك الغفلة النية، وإنما اختلفوا الحرج أم لا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا همَّ العبد بسيئة ولم يعملها»^(٨) لم تُكتب عليه حتى يعملها»^(٩)، فقال القوم: لم يعن^(١٠) إذا عزم عليها؛ لأنه إذا عزم عليها فهو عاصٍ بنيته قبل وقت فعل معصيته، وعاصٍ أيضاً بفعله المعصية في وقت غفلته.

وقال قوم: ليس بعاصٍ؛ لأنَّ الهمَّ^(١١) هو النية، وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد العبد أن يعمل سيئة لم تُكتب عليه حتى

(١) الأزر: الآخر.

(٢) الأزر: يعصى.

(٣) الأزر: وإن.

(٤) الأزر: ما.

(٥) الأزر: ما قد.

(٦) مُصرٌّ: الثبات، وأصر الرجل على الذنب إصراراً وهو ممتلئ.

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٣٥٨.

(٧) الأزر: في.

(٨) الأزر: ولم يعملها.

(٩) انظر: شرح النووي على مسلم: ج ١، ص ٣١٣. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٥، ص ٢٨٤.

(١٠) يعن: أي يمنع صاحبه من التصرف.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج ١، ص ١٤٤.

(١١) الهم من الهمّة: لغة ما هم به من أمر، وأول العزم هو توجّه القلب وقصده بجمع قواه الروحانية.

انظر: التعريفات الفقهية: ج ١، ص ٢٤٢. تهذيب اللغة: ج ٥، ص ٢٤٨.

يَعْمَلُهَا»^(١)، وقد سَمَّاهَا إِرَادَةً، وقد بَيَّنَّا اخْتِلَافَ الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِ^(٢) *أَخْلَاقِ الْحَكِيمِ*^(٣). فَأَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ عَمَلَ^(٤) تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ مِنْ قَبْلِ ثُمَّ نَوَى أَنْ يَأْتِيَهَا فَهُوَ مُصِرٌّ عِنْدَ الْأَمَةِ عَلَيْهَا عَاصٍ بِنَيْتِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}^(٥).

وَأَمَّا الْغَفْلَةُ الْبَائِنَةُ^(٦): الَّتِي الْعَاصِي ذَكَرَ^(٧) أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَهَى عَنْهَا؛ فَهُوَ ذَاكِرٌ غَافِلٌ، فَإِنَّ غَفْلَتَهُ لَمْ تَكُنْ سَهْوًا وَنِسْيَانًا، وَزَوَالُ الذِّكْرِ أَنَّ^(٨) مَا يَأْتِي مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ إِنَّمَا^(٩) كَانَ غَافِلًا وَإِنْ كَانَ ذَاكِرًا؛ لِأَنَّهُ غَفَلَ عَنْ عَظِيمِ قَدْرِ الْعَذَابِ وَقَدَّرَ الرَّبَّ [تَعَالَى]^(١٠) الَّذِي يَعْصِيهِ، فَلَوْ عَظَّمَ قَدْرَ الرَّبِّ تَعَالَى تِلْكَ السَّاعَةَ بِقَلْبِهِ وَعَظَّمَ قَدْرَ غَضَبِهِ لَمَّا عَصَى، فَإِنَّمَا^(١١) هُوَ غَافِلٌ عَنْ عَظِيمِ قَدْرِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ كَانَ^(١٢) عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَنِ الْآخِرَةِ غَافِلًا، وَإِنْ كَانَ

(١) انظر: صحيح مسلم: ج ١، ص ١١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٤، ص ٣٣٢.

(٢) الأزهري: كتب.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

(٤) الأزهري: فعل.

(٥) آل عمران: ١٣٥، الآية.

(٦) الأزهري: الثانية.

البائنة: وبان الشيء بَيَّنَّا وَلَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل بن سيده المرسى ج ١٠، ص ٥٠٤.

(٧) الأزهري: ذكر العاصي.

(٨) الأزهري: لأنَّ.

(٩) الأزهري: وإنما.

(١٠) الأزهري: تعالى.

(١١) الأزهري: وإنما.

(١٢) الأزهري: وكان.

للمعصية ذاكرًا؛ فلذلك سمي الله عز وجلّ (١) من عصاه (٢) غافلاً، وإن ذكرَ المعصية؛ لأنّه غفلَ عَن قَدْرِ مَنْ يعصيه وعن قَدْرِ غَضَبِهِ وأليم عقابه، فهذه الغفلةُ أعظمُ من الإثمِ وأبينُ في التعجبِ (٣) ممَّنْ غفلَ وهو ناسي (٤)؛ لأنَّ الناسي لعلَّه لو ذكرَ الله تعالى ارْتَدَعَ (٥) وأقلعَ، ولكنَّ هذا الذاكرُ عاصٍ وهو يذكُرُ مَنْ يعصيه مُتَعَمِّدًا مجترأً على رَبِّه، وإِثْمًا اجترأ ولم يَخَفْ ولم يستحي من مولاه؛ لأنَّ قلبه (٦) غفلَ عن عَظِيمِ قَدْرِ رَبِّه وقَدْرِ غَضَبِهِ و[قَدْرِ] (٧) شِدَّةِ عَذَابِهِ.

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) الأزهر: يعصيه.

(٣) الأزهر: فيا للعجب.

(٤) الأزهر: ذاكر.

ناس من النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع، إما لضعف بالقلب، وإما عن الغفلة، قال تعالى: **{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَتْسِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}**، طه: ١١٥، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٠٣.

(٥) ارْتَدَعَ: كفّ وامتنع وتراجع عنه.

انظر: المحيط: ج ١، ص ٣٥.

(٦) الأزهر: القلب.

(٧) الأزهر: قدر.

مسألة في ما يحلُّ من النظر

قُلْتُ: ما يحلُّ لي من النظر إلى الأمة^(١) والحرّة^(٢)؟

قال: إنّ الحرّة يحلُّ النظر منها إلى ما [يحلُّ]^(٣) لها أن تبدي، وقد اختلفوا في قول الله عزّ وجلّ: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}^(٤)، فقال بعضهم^(٥): الوجه والكفين^(٦)، وقال بعضهم: الكحلّ^(٧) والخضاب^(٨) في الكفين، وقال بعضهم: الجلباب^(٩)، وأجمعوا [على]^(١٠) أنّه ليس لها أن تبدي ما سوى الوجه

(١) الأمة: المرأة ذات عبودية. المملوكة تقول أقربت بالأمة.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ١، ص ١٣٦.

(٢) الحرّة: الكريمة الحسبية، أي الكريمة تصبر على الجوع والضر ولا تلتبس المكاسب الدنية، ولا ترضع بالأجرة.

انظر: تصحيح الفصيح وشرحه. عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرَيْسَوَيْه: ج ١، ص ٤٤٢.

(٣) الأزهر: ما يحل.

(٤) النور: ٣١، الآية.

(٥) الأزهر: قوم.

(٦) الأزهر: والكفان.

(٧) الكحلّ: الميل تكحلّ به العين من المكحلة، والكحلّ: مصدره.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٣، ص ٦٣.

(٨) الخضاب: ما يخضب به أي يلون به، خضاب اليمين بالنسبة إلى المرأة إذا كان بالحناء.

انظر: التعريفات الفقهية: محمد عيم الإحسان المجددي البركتي: ج ١، ص ٨٧.

(٩) الجلباب: أوسع من الخمار والطف من الإزار، هي الملحفة التي يتغطى بها فوق الثياب.

انظر: البارغ في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيّن: ج ١، ص ٦٤٧.

(١٠) الأزهر: على.

والكف^(١)؛ فَمَنْ نَظَرَ إِلَى^(٢) مَا [يَحِلُّ]^(٣) لِلْحَرَّةِ أَنْ تَبْدِيهِ لغير شهوة فهو مُباحٌ لَهُ، يعني للشهادة عليها ونحوه وإنْ نَظَرَ عامداً إلى ما عليها أَنْ تَسْتُرَهُ لغير شهوة فلا يحلُّ لَهُ ذلك؛ لأنَّهُ فيها عورة، وإنْ نَظَرَ إلى ما لها أَنْ تَبْدِيَهُ أو عليها أَنْ تُخْفِيَهُ لشهوة فَقَدْ فَعَلَ ما نهى عَنْهُ.

وَأَمَّا الْأَمَةُ فَقَدْ أَبَاحُوا النَظَرَ إِلَى^(٤) الْوَجْهِ، وَالشَّعْر، وَالنَّحْر^(٥)، وَالصُّدْر، وَالْيَدَيْنِ، وَالذَّرَاعَيْنِ، وَالسَّاقَيْنِ؛ فَمَنْ نَظَرَ إِلَى ما أُبِيحَ^(٦) مِنْ ذَلِكَ لغير شهوة فَقَدْ أُبِيحَ ذَلِكَ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى ما عليها أَنْ تَسْتُرَهُ لغير شهوة فلا يحلُّ لَهُ ذلك؛ لأنَّهُ فيها^(٧) عورة، وكذلك ما أُمِرَتْ سِتْرُهُ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى ما لها أَنْ تَبْدِيَهُ بشهوة فلا يحلُّ ذلك، وكذلك الغلام^(٨).

فَأَمَّا^(٩) الشَّهْوَةُ فَلَيْسَتْ هِيَ بِالنِّيَّةِ؛ لأنَّهُ لو ظَفَرَ لَأَتَى ذَلِكَ حَرَامًا مِنْ جِهَةِ الْمُنْكَحِ، تِلْكَ النِّيَّةُ زِيَادَةٌ فِي الشَّهْوَةِ وَذَلِكَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مَّا تُخْفِي الصُّدُورُ،

(١) الأزهر: والكفين.

(٢) الأزهر: من.

(٣) الأزهر: يحل.

(٤) الأزهر: منها.

(٥) النَّحْر: النُّونُ وَالْحَاءُ وَالزَّاءُ. كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ يَنْفَرَعُ مِنْهَا كَلِمَاتُ الْبَابِ. هِيَ النَّحْرُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ وَهُوَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ، وَهِيَ اللَّبَّةُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن القرويني: ج ٥، ص ٤٠٠.

(٦) أُبِيحَ: جَاءَ بِهِ فِي بَابِ الْإِتْبَاعِ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٣، ص ٢٨٨.

(٧) الأزهر: منها.

(٨)، قال رسول الله (ص): «إِذَا زَوْجٌ أَخَذَكُمْ عَبْدُهُ أَمَتُهُ فَلَا يَنْظُرَنَّ إِلَى مَا دُونِ السُّرَّةِ وَفَوْقَ الرُّكْبَةِ».

انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ١٨٧. السنن الكبرى. النسائي: ج ٢، ص ٢٢٦.

(٩) الأزهر: وإما.

ولقوله: {يَعْلَمُ حَائِثَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} ^(١)، فحائِثَةُ الْأَعْيُنِ نَظَرُهَا ^(٢)، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ نِيَّةٌ أَوْ وَقَعَ حَرَامًا، وكذلك فَسَّرَهُ المفسرون، وَلَكِنَّ الشَّهْوَةَ نَظَرُ الْعَبْدِ اسْتِرَاحَةً مِنْهُ لِيَتَلَذَّذَ بِالنَّظَرِ، وَإِنْ لَمْ يَتَوَّ النَّكَاحَ حَرَامًا؛ لِأَنَّ لِكُلِّ جَارِحَةٍ مِنَ اللَّذَّةِ حَظًّا وَنَصِيبًا، وَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِنَّ الْعَيْنَيْنِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَيْنِ تَزْنِيَانِ، وَالرَّجُلَيْنِ تَزْنِيَانِ، وَيُصَدَّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذَّبُ» ^(٤).

فهو في تَلَذُّذٍ بِنَظَرِهِ ^(٥) كَتَلَذُّذٍ بِمَسِّهِ ^(٦)، وَإِنْ لَمْ يَتَوَّ النَّكَاحَ فَإِنَّمَا يَمَسُّ بِيَدِهِ لِيَرْجِعَ ^(٧) إِلَى قَلْبِهِ لَذَّةً مِنْ طِيبِ مَا مَسَّ، وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَنْظُرُ بَعَيْنِهِ لِيَرْجِعَ إِلَى قَلْبِهِ لَذَّةً بِنَظَرِهِ، وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَ اللَّذَّةِ وَالنَّظَرِ إِلَى مَا يَجُوزُ نِكَاحُهُ وَمَا لَا يَجُوزُ نِكَاحُهُ، فَمَنْ نَظَرَ إِلَى ثَوْبٍ حَسَنٍ وَلَمْ يَتَوَّ أَنْ يَلْبَسَهُ وَإِلَى بِنَاءٍ حَسَنٍ لِيَتَلَذَّذَ بِهِ فَهُوَ لَهُ مَبَاحٌ، وَمَنْ نَظَرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ إِلَى مَا يَصْلَحُ مِنَ النَّكَاحِ، مِنَ الْبِلَاسِ فَهُوَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْهِ.

(١) غافر: ١٩، الآية.

(٢) الأزهر: بصرها.

(٣) يَتَوَّ: تَوَيْتُ الشَّيْءَ، إِذَا جَدَدْتَ فِي طَلْبِهِ، وَفِي حَدِيثٍ: «وَمَنْ يَتَوَّ الدُّنْيَا تُعْجِزْهُ»، أَيِ مَنْ يَسْعَ لَهَا يَخْبُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٥، ص ٣٨٤.

(٤) ورد في الحديث: «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَاللِّسَانُ يَزْنِي، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرَّجُلَانِ تَزْنِيَانِ، وَيُحَقَّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذَّبُ».

انظر: السنن الكبرى. للبيهقي: ج ٧، ص ١٤٣. المصنف. عبد الرزاق: ج ٧، ص ٤١٤. مسند البحر الزخار. أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: ج ٥، ص ٣٦٢.

(٥) الأزهر: ببصره.

(٦) مَسَّهُ مِنْ مَسَّ: الْمِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَسِّ الشَّيْءِ بِالْيَدِ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٥، ص ٢٧١.

(٧) الأزهر: لترجع.

مَسْأَلَةٌ فِي نَظَرِ الْفَجَاءِ

قُلْتُ: مَا نَظَرَةُ الْفَجَاءِ مِنْ غَيْرِهَا؟

قَالَ: نَظَرَةُ الْفَجَاءِ هُوَ أَنْ تَكُونَ لَمْ تَقْصِدْ بِقَلْبِكَ إِلَى مَنْظُورٍ إِلَيْهِ مِمَّا تُهِيتَ عَنْهُ؛ فَيَفْجَأُ بِصُرْكَ الْمَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ قَصَدْتَ إِلَيْهِ بِالْنَظَرِ فَتَرَاهُ يَبْصُرُكَ ضَرُورَةً مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ، وَتِلْكَ النَظَرَةُ الَّتِي لَمْ تَعْلَمْ بِهَا فَعَلَيْكَ صَرْفُ بَصْرِكَ تِلْكَ السَّاعَةَ الَّتِي فُجِئاً بِصُرْكَ بَعْدَ نَظَرَةِ الْفَجَاءِ، فَلَا فَصْلَ بَيْنَ الْفَجَاءِ وَبَيْنَ الصَّرْفِ بِإِقْرَارِ الْبَصْرِ إِلَى مَا فُجِئَ^(١) [بِهِ]^(٢)، وَلَوْ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ.

فَإِنْ كَانَ فِيمَا بَيْنَ نَظَرَةِ الْفَجَاءِ وَبَيْنَ الصَّرْفِ فَصْلٌ بِإِقْرَارِ لِلْبَصْرِ، [وَلَوْ]^(٣) بِقَدْرِ طَرْفِ الْعَيْنِ؛ فَإِقْرَارُكَ الْبَصْرَ وَإِنْ خَفَّ، فَنَظَرَةٌ^(٤) ثَانِيَةٌ مُحَرَّمَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَنْظُورَ فَاجِئاً بِصُرْكَ بِلَا عَمَلٍ فَلَا أَنْ تُبَيِّنَ عِلْمَتَ مَا هُوَ، فَإِنْ أَقْرَرْتَ بِصُرْكَ بِقَدْرِ فَتَحِ الْبَصْرِ بَعْدَ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ فَتِلْكَ النَظَرَةُ الثَّانِيَّةُ.

وَقَدْ يَدْخُلُ فِي صَرْفِ الْبَصْرِ عَلَى الْعَمَالِ خَدَعَةٌ أَنْ يَكُونُوا يَرُونَ أَنَّهُمْ عَامِلُونَ فِي صَرْفِ أَبْصَارِهِمْ وَهُوَ مُقَرَّرٌ لَهَا^(٥) بَعْدَ الْفَجَاءِ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ كَالرِّجَالِ يَفْجَأُهُ^(٦) الْمَنْظُورُ إِلَيْهِ فَيَلْفُتُ^(٧) رَأْسَهُ وَرَقَبَتَهُ لِيَصْرِفَ بَصَرَهُ

(١) الْأَزْهَرُ: مَا فُجِئَتْ.

(٢) الْأَزْهَرُ: بِهِ.

(٣) الْأَزْهَرُ: وَلَوْ.

(٤) الْأَزْهَرُ: نَظَرَةٌ.

(٥) الْأَزْهَرُ: لَهُ. [يَتَّبِعِينَ أَنَّ اللَّغَةَ عِنْدَ النَّاسِخِ فِي مَخْطُوطَةِ الْأَصْلِ، هُوَ تَحْوِيلُ الْمَذْكَرِ إِلَى مُؤَنَّثٍ].

(٦) الْأَزْهَرُ: يَفْجِئُهُ.

(٧) يَلْفُتُ: يَلْفُتُهُ إِذَا لَوَاهُ وَقَتَّلَهُ؛ وَلَقَتْ عُنُقَهُ: لَوَاهَا.

انظر: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج ٢، ص ٨٥.

و[هو] ^(١) يكون مع ^(٢) تشنية عنقه أو تنكيسه رأسه أو رفعه طرفه إلى السماء يلمح [المنظور إليه] ^(٣) ببصره في قطعة المسافة، وهو في ذلك عند نفسه متورع ^(٤)، دايب ^(٥)، فيما وجب عليه من ورع بصره البصر وقد نظر بخدعة وهو لا يعلم فليحذرهما العامل، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: «يا علي، لك أول نظرة، فما بال الثانية، وقال [أيضاً] ^(٦) لعلي: لا تتبع النظرة النظرة؛ فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة ^(٧)» ^(٨)، فين النظر الأولى وبين الثانية فصل من المخدوعين بإقرار النظر كما وصفت لك مع [اعتقادهم] ^(٩) الصرف للبصر.

قلت: كيف لي بأن أعلم أنني قد صرقت بصري بلا خدعة تفصل ^(١٠) بين النظرين إذا حسبتها نظرة واحدة وهما نظرتان قبل صر في بصري؟

قال: إن الله تعالى لم يوجب عليك أن تصرف بصرك بالالتفاف ولا ترفع ولا تخفض ^(١١)، إنما هذه أسباب استعان بها المتقون؛ ليسارعوا في

(١) الأزهر: وهو.

(٢) الأزهر: في.

(٣) الأزهر: المنظور إليه.

(٤) متورع من الورع: الكف والانتقاض، العفة.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القرويني: ج ٦، ص ١٠٠.

(٥) دايب من دائب: أي جد وتعب وكل ما أدامته فقد آدابه.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٣٩٦.

(٦) الأزهر: أيضاً.

(٧) الأزهر: وعلبك الثانية.

(٨) جاء في الحديث: «قال لعلي: لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية».

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٤، ص ٢٨. مسند الإمام أحمد. أحمد بن

حنبل: ج ١، ص ١٥٩. الجامع الصحيح. الترمذي: ج ٥، ص ٩٤.

(٩) الأزهر: اعتقادهم.

(١٠) الأزهر: بفصل.

(١١) الأزهر: لا برفع ولا بخفض.

الغَضَّ^(١) ويمسكوا أَبْصَارَهُمْ أَنْ تَغْلِبَ إِلَى النِّظَرِ، وَإِنَّمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ
الغَضَّ وَإِنْ لَمْ تَلْتَفِتْ وَ[إِنْ]^(٢) لَمْ تَنْكِسْ وَلَمْ تَرْفَعْ، وَالغَضُّ كَفٌّ^(٣) عَنْ
الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ تَثْبِيتَ كُلِّ رَفٍّ عَيْنَيْنِ^(٤) يَزِيدُ فِي النِّظَرَةِ الْأُولَى، وَيَكُونُ
ذَلِكَ بِشَيْئَيْنِ:

أحدهما سرعةُ تغميضِ العَيْنِ^(٥) حَيْثُ يُمْكِنُ التَّغْمِيزُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يُمْكِنُهُ
التَّغْمِيزُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَدْ^(٦) مِنَ النَّظَرِ حَيْثُ يَضَعُ قَدَمَهُ إِنْ كَانَ مَاشِيًا، أَوْ كَيْفَ
يَفْعَلُ إِنْ كَانَ عَامِلًا، وَمِنْهُ إِشْغَالُ الْبَصَرِ حَيْثُ فَجَاءَ [الْمَنْظُورُ]^(٧) الشَّيْءَ فَيَشْغَلُهُ
بِغَيْرِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ لئَلَّا^(٨) يَتَبَيَّنَ الْمَنْظُورُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعَيْنَ إِذَا كَانَتْ مَفْتُوحَةً مَعَ صِحَّةِ
الْبَصَرِ تَبَيَّنَتْ الْأَشْيَاءَ ضَرُورَةً، فَإِنْ لَمْ يَشْغَلْهُ بِغَيْرِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ تَزِيدُ فِي الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ
فَلَيْسَ يَنْصَرِفُ عَنِ التَّزْيِيدِ فِي نَظَرَةِ الْفَجَاءَةِ إِلَّا بِتَّغْمِيزِ عَيْنِهِ أَوْ بِإِشْغَالِ بَصَرِهِ
بِغَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا غَمَضَ^(٩) لَمْ يَرَهُ وَلَا غَيْرَهُ، وَإِذَا فَتَحَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ بَدْ مِنْ أَنْ يَتَبَيَّنَ مَا

(١) غَضَّ: إِدْنَاءُ الْجُفُونِ، وَإِذَا دَانَى بَيْنَ جَفْنَيْهِ وَلَمْ يُبْلَقِ.
انظر: العين. الفراهيدي: ج ٤، ص ٤٣١.

(٢) الأزهري: إن.

(٣) كَفٌّ مِنَ الْكَافِ، يَدُلُّ عَلَى قَبْضٍ وَانْقِبَاضٍ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج ٥، ص ١٢٥.

(٤) الأزهري: رفعين.

رَفٌّ عَيْنٌ: اضْطُرْبَ وَتَحَرَّكَ، مَا زَالَتْ عَيْنِي تَرْفُ حَتَّى أَبْصَرْتُكَ، تَرْفُ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ٢٣، ص ٣٥٦.

(٥) الأزهري: العينين.

(٦) يَدْ: تَعْنِي لَا مُحَالَةَ، «قَدْ أَلْزَمْتَهُ نَفْسِي وَجَعَلْتَهُ وَاجِبًا عَلَيْهَا، وَفِي مَعْنَى لَا مُحَالَةَ: أَي لَا حِيلَةَ فِي الْأَمْرِ».

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم الغوثي الصُّحَارِي ج ٢، ص ٢٢١.

(٧) الأزهري: المنظور

(٨) الأزهري: كيلا.

(٩) الأزهري: أغمض.

لَاقَى بَصْرَهُ، فَإِنْ لَمْ يُشْتَغَلْ بِمَنْظُورٍ إِلَيْهِ [آخِر] ^(١)عندمَا فَتَحَ [عَيْنُهُ] ^(٢) فَهُوَ
نَاطِرٌ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ وَيَصْرِفُ بَصْرَهُ إِلَيْهِ بِلَا فِتْنَةٍ.

وَرَبَّمَا دَخَلَتْ عَلَى الْعَمَالِ الْخُدْعَةُ فَيَتَشَاغِلُونَ بِسَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ،
يُرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ صَرَفُوا الْبَصَرَ وَذَلِكَ كَشْغَلِهِمْ أَبْصَارَهُمْ بِحُسْنِ الثَّوْبِ الَّذِي عَلَى
الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، أَوْ بِحُسْنِ ^(٣)الْمَرْكَبِ الَّذِي تَحْتَهُ رَجُلًا ^(٤)مِنَ الْعَدُوِّ ^(٥)أَنْ يَجُوزَ الْحَدَّ
فَيَتَبَيَّنُ الْمَنْظُورُ، فَكُلُّ مَا يُبَيِّنُ لِلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ يَعْدُ نَظَرَةً لِلثَّوْبِ أَوْ غَيْرِهِ عَدَّهَا نَظَرَةً
الْفُجْأَةِ وَهِيَ فُجْأَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تَعَرَّضَ لَهَا وَأَشْغَلَ بَصْرَهُ بِالسَّبَبِ الَّذِي لَا يَبْعُدُ أَنْ
يَتَبَيَّنَ [بِهِ] ^(٦)الْمَنْظُورُ إِلَيْهِ كَمَا قَدَّرَ مَا بَيْنَ الثَّوْبِ وَالْجِسْمِ، أَوْ يَتَبَيَّنَ الْمَرْكَبَ وَمَا
عَلَيْهِ، أَوْ يَنْظُرُ إِلَى الْخَفِّ ^(٧)يَتَوَهَّمُ بِمَا وَرَاءَهُ، وَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَصْعَدَ بَصْرُهُ إِلَى مَا
فَوْقَهُ فَذَلِكَ التَّعَرُّضُ لِنَظَرَةِ الْفُجْأَةِ.

فَهَذِهِ خُدْعَةٌ تَدْخُلُ عَلَى الْعَمَالِ بِمَا خَدَعَ لَتَعْجِبِهِ ^(٨)مِنْ حُسْنِ الثَّوْبِ
وَتَقْوِيمِهِ ^(٩)إِيَّاهُ، فَكُلُّ خُدَيْعَةٍ مِنَ النَّفْسِ لَتَنْظُرٍ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ، وَهِيَ ^(١٠)

(١) الأزهري: آخر.

(٢) الأزهري: عينه.

(٣) الأزهري: حسن.

(٤) رجلاً: أرجأت الشيء: أخرتَه، ومنه قول الله عز وجل في قراءة بعضهم: {وَأَخْرُورٌ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ}.
انظر: العين. الخليل بن أحمد البصري: ج ٦، ص ١٧٤.

(٥) العدو: وهو التجاوز ومنافاة الالتئام، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٥٣.

(٦) الأزهري: به.

(٧) الأزهري: الخلف.

والخف: في الشرع: اسمٌ للمُتَّخِذِ مِنَ الْجِلْدِ السَّاتِرِ لِلْكَبِيرِ فِصَاعِدًا وَمَا لَحِقَ بِهِ.
انظر: التعريفات الفقهية. محمد عميد الإحسان المجددي البركتي: ج ١، ص ٨٨.

(٨) الأزهري: خدعوا لتعجبهم.

(٩) الأزهري: تقويمهم.

(١٠) الأزهري: فهي.

كالمفسدة إذا تعرّضت للسبب الذي لا يعري من أن يتبين ما نهي عنه، وربما دخلت الخدعة على (١) القرّاء الجهال بعدما يفجأه فيزيد في الفجأة، وربما فعله بعد ما يصرف بصره - وهو في نفسه شبه المقتدر على نفسه - أنه ليس (٢) ينظر لشهوة فينظر فيما تحيل إليه نفسه وعدوه معتبراً (٣) - فيما يزعم - ليذكر بذلك حور الجنان أو خدامها، فتعمد بالنظر إلى ما نهي عنه يريد فيما يزعم أن ينال من الثواب بما أوعده عليه العقاب، فيطلب الشيء بضده، وكيف يعتبر بها حرم عليه، وإنها العبرة التي تؤدي الطاعة فيما أمر ثم يصرف (٤) بصر قلبه غصة (٥) [و] (٦) تورعاً إلى ما أعد الله في جنته؛ فيكون معتبراً ورعاً، فإذا نظر [إلا ما نهي عنه] (٧) معتبراً كان ناظراً فاجراً وإن ظن أنه معتبر.

وقد يدخل أيضاً على العمال خدعة عند سبب يحدث من منكر يكون من المنظور إليه من لفظ لا يحل، أو مناجاة من لا تحل [مناجاته]، (٨) أو التبرج (٩) فتبدي ما أمرت بستره فتجد النفس خدعة لتنظر بها بعد الصرف أو عند الفجأة يريد ليأمر وينهى، كقوله: استتري أو غطي عليك أو ما أشبه ذلك، وهو قاصد

(١) الأزهري: عن.

(٢) الأزهري: لا.

(٣) معتبراً، معتبر: أي الاعتباط والتذكر. بمعنى الاعتدال بالشيء في ترتب الحكم نحوز.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري: ج ١، ص ٦٣١.

(٤) الأزهري: بصرف.

(٥) الأزهري: غفة.

غصة: الطري الذي لم يتغير. مثل المؤمن كمثل خافت الزرع أي غصه ولينه.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ١٩٦.

(٦) الأزهري: و

(٧) الأزهري: إلا ما نهي عنه.

(٨) الأزهري: مناجاته.

(٩) التبرج: البروز والظهور، إظهار الزينة للناس.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس القزويني: ج ١، ص ٢٣٨.

إِلَى النَّظَرِ وَهُوَ عِنْدَ نَفْسِهِ مَطِيعٌ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَدْ خَدَعَتْهُ [نَفْسُهُ] ^(١) فَفَجَرَ ^(٢) بِتَعَمُّدِ النَّظَرِ، وَقَدْ كَانَ يُجْزِيهِ الْأَمْرُ مَعَ الْغَضِّ، وَلَكِنْ عُمِيَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُتَعَمِّدٌ بِالنَّظَرِ إِذْ كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ لِنَهْيِهِ أَوْ يَأْمُرُ، وَرَبَّمَا خَدَعَتْهُ نَفْسُهُ بِأَنَّهُ مَن لَوْ كَانَ مِّنْ يَسْتَرِيحُ إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ لَمَا نَشِطَ لِأَمْرِهِ وَلَا نَهْيِهِ، كَانَ ذَلِكَ كَثِيرًا ^(٣) يَكُونُ مِنْهُ أَنْ يَرَى الْمُنْكَرَ أَوْ التَّبَرُّجَ مَن لَّا يَعْجَبُهُ النَّظَرُ إِلَيْهِ فَلَا يَأْمُرُهُ، وَتَخْدَعُهُ نَفْسُهُ عِنْدَمَا يَعْجَبُ ^(٤) مِنَ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، فَيَقْصِدُ قَصْدَ النَّظَرِ بِالْأَمْرِ، وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ حُبُّ الْأَمْرِ إِنَّمَا غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ النَّظَرِ، وَأَدْخَلَ الْأَمْرَ خُدْعَةً وَدُلْسَةً ^(٥) كَأَنَّهُ يَعْمَلُ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ، وَكَذَلِكَ يُدْخَلُ عَلَيْهِ فَيَمْنُ لَا يَجِدُ بَدَأًا مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ مَن يَرِيدُ أَنْ يَتَبَيَّنَ لِيَعْرِفَهُ بِشَهَادَةٍ أَوْ مُبَايَعَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَيَنْظُرُ عَامِدًا لَذَلِكَ، وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَوْلَا السَّبَبُ الَّذِي احتاج [لِأَجْلِهِ] ^(٦) إِلَى أَنْ يَنْظَرَ إِلَيْهِ مَا نَظَرَ، وَلَكِنْ تَدْخُلُ عَلَيْهِ خُدْعَةٌ وَإِنْ كَانَ النَّظَرُ لَهُ مَبَاحًا وَتَعَمُّدًا ^(٧) فَيَنْظُرُ بِالتَّلَذُّذِ.

قُلْتُ: وَكَيْفَ يُجْمَعُ ذَلِكَ وَقَدْ أَبَحَتْ النَّظَرَ؟

قال: لِأَنَّ النَّفْسَ تَحِبُّ أَنْ تَنْظَرَ تَعَمُّدًا؛ لِتَتَلَذَّذَ ^(٨) فَمَنْعَهَا ذَلِكَ وَلَمْ يَطْعَمَهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى مَا أُبِيحَ لَهُ وَجَدَتْ النَّفْسُ ظُفْرًا ^(٩) بِمَا كَانَتْ تَطَالِبُ مِنْ قَبْلِ، النَّظَرَ

(١) الأزهري: نفسه.

(٢) ف فجر من الفجور: وهو شق ستر الديانة، قال تعالى: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}، الانفطار: ١٤، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٦.

(٣) الأزهري: كثيرًا.

(٤) الأزهري: يفجئه.

(٥) ودُلْسَةٌ أصلها دُلْسٌ: وهي بِالضَّمِّ الْخَدِيعَةُ، كَتَمَ غَيْبَهُ، وَأَخْفَاهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٥١.

(٦) الأزهري: لأجله.

(٧) الأزهري: ويعمد.

(٨) الأزهري: بتعمد اللذة.

(٩) ظُفْرًا مِنَ الظُّفْرِ: الْفَوْرُ بِمَا طَالَبَتْ.

بالتلذذ، فدعته بما أُبِيحَ وقد جمع إلى ما أُبِيحَ له معنى ثاني بالتلذذ للمنظور إليه ثم تعمّد النظر، وإِنَّمَا مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلَ رَجُلٍ لَقِيَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا تَقِيٌّ^(١) وَالْآخَرُ فَاجِرٌ^(٢)، فَقَالَ لُهُمَا: يَا فَاجِرَانِ، وَكَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً هُوَ فِيهَا صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، كَذَلِكَ لَوْ قَالَ لُهُمَا: يَا تَقِيَّانِ، كَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً وَهُوَ فِيهَا صَادِقٌ وَكَاذِبٌ.

قُلْتُ: وَكَيْفَ صَارَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً صَدَقَ وَكَذَبَ^(٣) وَالصَّدَقُ ضِدُّ الْكَذْبِ وَالْكَلِمَةُ لَا تَكُونُ كَلِمَتَيْنِ تَضَادَيْنِ^(٤)؟

قَالَ: لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الْكَذْبُ وَالصَّدَقُ مِنْ قَبْلِ تَضَادِّ الْكَلِمَةِ، وَلَكِنْ مَعَهُ الْكَلِمَةُ قَصْدَانِ؛ قَصْدٌ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ لِيَكْذِبَ عَلَى هَذَا وَيَصْدُقَ عَلَى هَذَا^(٥)، وَكَذَلِكَ قَصْدٌ بِنَظَرَةٍ وَاحِدَةٍ؛ لِيَنَالَ مَا أُبِيحَ وَيَلْتَذَّ بِمَا حُرِّمَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ لِلرِّيَاءِ؛ لَمْ يَتَضَادَّ مِنْ قَبْلِ الطَّاعَةِ بِالْجَوَارِحِ؛ فَيَكُونُ طَاعَةً [و]^(٦) لَا طَاعَةً، وَلَكِنْ مَعَهُ قَصْدَانِ أَرَادَ بِأَحَدِهِمَا اللَّهَ وَأَرَادَ بِالْآخَرِ غَيْرَ اللَّهِ، فَهُوَ مُطِيعٌ بِالْجَوَارِحِ غَيْرِ مُطِيعٍ لِلَّهِ تَعَالَى إِذْ أَشْرَكَ مَعَ الْقَصْدِ إِلَيْهِ لِلْقَصْدِ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا عَلَى الْمُرِيدِ خُدْعَةٌ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ [مِثْلَ ذَلِكَ]^(٧) بِحُسْنِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ؛ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ خَلْفَهُ، أَوْ إِلَى قُرْبِهِ، أَوْ خِيَالٍ يَرَاهُ، أَوْ حَرَكَةٍ مَشِيٍّ

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٨، ص ١٥٨.

(١) تَقِيٌّ: تَقَى اللَّهَ تَقِيًّا، زَكِيٌّ خَافَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا أَنْ تَنْتَفُوا مِنْهُمْ تَقَاةً﴾، آل عمران: ٢٨، الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٤، ص ١٠٢.

(٢) فَاجِرٌ: كُلُّ مَائِلٍ عَنِ الْحَقِّ فَاجِرًا.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج ٤، ص ٤٧٥.

(٣) الْأَزْهَرُ: صَدَقًا وَكَذِبًا.

(٤) تَضَادَانِ يَعْنِي تَضَادَ: أَيِ الضَّدِّ فِي الْمَعْنَى، مُؤْمِنٌ/كَافِرٌ، وَحَسَنٌ/سَيِّئٌ.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني ج ٦، ص ٣٩٠٧.

(٥) الْأَزْهَرُ: لِبَصْدَقٍ عَلَى هَذَا، وَيَكْذِبَ عَلَى هَذَا.

(٦) الْأَزْهَرُ: وَ.

(٧) الْأَزْهَرُ: يَتَلَذَّذُ.

أو غير ذلك، فلا يعمل بصره بالانشغال عن الفجأة؛ لأنَّ إذْ أفضَّاه لم يقع بصره عليه فيدع بصره مفتوحاً في الجهة التي لا بدَّ للمنظور أن يلقاه فيها حبة من النفس أن يفجأها المنظور إليه، فإذا فجأته^(١) صرف بصره وعدَّ نفسه متورعاً به غاضباً^(٢)، وقد أقرَّ^(٣) بصره في الجهة التي يعلم أنَّ المنظور إليه يفجأه [به]^(٤) بالعمد لأن يفجأه المنظور إليه بسبب نظرة في فجأة، ومثل ذلك؛ رجلٌ قيل له دخلت فلانة^(٥) من باب البيت؛ فهو ينظر من قبل إلى باب البيت فأقرَّ^(٦) بصره ينظر إلى باب البيت والنفس تنظر أن تدخل من الباب؛ فيقع عليها البصر فتدرك ما تريد من اللذة.

وقد يدخل أيضاً على المريد خدعة أن يفجأه المنظور إليه؛ فيكون بين يديه وهو ماش^(٧) [من]^(٨) خلفه فلا يسرع؛ فيتقدمه^(٩) فيرى أنه إذا مشى كمشيه الأول قبل أن يصير المنظور إليه بين يديه أن ذلك مباح ويغض بصره إلى

(١) الأزهر: فجأة.

(٢) غاضب: والغاطي الذي يعلو كل شيء فيغطيه.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٤، ص ٤٣١.

(٣) أقرَّ: أي سكن، وإذا أنبتة، وقَرَّ الشيء، واستقرَّ في دميته.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج ١، ص ١٤٥.

(٤) الأزهر: به.

(٥) فلانة: والعرب تصف المؤنث بالمصدر؛ قال تعالى: {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا}، الفرقان: ٢٨، الآية.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري: ج ٣، ص ٦٤٦.

(٦) أقرَّ. أي بَحَّ لها بالطاعة.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ١١٧.

(٧) ماش: يعني مشى.

انظر: : تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي: ج ١١، ص ٢٩٧.

(٨) الأزهر: من.

(٩) الأزهر: فيتقدم.

الأرض، فكلّمًا^(١) احتاج إلى رفعه؛ لينظر ما بين يديه في طريقه [أن]^(٢) لا يستقبله شيء يؤديه رفع بصره إلى المنظور إليه؛ فيعد ذلك فجأة، وقد تعرّض للفجأة تفجأة^(٣) إذ أمسك عن سرعة المشي أن يتقدم؛ فيصير من خلفه ولا يفجأة^(٤)، فتركه ذلك تعرّض [منه]^(٥) للفجأة.

وما زال التقدم بين يدي المنظور إليه من فعال المتقين، ومن ذلك ما روي عن موسى عليه السلام أنه قال للجارية التي دعته إلى أبيها: [أن]^(٦) تسير خلفه وأرشد^(٧) في الطريق؛ كره أن يقع بصره عليها إن ضربت الريح بعض ثيابها انكشفت.

وقد يخدع ناسٌ بذلك أن يكون ماشيًا فيعرض المنظور إليه بين يديه فيقصّر عن مشيه الأول لئلا يتقدمه؛ فيكون المنظور إليه خلفه، ويقصّر في^(٨) ذلك ويقع عليه البصر في خلال ذلك؛ فيرى أنه قد أعدّر^(٩) بالغض وفجأة ما لا يملك، وقد تعمّد النظر ولم يفتن للخديعة؛ لأنّ تقصيره من^(١٠) مشيه وإن غصّ تعرّض للخدعة في وقت بعد وقت.

(١) الأزهر: فإذا.

(٢) الأزهر: لئلا.

(٣) الأزهر: بفجأة.

(٤) الأزهر: يفجؤه.

(٥) الأزهر: منه.

(٦) الأزهر: أن.

(٧) وأرشد من الرشد: خلاف الغي، أي هداية من الله، قال تعالى: {قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، البقرة: ٢٥٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٥٤.

(٨) الأزهر: عن.

(٩) الأزهر: أعد.

(١٠) الأزهر: في.

مسألة في النذور

حَدَّثَنَا أَبُو النضر^(١)، قَالَ حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ^(٢) عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ^(٣) عَنْ ابْنِ عَبْدِ بْنِ الْأَشْجِ^(٤) عَنْ كَرِيبٍ^(٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٦)

(١) أبو النضر: هاشم بن القاسم الليثي الخراساني شيخ المحدثين، سمع من: ابن أبي ذئب وشعبة، وحريز بن عثمان، ورجل وجمع وصنف، وسمع من شعبة ما أملاه ببغداد، حدث عنه: أحمد بن حنبل، وعلي، وكان أحمد بن حنبل يقول: أبو النضر شيخنا من الأمرين بالمعروف، والناهي عن المنكر، من متبني بغداد. ثقة، وكان أهل بغداد يفخرون به، مات سنة ٢٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٥٤٦.

(٢) الليث بن سعد: ابن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية أبو الحارث الفهمي، من الفرس، سمع من: عطاء بن أبي رباح، ويزيد بن أبي حبيب، روى عنه: هشيم، وابن وهب، وابن المبارك، وأبو النضر هاشم بن القاسم، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، سمع أحمد بن حنبل يقول: الليث ثقة، ثبت، مات سنة ١٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ١٦٤.

(٣) يزيد بن أبي حبيب: أبو رجاء الأزدي، الإمام الحجة، مفتي الديار المصرية، وهو من صغار التابعين، حدث عن: عطاء، وعلي بن رباح، وعراك بن مالك، حدث عنه: ومحمد بن إسحاق وسعيد بن أبي أيوب، كثير الحديث، مات سنة ١٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ٣٢.

(٤) عبد بن الأشج: هو بكير بن عبد الله بن الأشج، الإمام الثقة، الحافظ، روى عنه: يزيد بن أبي حبيب، وأيوب بن موسى، ثقة صالح لا يفوقه أحد بالحديث، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ١٧١.

(٥) كريب: ابن أبي مسلم، أبو رشدين، الهاشمي والد رشدين ومحمد، أدرك عثمان، وأرسل عن الفضل بن عباس، وحدث عن: مولاة ابن عباس، وأم الفضل أمه، حدث عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن مع تقدمه، حسن الحديث، مات سنة ٩٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٤٨٠.

(٦) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس البحر، ابن عم رسول الله (ص)، صاحب النبي (ص)، حدث عنه: بجملة صالحة، وعن عمر، وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، من رجال الكمال، ابن عباس، قال: مسح النبي (ص) رأسي، ودعا لي بالحكمة، ومسنده ألف وستمائة وستون حديثاً، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعون تفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثاً، تفرد مسلم بتسعة أحاديث، توفي سنة ٨٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ٣٥٩.

قال: «النَّذُورُ^(١) أَرْبَعُ؛ نَذْرٌ لَا يُسَمَّى، وَنَذْرٌ لَا يُطَاقُ، وَنَذْرٌ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فِيهِ الْكَفَّارَةُ، وَنَذْرٌ يُسَمَّى وَيُطَاقُ لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ»^(٢)، فِيهِ الْوَفَاءُ بِهِ، وَنَذْرٌ فَائِتٌ.

فَأَمَّا النَّذْرُ الَّذِي لَا يُسَمَّى: فَهُوَ كَقَوْلِ الرَّجُلِ عَلَيَّ نَذْرٌ لَّهِ إِنْ بَرْتُ مِنْ مَرَضِي هَذَا أَوْ قَدَمْتُ مِنْ سَفَرِي، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلَهُ يَمِينًا، فَقَالَ عَلَيَّ [لِلَّهِ]^(٣) نَذْرٌ إِنْ كَلَّمْتُ فَلَانًا وَلَمْ يُسَمَّ^(٤) شَيْئًا يَفِي اللَّهُ بِهِ^(٥)، لَا صَلَاةَ، وَلَا صَدَقَةَ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّطَوُّعِ؛ فَعَلِيهِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ.

وَأَمَّا الَّذِي لَا يُطَاقُ: فَهُوَ كَقَوْلِهِ: اللَّهُ عَلَيَّ^(٦) نَذْرٌ أَنْ أَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ حَافِيًا رَاجِلًا، وَهُوَ مُمْنٌ لَا يَطِيقُ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفٍ أَوْ سَقَمٍ^(٧)، فَإِنْ كَانَ وَاجِدًا لِلْسَّبِيلِ إِلَى الْحَجِّ رَكِبَ وَكَفَّرَ لِأَنَّهُ لَا يَطِيقُ الْمَشْيَ.

(١) الأزهري: النور.

النَّذُورُ مفردُها النَّذْرُ: أَي مَا يَنْذِرُهُ الْإِنْسَانُ فَيَجْعَلُهُ عَلَى نَفْسِهِ نَحْبًا وَاجِبًا، وَأَهْلُ الْعِرَاقُ يَسْمُونَهُ: الْأَرْشَ. انظر: تهذيب اللغة محمد الهروي: ج ١٤، ص ٣٠٢.

(٢) صحيح البخاري: ج ٤، ص ١٥٧٨. سنن أبي داود: ج ٣، ص ٤١. تحفة الأحوزي. شرح الترمذي: ج ١، ص ١٧٠٧.

(٣) الأزهري: الله.

(٤) يُسَمُّ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ وَمَعْلَمٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ كَانَ يُسَمُّ إِلَيْ الصَّدَقَةِ». انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج ٦، ص ١١٠.

(٥) الأزهري: به الله.

(٦) الأزهري: علي الله.

(٧) سَقَمٌ وَالسَّقَامُ: الْمَرَضُ الْمُخْتَصُّ بِالْبَدَنِ وَفِي النَّفْسِ، قَالَ تَعَالَى: {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ}، الصَّافَاتُ: ٨٩، الْآيَةُ. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤١٥.

وكذلك روى عقبه بن عامر^(١) أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنْ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ حَافِيَةً رَاجِلَةً غَيْرَ مُحْتَمِرَةٍ»^(٢)، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ نَهَى عَنْ تَعْذِيبِ أُخْتِكَ نَفْسَهَا، مُرَهَا فَلْتَرْكَبْ وَلْتَحْتَمِرْ وَلْتَكْفُرْ كَفَارَةَ يَمِينٍ»^(٣)، وروى في حديث آخر: «مُرَهَا فَلْتَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ»^(٤). فاختلف العلماء^(٥) في ذلك، فقال بعضهم مَنْ نَذَرَ نَذْرًا لَا يَطَاقُ كَفَرَ كَفَارَةَ يَمِينٍ، فقالوا: الحديثان اللذان رويَا عَنْ عَقْبَةَ أَحَدُهُمَا يَصْدُقُ الْآخَرُ، لِأَنَّ [معنى]^(٦) أَمَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَصُومَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ»^(٧)، فهو معنى قوله كَفَارَةَ يَمِينٍ مِنْ لَا يَجِدُ صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

وقال بعضهم: يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَانَ غَنِيًّا^(٨) أَوْ فَقِيرًا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَقْبَةَ أَنْ يَأْمُرَ أُخْتَهُ [بصوم ثلاثة أيام و]^(٩) أَنْ تَرْكَبَ، وَذَلِكَ

(١) عقبه بن عامر الجهني، أبو حماد ويقال: حدث عنه: أبو الخير مرثد البزني، وسعيد بن المسيب، وأبو إدريس الخولاني، كان عالماً مقرئاً فصيحاً فقيهاً شاعراً كبير الشأن، شهد فتح مصر واختط بها. وولي الجند بمصر لمعاوية، أحسن الناس صوتاً بالقرآن. فقال له عمر: اعرض عليّ فقرأ؛ فبكى عمر، له في المسند خمسة وخمسون حديثاً، مات سنة ٥٨ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٤٦٨.

(٢) مُحْتَمِرَةٌ: أي من الخمار. يقال لما يُسْتَرُّ به، خَمَرَتِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا: أَي غَطَّتْهُ وَسْتَرَتْهُ بِالْخِمَارِ. انظر: التعريفات الفقهية: ج ١، ص ٨٩. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ج ٣، ص ٤٠.

(٣) جاء في الحديث: «[أَنَّ أُخْتَهُ نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ حَافِيَةً غَيْرَ مُحْتَمِرَةٍ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْنَعُ بِشَقَاءِ أُخْتِكَ شَيْئًا، مُرَهَا فَلْتَحْتَمِرْ، وَلْتَرْكَبْ، وَلْتَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ]».

انظر: السنن. ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٦٤. صحيح البخاري. محمد إسماعيل: ج ٢، ص ٦٦٠.

(٤) انظر: فتح الباري شرح الصحيح. العسقلاني: ج ٤، ص ٥٩٥.

(٥) العلماء هم: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ١٧٠ هـ، الإمام محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤ هـ، أنس بن مالك ١٧٩ هـ.

انظر: نيل الأوطار. محمد الشوكاني: ج ٨، ص ٢٨٥. تحفة الأحوذ بشرح الترمذي. عبد الرحمن المباركفوري: ج ٣، ص ١٠٣.

(٦) الأزهر: معنى.

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٤، ص ١٤٥.

(٨) الأزهر: غنياً كان.

(٩) الأزهر: بصوم ثلاثة أيام و.

دليل [على] ^(١) أنها كانت واجدة ^(٢)، إطعام عشرة مساكين؛ لأنه لم يأمرها إلا وهي واجدة للركوب.

وأما النذور في معصية الله عز وجل فهو كالرجل يقول ^(٣) الله عليّ نذر أن أنحر ^(٤) ولدي، أو أرمي نفسي، ولا أتكلّم كذا وكذا يوماً، أو أطوف بالبيت ^(٥) عرياناً ^(٦)، أو المرأة تنذر أن تحجّ غير محتمرة؛ ففي ذلك كله كفارة يمين؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال: «لا نذر في معصية الله وكفّارته كفارة يمين» ^(٧)، يرويه عنه عمران بن الحصين ^(٨): «فمن نذر نذراً في معصية [الله عز وجل] ^(٩) فعلية كفارة يمين ولا يعصي الله» ^(١٠).

(١) الأزهري: على.

(٢) واجدة: ليس فيها مرض أو بلاء.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ٧، ص ٤٧٨.

(٣) الأزهري: كان يقول الرجل.

(٤) أنحر: إذا قابله، قد نحر فلاناً ينحره نحراً، قال تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ} الكوثر: ٢، الآية، أي استقبل القبلة بنحر.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم الغوثي الصُّحاري: ج ٤، ص ٣٨٢.

(٥) بيت الله: يقصد فيه الكعبة المشرفة في (مكة المكرمة).

(٦) عرياناً: من كلمة يُعْرَى من ثوبه، فهو عارٍ وعريان.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٦٢.

(٧) انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل: ج ٦، ص ٢٤٦٤. سنن النسائي. أحمد بن شعيب: ج ١٠، ص ٦٩.

(٨) عمران بن حصين: هو ابن عبيد بن خلف، صاحب رسول الله (ص)، الإمام القدوة، وله عدة أحاديث، وولي قضاء البصرة، وكان عُمرُ بعثته إلى أهل البصرة ليفقّهم، حدث عنه: مطرف بن عبد الله بن الشخير، ووزارة بن أوفى، اتفق الشيخان له على تسعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث ومسلم بتسعة، مات سنة ٥٢ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٥١٢.

(٩) الأزهري: الله عز وجل.

(١٠) انظر: السنن. ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٥٩.

قَدْ خوصَمَ ابن عباس فقيل: (أَيَنْذُرُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَيَكْفُرُ [عَنْ] ^(١) يَمِينِهِ)،
فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْمَظَاهِرِ: **وَأَيُّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ
وَزُورًا** ^(٢)، فَأَمَرَ فِيهِ بِالْكَفَارَةِ.

إِلَّا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: بِخِلَافِ هَذَا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ لِلَّذِي نَذَرَ أَنْ يَنْحَرَ وَلَدَهُ،
[قَالَ] ^(٣): يَنْحَرُ بَدْلَهُ كِبْشًا، وَذَهَبَ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ ^(٤) إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ مِنَ الْفِدَاءِ لِابْنِهِ، وَسُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَى أَنْ تُتَّبَعَ فِي ذَلِكَ
وَهِيَ: كَفَارَةُ يَمِينٍ.

فَأَمَّا النَّذْرُ الَّذِي يَسْمَى وَيَطَاقُ لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ فَهُوَ كَالرَّجُلِ يَنْذُرُ أَنْ يَصِلَّ
رَكَعَاتٍ مَعْلُومَةٍ، أَوْ [يَصُومَ] ^(٥) صِيَامًا مَعْلُومًا فِي أَيَّامٍ يَحِلُّ فِيهَا الصُّومُ أَوْ الْحَجُّ
إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَهُوَ مُطِيقٌ؛ لِذَلِكَ فَعَلِيهِ الْوَفَاءُ بِهِ، إِلَّا أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي خَصْلَةٍ
وَاحِدَةٍ مِنْ ذَلِكَ فِي الرَّجُلِ يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْهِ نَذْرًا أَنْ يَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ.

فَقَالَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ^(٦) عَلَيْهِ أَنْ يُخْرَجَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِذَا كَانَ نَذْرًا، فَأَمَّا إِذَا
كَانَ يَمِينًا ^(٧) فَلَا؛ لِأَنَّ النَّذْرَ مَا أَرَادَ بِهِ الشُّكْرَ وَالطَّاعَةَ، وَالْيَمِينَ لِغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى
الْغَضَبِ وَغَيْرِهِ، وَاحْتَجَّتْ بِمَا يَرْوِيهِ الْحَسَنُ ^(٨) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنِ النَّبِيِّ

(١) الأزهري: عن.

(٢) المجادلة: ٥، الآية.

(٣) الأزهري: قال.

(٤) الأزهري: به سبحانه.

(٥) الأزهري: يصوم.

(٦) العلماء: مالك بن أنس ١٧٩هـ، عبد الله بن المبارك ١٨١هـ، الإمام الشافعي ١٠٤ هـ، الإمام أحمد ٢٤١هـ. يرحمهم الله.

انظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح. العسقلاني: ج ٧، ص ٢٣٠. عون المعبود لشرح سنن أبي داود. محمد شمس الأبادي: ج ٩، ص ٨٥.

(٧) اليمين: اليمين: مأخوذة من يمين الإنسان، وهي: إذا عقدت فأكد، وإذا حلفت فوحد.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: ج ١، ص ٢١٩.

(٨) الحسن البصري يرحمه الله.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَنْذِرُ فِي غَضَبٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»^(١).

وقال رجل لابن عباس: (إني نذرت نذرًا، قال: في غضبٍ أم في رضى، قال: لا بل في غَضَبٍ، قال: الله لا يتقربُ إليه بالغضبِ)^(٢).

وروى ابن عمر^(٣) وأبو هريرة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يُبين ذلك أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ لَمْ أَقْدَرَهُ، وَلَكِنْ أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ يُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَا يُؤْتِي عَلَى غَيْرِهِ»^(٤)، فأخبر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ النَّذْرَ شَيْءٌ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، [و]^(٥) لَيْسَ هُوَ كَالْأَيْمَانِ عَلَى الْغَضَبِ»^(٦).

(١) جاء في الحديث: «لا نذر في غضب وكفارة يمين». عن الأشعري: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فَوَافَقْتُهُ وَهُوَ غَضْبَانٌ، فَاسْتَحْمَلْنَاهُ فَخَلَفَ أَنْ لَا يَحْمِلَنَا».

انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل : ج ٤، ص ٥٧٥. صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٢٦٩.

(٢) انظر: سنن النسائي. أحمد بن شعيب : ج ٧ ص ٣٥.

(٣) ابن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب (رض) يرحمه الله.

(٤) جاء في الحديث «لَا يَأْتِي ابْنُ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدَّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قَدَّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ».

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٤، ص ٥٥٨. مسند الإمام أحمد: ج ٢، ص ٢٣٥.

(٥) الأزهر: و.

(٦) انظر: سنن النسائي. أحمد بن شعيب: ج ٧، ص ٣٦.

وقال كعب بن مالك^(١) للنبي صلى الله عليه وسلم لما تاب الله عليه: «إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنِّي أَنْخَلِعُ مِنْ مَالِي»^(٢)، وفعل أبو لبابة^(٣) مثل ذلك، وأبو طلحة^(٤) أيضًا لما شغله الطير^(٥) في صلاته، فقالوا: «النَّذْرُ مَا كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ شُكْرًا وَتَقَرُّبًا»^(٦).

وقالت فرقة^(٧): كُلُّ نَذْرٍ يُسَمَّى وَيَطَاقُ وَلَا مَعْصِيَةٌ فِيهِ كَانَ عَنْ يَمِينٍ أَوْ أَرَادَ بِهِ طَاعَةً فَعَلِيهِ الْوَفَاءُ [بِمَا سُمِّيَ]^(٨) به؛ لَأَنَّهُ قَدْ سَمِيَ نَذْرًا وَأَكَّدَهُ عَلَى نَفْسِهِ.

(١) كعب بن مالك: هو بن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد الخزرجي، شاعر رسول الله (ص)، وله عدة أحاديث وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين، روى عنه: بنوه: عبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، وابن عباس، مات سنة ٥١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٥٣٠.

(٢) جاء في الحديث «إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنِّي أَنْخَلِعُ مِنْ مَالِي صَدَقَةً».
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٤، ص ٥٨٢. مسند أبي داود. الطيالسي: ج ٣، ص ٢٤١.

(٣) أبي لبابة: هو عبدة بن أبي لبابة، أبو القاسم الأسدي ثم الغاضري، نزل دمشق، وحدث عن: ابن عمر، وعلقمة، حدث عنه: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والأوزاعي، عبدة قال: دَقْتُ ماءَ الْبَحْرِ لَيْلَةَ سَبْعَةِ وَعَشْرِينَ فَوَجَدْتُهُ عَذْبًا، مات سنة ١٢٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٢٣٠.

(٤) أبو طلحة الأنصاري، زيد بن سهل بن الأسود، صاحب رسول الله (ص)، وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، روى عن: أنس بن مالك، وابن عباس، وهو الذي قال فيه رسول الله (ص)، صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة. ومناقبه كثيرة. روى عن النبي (ص)، وعشرين حديثًا، منها في الصحيحين، مات بالمدينة، وصلى عليه عثمان سنة ٣٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٢٧.

(٥) طير: أي استهوته الشياطين في غفلة عن صلاته، شغله طير دبسي طار بين الشجر ونسي عدد الركعات في صلاته.
انظر: فهم الصلاة. لأبي حارث المحاسبي: ص ٣٧٣. تحفة الأريب بما في القرآن من غريب. أثير الدين الأندلسي: ج ١، ص ٢٠٩.

(٦) جاء في الحديث: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ».
انظر: السنن. ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٥٩.

(٧) الفرقة هم: الإمام أحمد بن حنبل ٢٤١هـ. إسحاق بن عبد الله بن طلحة ١٣٢هـ.
انظر: السنن. ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٦١. الجامع الصحيح لسنن الترمذي. الترمذي: ج ٤، ص ١٠٣.

(٨) الأزهر: بما سمي.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ^(١): يَمْسُكُ مِمَّا يَمْلِكُ [بِهِ]^(٢) قُوَّتُهُ^(٣) يَوْمَهُ وَمَا يَكْفِيهِ وَعِيَالِهِ^(٤) وَيُخْرِجُ الْبَاقِي، فَإِذَا وَجَدَ غَنًى^(٥) أَخْرَجَ مَا كَانَ حَبْسَ، وَقَالَ مَالِكُ^(٦) وَبَعْضُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ^(٧): يَخْرُجُ ثَلَاثَ مَالِهِ، وَاحْتَجَبُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي لَبَابَةَ: «يُخْرِجُكَ الثَّلَاثُ، وَقَالَ لَكَعْب: أَخْرَجَ بَعْضُ مَالِكِ لَجِيرَانِكَ، فَقَالَ لَهُ كَعْب: أَحْبَسُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ»^(٨).

أَمَّا النَّذَرُ الْخَامِسُ: الَّذِي يَنْذَرُهُ صَاحِبُهُ أَنْ يَنْذَرَ نَذْرًا فِيْفُوتَ وَقْتُ الْوَفَاءِ بِهِ؛ فَهُوَ كَقَوْلِهِ: اللَّهُ عَلَيَّ [نَذْرٌ]^(٩) أَنْ أَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِعِبَادَانِ^(١٠) فَيَمْرُضَ، أَوْ

(١) الفرقة هم: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ١٥١هـ. سفيان الثوري ١٦١هـ. انظر: الجامع الصحيح لسنن الترمذي. الترمذي: ج ٤، ص ١١٦.

(٢) الأزهر: به.

(٣) الأزهر: قوت.

قُوَّتُهُ هِيَ مِنَ الْقُوَّةِ: أَيِ الْمَسْكَةِ مِنَ الرِّزْقِ.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج ٦، ص ٥٤١.

(٤) عيال: الْأَصْلُ فِيهِ أُغْيِلْتُ أَيْ وَلَدْتُ أَوْلَادًا.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١١، ص ٤٨٦.

(٥) الغنى: أَيِ لَهْمٍ غَنَى النَّفْسَ مِنَ التَّعَفُّفِ وَالتَّلَطُّفِ، قَالَ تَعَالَى: {يُحَسِّبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ}، البقرة: ٢٧٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦١٤.

(٦) مالك: هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ.

(٧) بعض أصحاب الحديث: يحيى بن عبد الله بن بكير ٢٣١هـ، محمد بن مسلم الأزهرى ١٢٣هـ، أبو عبد الله وهاب بن منبه ١٢٤هـ، سفيان سعيد الثوري ١٦١هـ.

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٤، ص ٧١٧. السنن الكبرى. النسائي: ج ١٠، ص ٦٨.

(٨) انظر: صحيح مسلم. مسلم الحجاج: ج ٤، ص ٢٢١. مسند الإمام أحمد: ج ٦، ص ٣٩٠. الجامع الصحيح لسنن الترمذي. للترمذي: ج ٥، ص ٢٦٤.

(٩) الأزهر: نذر.

(١٠) عبادان: كَانَتْ عَابِدَانِ قَطِيعَةً لِحَمْرَانَ بْنِ أَبَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ (رَضِيَ)، وَالتَّسْمِيَةُ جَاءَتْ مِنَ الْعِبَادَةِ: وَهُوَ الرَّجُلُ الْكَثِيرُ الْعِبَادَةَ، وَأَمَّا إِلْحَاقُ الْأَلْفِ وَالنُّونِ فِيهِ لُغَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَهِيَ تَحْتَ الْبَصْرَةِ فِي -جَنُوبِ الْعِرَاقِ- قَرِيبَ الْبَحْرِ الْمَالِحِ -شَطِطِ الْعَرَبِ- حَالِيًا، وَكَانَتْ أَكْثَرَ مَوَارِدِهِمْ مِنَ النَّوْزِ، لَكُونِهَا أَرْضٌ لَا خَيْرَ فِيهَا وَيَعِيشُونَ عَلَى اصْطِيَادِ السَّمَكِ، وَكَانُوا يَظْهَرُونَ زَهْدَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

لله عليّ أَنْ أَصُومَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَيَمْرُضُ ذَلِكَ الْيَوْمَ: «فَفِيهِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ»^(١)، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَقِبَةَ بْنَ عَامِرٍ^(٢) اسْتَفْتَاهُ أَبُو الْخَيْرِ^(٣)، فَقَالَ: (إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِإِيلِيَا)، فَقَالَ عَقِبَةُ: سَمِعْتُ^(٤) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا النَّذْرُ حَلْفَةٌ»^(٥)، كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ»^(٦).

بارتداء لباس أبيض من الصوف.

انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي: ج ٤، ص ٧٤.

(١) جاء في الحديث «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ».

انظر: المعجم الكبير. الطبراني: ج ٧، ص ٢٧٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي العسقلاني: ج ١، ص ٩٧.

(٢) عقبة بن عامر الجهني.

(٣) أبو الخير: هو مرثد بن عبد الله أبو الخير اليزني المصري، الإمام، عالم الديار المصرية ومفتيها، حدث عن أبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت، وأبي بصرة الغفاري، وعقبة بن عامر، وعمر بن العاص، حدث عنه جعفر بن ربيعة، وعبد الرحمن بن شماس، ويزيد بن أبي حبيب، وعبيد الله بن أبي جعفر، توفي سنة ٩٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٨٥. تهذيب التهذيب. أحمد بن علي بن محمد: ج ٤، ص ٥١٩.

(٤) الأزهر: أسمع.

(٥) الأزهر: خلفه.

حَلْفَةٌ: أَي قَسَمًا، فَالْمَحْلُوفَةُ هِيَ الْقَسَمُ.

انظر: العين. الخليل البصري: ج ٣، ص ٢٣١.

(٦) انظر: السنن. ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٤٥. سنن النسائي. أحمد شعيب: ج ٧، ص ١٤.

تم كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح للمحاسبي
والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد نبيه
وآله وسلم وهو حسبنا ونعم الوكيل
وذلك في العشر الأول
من المحرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة



الخاتمة

إنَّ مخطوطةَ أعمالِ القلوبِ والجوارحِ هي من روائعِ كُتُبِ المحاسبي؛ لكونها قد مزَجَ فيها المحاسبي روعةَ الكلماتِ ما بين الفقهِ الإسلامي والعنصرِ الروحاني؛ لذلك كانتْ عصارَةُ جهدهِ لسنواتٍ طويلةٍ من فكرٍ وعِلْمٍ وثباتٍ على نهجِ القرآنِ الكريمِ والسُّنةِ النبويةِ. وعندما تقرأُ الكتابَ بِتَمَعٍ تُلاحظُ بوضوحٍ أنَّه قد ركَّزَ على مفهومِ القلبِ والجوارحِ وعلاقتها ببعضِ عندِ المؤمنِ في العبادةِ سالكاً طريقَ القلبِ قبلَ العقلِ والحواسِ.

وقد شكَّلَ هذا المنحى عندهُ طاعةً للمريدين بالتفويضِ والتوكُّلِ لربِّ العبادِ برؤيا جديدةٍ بعيدةٍ عن مفهومِ العقلِ؛ لكونِ أنَّ العقلَ عندَ الفلاسفةِ طريقٌ إدراكِ النورِ، والقلبُ عندِ المؤمنين طريقٌ نِجاةٍ من الهلاكِ، ولهذا السببِ نجدُ أنَّ هاجسَ الخشوعِ يلتزمُ به المريدُ القاصدُ لِعِلْمِ الشيخِ المحاسبي رحمةَ الله منذ قراءةِ السطورِ الأولى في الكتابِ؛ فقد جاءتْ بكلماتٍ ومعاني معطرةٍ ببلاغةِ القرآنِ الكريمِ ووعظٍ وسردِ الأحاديثِ.

لذلك وجبَ على القارئِ فهمَ لغةِ البلاغةِ ثمَّ المفهومَ الفكريِّ لمؤلفاتِ المحاسبي قبلَ البدءِ بالقراءةِ والتحقيقِ للمؤلفاتِ؛ لكونها أعلى من إدراكِ القارئِ البسيطِ من حيثِ نصِّ الكلامِ واللغةِ، لذلك يجبُ أن يكونَ طالبُ العِلْمِ على اطلاعٍ ونضوجٍ فكري تامٍ وصحيحٍ مبتعدٍ عن آراءٍ ومناهجٍ كان غايتها هدمُ عِلْمٍ في سبيلِ مُنفعةٍ دنيويةٍ أو فكريةٍ.

إنَّ الدراسةَ والتحقيقَ للمخطوطةِ لم تسلكْ لدينا طريقاً واحداً، بل كانتْ دراسةً وقراءةً وربطاً في سلسلةِ الأحداثِ التاريخيةِ لعصره في مدينةِ بغدادِ في القرنِ الثالثِ الهجري، واستقراءً مدى تأثيرِ المحاسبي بها، ويتضحُ أنَّ أفكاره كانتْ تستندُ في محاربةِ سياسةِ الدولةِ المترفةِ عن طريقِ الزهدِ حتى يكونَ لدى المريدين الفكرُ الصحيحُ لبناءِ النفسِ ورفضِ كلِّ آراءِ العلماءِ المدعومةِ عن

لسانِ الخلفاء.

لقد كانت لِدِيهِ طريقة في كتابة النصوص بمنتهى البلاغة في جميع المسائل المعروضة؛ فكل مسألة في طياتها عبارة عن مفهوم لتفسير الكلام في مفهوم الظاهر والباطن، وتمثّلت بالقراءة الصحيحة للكلمات، ثم يأتي تفسيرها، وقد بانَتْ فيها معاني نهج آيات القرآن الكريم، ولهذا السبب وَجَبَ على القارئ عَدَمُ إهمال أيِّ حرفٍ أو سطر دون معرفة ما هو المقصود منها في الكلام، والتركيز على المعنى في النصوص لكي يصل المريد للنص الصحيح والشافي لداء العقول، إِنَّ تسمية المحاسبي بسيد العارفين في خفايا علوم الظاهر والباطن في التفسير واللغة جاءت من روعة مؤلفاته وقيمة علمه.

لقد اختلفت مدرسة الشيخ المحاسبي في النهج الفكري في الزهد والتصوف عن المدارس الدينية الأخرى؛ لذلك جاءت في عدة تسميات، فكان أولها: مدرسة التصوف لكونه كان يدعو للزهد ومحاربة النفس ولبس الخشن من الملابس، وكان يأكل من بقايا الطعام، وهذه كانت كلها من صفات التصوف، ولكن بعد النظر بتمعن على مجمل مؤلفاته نستطيع أن نطلق على المدرسة تسمية نهج وليس صفة تصوف فقط، لكون أن المحاسبي قد تأثر بامتداد فكر الفقهاء الشافعية، ويعتبر من مشايخ الشافعية في العلوم الدينية؛ لكونه جلس واستمع للإمام الشافعي وأخذ منه في علم الفقه والأصول والتفسير في منهج القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولكن أيضًا التداخل يفتح بابًا للتسمية آخر غير التصوف والنهج للمحاسبي؛ لأن أساس المدرسة جاء على الجدال في الكلام في دين الحق، فهو القائل: ((إن الرد على البدعة فرض)). وكان من أشد المجادلين في علم الكلام، ومغبر الوجه للمعتزلة، ومجاهدا في تبطيل أقوالهم، كان أشبههم إتقانًا وأمتنهم كلامًا؛ فأصبح نهج المحاسبي المصنف لعلم الكلام لمدارس الأشعرية في الرد والمجادلة على كلام أصله بدعة.

ولا يمكن أن نقول أن التسمية أصبحت شاملة من حيث التصوف والفقه والمجادلة والرد بالكلام؛ لأن جوهر الكلام لدى المحاسبي جاء حسب المنطق في الحديث والوعظ ويتجه إلى خوضه في الحديث، وهذا الأمر يُبرر أن الشيخ

المحاسبي تتلمذ على يد مشايخ أهل الحديث، وكان ممن عاصر الإمام أحمد بن حنبل في تلقي علوم الحديث من المشايخ، ولكن قد خاض بالحديث شيئاً قليلاً، وقد نسب إليه بعض الأحاديث التي دخل فيها من باب الوعظ، ولكن لم يُبحر في جمع الأحاديث لكونه اقتدى ببعض التابعين من أهل البصرة، فلذلك السبب قد لجأ المحاسبي إلى طريقة الوعظ في سرد الأحاديث والمسائل الفقهية، وحتى التفسير لديه جاء بنسق كلامي وبلاغة معني، ويتضح أن المحاور الأربعة المشار إليها مسبقاً في تلقي علوم المحاسبي لم تأتي بالتسمية المحددة لمدرسة المحاسبي، وإنما جاءت في محاور فكر جديد، و كما يلي:

- المدرسة جاءت بمفهوم التصوف في اللبس والأكل ومحاربة النفس والخُلوة.
- ودرست المدرسة التفسير والفقه والإسناد بالأحاديث.
- كانت الأولى في الجدل بالكلام في المناظرة والإتقان.
- وعند سرد الحديث: كانت جميعها عن مشايخ عصره في الحديث.

ومما جاء أعلاه يمكن أن يُطلق عليها وَصَفَ مدرسة المحاسبي الواعظين عن طريق الجدَل والحق والتفسير بحكم فهمها للظاهر والباطن والحدّ والمطلع في علم التفسير والكلام، وبسند الأحاديث عن طريق الفقه الشافعي، مرتدي وشاح الزهد والورع ومحاربة النفس، وسار بطريقة المحدثين في التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت طريقة المحاسبي في الوعظ تجرّ الخصوم إليه من شدة بيانها، وأن كتبه هي أمهات الكتب في: الكلام والأصول والقياس والورع والمعرفة والتفسير بعلم الظاهر والباطن. ولكن الغريب بالأمر أن المحاسبي نصر الصوفية فيما سبق نصرًا لا مثيل له؛ فقد ترك بيئة المحدثين والفقهاء وأوى إلى الزهد والتصوف، فلماذا لم يحفظ الصوفية المعاصرون وعهده ومؤلفاته وأفكاره.

وفي النهاية أود القول أن عملية تحقيق المخطوطة لم تكن لدينا عبارة عن نقل كلمات من ورق أصفر قديم إلى أبيض فقط، بل هو تحليل فكري لكلمات المصنف من زاوية التفسير حول مفهوم المعاني للكلمات من حيث الظاهر والباطن وما بين السطور ومُدرَك للحركات والإشارات فيها. فكان باطنها

عبارة عن تبخّر في جوهر الكلمات وفهم فحواها والتبصّر بحدّها وهو بعدم
التجاوز على النصوص. وأمّا مطلعها كان عبارة عن فهم بما يقرئ منها؛ لذلك
كان التحقيق عهدًا لما بين السطور من المحقّق لربّ العزة لكلمات اختارها أن
تُخرج من بعد أعوام، فسبحان الله القائل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.

والحمْدُ لله ربّ العالمين

المصادر

- أحمد البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ت: رياض زركلي، الفكر، لبنان ط ١، ١٩٩٦.
- إبراهيم الحربي، غريب الحديث، ت: سليمان إبراهيم، أم القرى مكة المكرمة، ١٤٠٥ هـ.
- أبو قاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ت: عبد الحلیم محمود، الشعب القاهرة، ١٩٨٨.
- أحمد بن خلکان، أنباء أبناء الزمان، أ: إحسان عباس، صادر، بيروت ١٩٩٤.
- أحمد بن أبي خيثمة، التاريخ الكبير، ت: صلاح فتحی، الفاروق القاهرة، ٢٠٠٤.
- أحمد بن الحسين البیهقي، الزهد الكبير، ت: عامر أحمد، الجنان بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- أحمد الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السمع، ت: محمود الطحان المعارف ١٩٨٣.
- أحمد الخطيب، الكفاية في علم الرواية، ت: عبد الله السورقي، العلمية المدينة المنورة، ٢٠٠٢.

- أحمد الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ت: بشار عواد، الغرب بيروت ط ١، ٢٠٠١.
- أحمد بن حسين البيهقي، السنن الكبرى، ت: إبراهيم شمس العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- أحمد بن حسين البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، مكتبة الرشد، السعودية، ٢٠٠٣.
- أحمد بن حنبل، الزهد، ت: محمد جلال شرف، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ت: حمزة أحمد، دار الحديث القاهرة، ١٩٩١.
- أحمد البصري، الطبقات الكبرى، ت: أحمد شمس وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.
- أحمد شعيب النسائي، السنن الكبرى، ت: حسن الشبلي، الرسالة، بيروت ٢٠٠١.
- أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٦.
- أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلى، ت: حسين سليم الأسد، المأمون بيروت ط ٢، ١٩٨٩.
- أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، أ: إبراهيم الزئبق، دار الرسالة بيروت، ١٩٩٥.

- أحمد القرطبي، المفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابن كثير، بيروت ط ١، ١٩٩٦.
- أحمد البزار، مستند البحر الزخار، ت: محفوظ عبد الرحمن، العلوم المدينة المنورة، ١٩٨٨.
- أحمد القزويني، حلية الفقهاء، ت: عبد الله تركي، متحدة، بيروت، ١٩٨٣.
- أحمد فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد، الفكر القاهرة، ط ١، ١٩٧٩.
- أحمد بن قاسم أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ت: محمد النجار، الحياة بيروت، ١٣٩٩.
- أحمد محمد الطحاوي، شرح معاني الآثار، ت: محمد النجار، عالم الكتب القاهرة، ١٩٩٤.
- أحمد عبد الرزاق، موسوعة أحمد بن حنبل في رجال الحديث، الكتب بيروت، ط ١، ١٩٩٧.
- أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨.
- إسحاق إبراهيم الفارابي، معجم ديوان الأدب، ت: أحمد مختار، الشعب، القاهرة، ٢٠٠٣.

- إسماعيل عمرو كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد سلامة، طبعة السعودية، ١٩٩٩.
- إسماعيل بن قاسم البغدادي، البارع في اللغة، ت: هشام الطعان، النهضة بغداد، ط١، ١٩٧٥.
- إسماعيل المزني، السنن المأثورة للشافعي، ت: عبد المعطي معين، المعرفة بيروت، ١٤٠٦هـ.
- أنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، تر: محمد السيد وآخرون الجمل بغداد، ٢٠٠٦.
- أيوب الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات، ت: عدنان درويش، الرسالة بيروت ١٩٩٨.
- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد ابوالفضل، دار التراث مصر، ١٩٥٧.
- بديعة محمد عبد العال، الأدب التركي العثماني، دار الثقافية، ط١ القاهرة، ٢٠٠٧.
- تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ت: عبد الفتاح محمد، هجر مصر، ١٤١٣هـ.
- تقي الدين أحمد الحراني، مجموعة الفتاوى، ف.ح: عبد الرحمن بن محمد مجمع الملك فهد، السعودية ٢٠٠٤.
- جي، شرح غريب ألفاظ المدونة، ت: محمد محفوظ، دار الغرب تونس، ١٩٨٠.

- جلال الدين السيوطي، الدرر المنتور في التفسير، ت: عبد الله تركي، الهجرة المدينة المنورة ٢٠٠١.
- جلال الدين السيوطي، سنن النسائي، ت: التراث الإسلامي، دار المعارف لبنان، ط ١٢، ٢٠١٢.
- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية الجنوب، تونس، ١٩٩٤.
- جمال الدين المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: بشار عواد الرسالة بيروت، ١٩٩٢.
- جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ت: عبد الله علي، صادر بيروت، ط ٣ ١٤١٤هـ.
- جمال الدين الكجراتي، بحار الأنوار في غرائب التنزيل المعارف العثمانية إسطنبول، ١٩٦٧.
- جوزيف فان اس، علم الكلام والمجتمع، تر: سائلة صلاح، الجمل بيروت، ١٩٩٠.
- حارث المحاسبي، آداب النفوس: ت: عبد القادر أحمد، دار الجيل بيروت، ١٩٩١.
- حارث المحاسبي، آداب النفوس: ت: عبد القادر أحمد، دار الجيل بيروت، ١٩٩١.
- حارث المحاسبي، أستاذ السائرين، عبد الحليم محمود، دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٥.

- حارث المحاسبي، الإنابة إلى الله، ت: هلمون ريتز، O.SPES، ألمانيا، ١٩٣٥.
- حارث المحاسبي، الإنابة لله، ت: مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة، ١٩٩١.
- حارث المحاسبي، التوبة، ش: عبد القادر أحمد، النصر، القاهرة، ١٩٧٧.
- حارث المحاسبي، التوهم، ت: آرثر جون اربري، تر: أحمد أمين، بيت الوراق، بغداد، ٢٠١٠.
- حارث المحاسبي، الخلوة والتنقل في العبادات، ت: أغناطيوس عبد خليفة الشرق، بيروت، ١٩٥٥.
- حارث المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: عبد الحلیم محمود، المعارف القاهرة، ١٩٨٥.
- حارث المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: عبد القادر عطا الله، دار كتب علمية بيروت، ١٩٨٥.
- حارث المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: مارغريت سميث، بغداد ط ١٤١٢.
- حارث المحاسبي، الزهد ومسائل أعمال القلوب والجوارح، ت: عبد القادر عطا، الجيل، بيروت ط ١، ١٩٦٩.
- حارث المحاسبي، الصبر والرضا، ت: جوزيف فإن اس، O.SPES، ألمانيا ط ٦، ١٩٣٦.

- حارث المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ت: حسين القوتلي، دارالفكر، بيروت ط ١، ١٩٧١.
- حارث المحاسبي، العلم، ت: محمد عابد مزالي، دارالتونسية، الجزائر ١٩٧٥.
- حارث المحاسبي، المكاسب، ت: سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية د.ت.
- حارث المحاسبي، الوصايا، ت: عبد القادر عطا الله، داركتب علمية، لبنان ط ١، ١٩٨٦.
- حارث المحاسبي، رسالة المسترشدين، ت: فتاح ابو غدة، دارالسلام، حلب ط ٢ ١٩٦٤.
- حارث المحاسبي، شرح المعرفة وبذل النصيحة، ت: مجدي فتحي، الصحابة مصر، ١٩٩٣.
- حارث المحاسبي، معاتبة النفس، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الاعتصام القاهرة، ٢٠٠٣.
- حسن عبد الله العسكري، ديوان المعاني، ت: أحمد حسن، الكتب العلمية بيروت، ط ١ ١٩٩٤.
- حسن عبد الله العسكري، الفروق اللغوية، ت: محمد عبد السلام، الإسلامي السعودية، ١٤١٢هـ.
- حسن بن علي نصر الطوسي، مختصر الأحكام، ت: أنيس بن أحمد، الغرباء السعودية، ١٤١٥.

- حسين مسعود البغوي، تفسير البغوي في معالم التنزيل، ت: محمد عبد، طيبة الرياض، ١١٤١هـ.
- حكيم الترمذي، ختم الأولياء، تر: عمر أوانجنت، حكاية، أنقرة، ٢٠١٤.
- حمد بن محمد الخطابي، غريب الحديث، ت: عبد الكريم غرباوي، الفكر دمشق، ١٩٨٢.
- خليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بغداد، ١٩٨٥.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.
- راغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان عدنان، دار العلم دمشق، ١٤١٥هـ.
- رجب عبد الجواد، المعجم بأسماء الملابس عند العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- رين هارت آن، تكلمة المعاجم العربية، تر: جمال الخياط، وزارة الثقافة العراق، ١٩٧٧.
- زكي المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث، ف.ح: إبراهيم شمس، العلمية بيروت، ٢٠٠٣.
- زهير شفيق الكبي، موسوعة خلفاء المسلمين، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤.
- زين الدين العراقي، شرح ألفي العراقي، ت: محمد بن حسين علمية، بيروت ٢٠٠٨.

- زين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم الصوفية، ت: محمد أديب، صادريروت، ١٩٩٩.
- سعيد بن حسن الأندلسي، ديوان أبي مدين الغوث، أ: عبد القادر مسعود وآخرون، بيروت ٢٠١١.
- سلمة الصحاري، الإبانة في اللغة العربية، ت: عبد الكريم خليفة، التراث عمان، ١٩٩٩.
- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ت: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤.
- سليمان بن أحمد الطبراني، معجم الأوسط، ت: طارق بن عوض، الحرمين القاهرة، ١٩٩١.
- سليمان الأشعث النسجستاني، كتاب الزهد، ت: ياسر بن داوود، مشكاة، مصر، ط١ ١٩٩٣.
- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: حسان بن منان، دار الرسالة بيروت، ٢٠٠١.
- شمس الدين القرطبي، تفسير القرآن، ت: أحمد الردوني وآخرون، دار المصرية ط٢، ص ١٩٦٤.
- شهاب الدين السهروردي، عوارف المعارف، ت: عبد الحليم محمود، المعارف القاهرة، ب. ت.
- شهاب الدين بن ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط١ ١٩٩٧.

- شهاب الدين الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: عبد القادر الأرناؤوط وآخرون، ابن كثير، بيروت، ١٩٨٨.
- صفوت عبد الفتاح محمود، المغني في معرفة رجال الصحيحين، عمار، الأردن، ط ١ ١٩٨٧.
- صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، التراث، بيروت ط ١ ٢٠٠٠.
- ضياء الدين القدسي، الأحاديث المختارة، ت: عبد الملك الله، حضر، بيروت ٢٠٠٠.
- عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
- عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ت: أحمد الشرباصي، الشعب القاهرة، ١٩٩٨.
- عبد الرحمن الجوزي، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، ت: عبد العزيز الصاعدي، مكتبة دهر السلام، بغداد، ١٩٩٣.
- عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٢ ١٩٧٧.
- عبد الرحمن حاتم التميمي، العلل، ت: سعد عبد الله، مكتبة الملك فهد، الرياض ٢٠٠٦.
- عبد الرحمن التميمي، الجرح والتعديل، ت: محمد السعيد، الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٨.

- عبد الرحمن الحنبلي، بيان فضل علم السلف، ت: محمد ناصر، الاصمعي، الرياض ١٤٠٦ هـ.
- عبد الرحمن الحنبلي، رواع التفسير، دار العاصمة،، دار الفكر، السعودية ٢٠٠١.
- عبد الرحمن الحنبلي، شرح صحيح البخاري، ت: محمود شعبان، الغرباء، السعودية ١٩٩٦.
- عبد الرحمن بن علي الجوزي، تلبيس إبليس، دارالقلم، لبنان، ٢٠٠١.
- عبد الرحمن الجوزي، غريب الحديث، ت: عبد المعطي أمين، الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٥.
- عبد الرحمن بن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، ت: محمد مطيع، الفكر بيروت، ١٩٩٦.
- عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ت: حبيب رحمان الأعظمي، المجلس العلمي الهند، ١٤٠٣ هـ.
- عبد الفتاح القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات، مكتبة السوادي، جدة ١٩٩٢.
- عبد القادر الكيلاني، الغنية في طالبي الحق، ف.ح: صلاح بن محمد، العلمية بيروت، ١٩٩٧.
- عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

- عبد الله بن أبي دنيا، الرقة والبكاء، ت: محمد خير، دار ابن حزم بيروت، ١٩٩٨.
- عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٧.
- عبد الله المرزبان، تصحيح الفصيح وشرحه، ت: محمد بدوي، مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، ١٩٩٩.
- عبد الله العتيبي، المآخذ العقيدية على كتاب إحياء علوم الدين، الهدي النبوي السعودية، ٢٠١٥.
- عبد الله الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ت: علي محمد، كتب العلمية بيروت، ١٩٩٥.
- عبد الله مبارك المروزي، الزهد، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، كتب العلمية بيروت، ٢٠٠٤.
- عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة، المصنف، ت: أسامة بن إبراهيم الفكر، القاهرة، ١٩٩٤.
- عبد الله محمد المقدسي، الآداب الشرعية، ت: شعيب الأرناؤوط، الرسالة بيروت، ١٩٩٩.
- عبد الواحد يحيى، مقالات رينيه جينو، تر: زينب عبد العزيز، دار الأنصار، مصر، ١٩٩٦.
- عبد الكريم محمد السمعاني، الأنساب، مكتبة ابن تيمية، ط ١، القاهرة، ١٩٨٠.

- عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى للمسي لواقح الأنوار القدسية، ت: توفيق علي، الثقافة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥.
- عبد النبي الفكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، كتب علمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- عثمان الشهرزوري، طبقات فقهاء الشافعية، ت: محي الدين علي، الإسلام، بيروت، ١٩٩٢.
- عز الدين الجزري، اللباب في التهذيب، ت: قاسم محمد، المثني، بغداد، ١٩٧٥.
- عصام الدين الصبابي، الأحاديث القدسية في الحديث، دار الريان، السعودية، ٢٠٠٨.
- عصام الشنطي، فهرست المخطوطات العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
- علاء الدين المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال، ت: صفوت سقا، الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨.
- علي المرسي، المخصص، ت: خليل جفال، إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٦.
- علي المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ت: عبد الحميد هندائي، الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- علي الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.

- علي بن جعفر علي السعدي الصقلي، كتاب الأفعال، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣.
- علي حسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، ت: محب الدين العموري، الفكر، دمشق، ١٩٩٦.
- علي الأزدي، المنتخب من كلام العرب، ت: محمد العمري، إحياء التراث، السعودية، ١٩٨٩.
- علي محمد القارئ، مرقاة المفاتيح، ت: جمال عيتاني، العلمية بيروت، ط ١١، ٢٠٠١.
- علي كرم الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد، ابن حزم، بيروت، ٢٠١٢.
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.
- عمر الشافعي ابن ملقن، طبقات الأولياء، ت: نور الدين شربه، مكتبة الخانجي، قاهرة، ١٩٩٤.
- عمر بن محمد النسفي، طلبة الطلبة، مطبعة المثنى، بغداد، ١٣١١هـ.
- عمرو الجاحظ، البيان والتبين، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٩٨.
- فريد الدين العطار النيشابوري، تذكرة الأولياء، ت: محمد جادر، الأندلس بيروت، ١٩٧٩.

- فواد سزكين، تاريخ التراث العربي، تر: محمود فتحي، إدارة الثقافة والنشر، الرياض، ١٩٩١.
- القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، ت: محمد خان، العثمانية، إسطنبول، ١٩٦٤.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة، ط٥، د.ت.
- كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في الطبقات، ت: إبراهيم سامرائي المنار الأردن، ١٩٨٥.
- مجد الدين مبارك الجزري، النهاية في غريب الحديث، ت: أحمد محمد الأوقاف، قطر، ١٤٠٧هـ.
- مجد الدين محمد فيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: التراث، دار الرسالة بيروت، ٢٠٠٥.
- محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ش: مصطفى ديب، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٢.
- محمد الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ مالك، ت: طه عبد الرؤوف الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.
- محمد أحمد، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، عبد المنعم طوعي، البشائر بيروت، ١٩٩٨.
- محمد السفاريني، الألباب شرح منظومة الآداب، ت: محمد عبد العزيز الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

- محمد أحمد السفاريني، لوائح الأنوار السنية، ت: عبد الله محمد، الرشد السعودية، ط ١، ١٩٩٤.
- محمد أحمد الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث بيروت، ٢٠٠٢.
- محمد أحمد بطل، النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ مذهب، التجارية، سعودية، ١٩٩١.
- محمد بن إدريس الشافعي، الأم، ت: رفعت فوزي، دار الوفاء مصر، ٢٠٠١.
- محمد بن إسحاق البغدادى، الفهرست، ت: إبراهيم رضوان، المعرفة بيروت، ١٩٩٧.
- محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، ت: آرثر جون ابري، الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣.
- محمد بن أشرف آبادي، عون المعبود شرح سنن داوود، كتب علمية، بيروت ط ٢، ١٤١٥ هـ.
- محمد بن حبان السبتي، الثقات، ت: محمد عبد المعيد خان، المعارف، الهند، ١٩٧٣.
- محمد بن حسن الأزدي، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.
- محمد بن خير الإشبيلي، الفهرست، ت: بشار عواد وآخرون، الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٩.

- محمد زيد ابن ماجه القزويني، السنن، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون الرسالة، دمشق، ٢٠٠٩.
- محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ت: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١.
- محمد بن سهل الكرخي، الألفاظ الكتابة والتعبير، ت: حامد صادق، دار البشير، عمان، ١٩٩١.
- محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال، كتب العلمية بيروت، ٢٠٠٨.
- محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار، بيت الأفكار، عمان ٢٠٠٤.
- محمد القاضي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون، ت: علي دحروج لبنان، بيروت، ١٩٩٦.
- محمد الأصمهباني، المغيث في غريب القرآن، ت: عبد الكريم الغرباوي، مدني سعودية، ١٩٨٦.
- محمد بهاء الدين العاملي، الكشكول لخاتمة الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
- محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، ت: أحمد محمود، مكتبة الحلبي، دمشق، ١٩٧٨.
- محمد الأزدي، تفسير الغريب ما في الصحيحين، ت: زبيدة محمد، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٥.

- محمد الأنباري، الزاهر في معاني كلام الناس، ت: حاتم صلاح، الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٩.
- محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس جواهر القاموس، دار إحياء التراث بيروت، ١٩٨٤.
- محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، تخ: الحافظ العراقي، ابن حزم بيروت، ط ١، ٢٠٠٥.
- محمد بن محمد الغزالي، الدرة الفاخرة، ع. ع: موفق فوزي جبر، الحكمة دمشق، ط ١، ١٩٩٥.
- محمد بن محمد الغزالي، المنقذ من الضلال، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٨.
- محمد بن محمد الغزالي، قانون التأويل، ع. ع: محمود بيجو، دار البيان دمشق، ١٩٩٣.
- محمد بن يزيد، كتاب الكامل، ت: محمد الدالي. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.
- محمد الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن، ت: سمير مجذوب، الإسلامي السعودية، ١٩٨٣.
- محمد حسن جبل، المعجم المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، الآداب، القاهرة ٢٠١٠.
- محمد الهندي، الرفع والتكميل في الجرح، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ابن تيمية القاهرة، د.ت.

- محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوزي بشرح الترمذي، أ: عبد الرحمن محمد الفكر، مصر، ١٩٥٠.
- محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ع.ع: أحمد فهمي، دار الكتب بيروت، ط ٩، ١٩٩٦.
- محمد عبد الله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ت: مصطفی عبد بیروت، ١٩٩٠.
- محمد عمیم البرکتی، التعریفات الفقہیة، دار الكتب العلمية، پاکستان، ٢٠٠٣.
- محمود بن أحمد الحنفي، نخب الأفكار، ت: ياسر بن إبراهيم، الأوقاف الإسلامية، قطر، ٢٠٠٨.
- محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط، دارالمعرفة، بيروت، ١٩٩٣.
- محمود بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- محمود بن عمرو الزمخشري، تفسير الكاشف، ع.ع: خليل مأمون، المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣.
- محي الدين شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار كتب العلمية بيروت، ١٩٦٥.
- مسلم بن حجاج القشيري، صحيح مسلم، ت: محمد فواد، دار إحياء الكتب القاهرة، ١٩٤٥.

- مصطفى عبد الله جلي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ت: محمد شرف، التراث، بيروت، ١٩٤١.
- نشوان بن سعد الحموي، شمس العلوم ودواء الكلام، ت: حسين لعمري الفكر، بيروت، ١٩٩٩.
- نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ت: حسين سليم أسد، المأمون، بيروت ٢٠٠٩.
- هشام بن محمد الكلبي، جمهرة النسب، ت: ناجي حسن، النهضة العربية بيروت، ط١، ١٩٨١.
- وكيع بن جراح، الزهد، ف.ح: عبد الرحمن عبد الجبار، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ.
- يحيى بن زكريا النووي، شرح النووي على مسلم، ش: علي عبد الحميد السلام، القاهرة ١٩٩٦.
- يحيى بن شرف النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ابن حزم، بيروت ١٩٩٦.
- يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي، ت: محمد عبد، دار، الفكر القاهرة، ١٩٥٠.
- يعقوب بن إسحاق، الألفاظ، ت: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٨.
- اليمان بن أبي اليمان، التقفية في اللغة، ت: خليل إبراهيم، بغداد، ١٩٧٦.

محتوى الكتاب

٧.....	هذا الكتاب.....
١١.....	قائمة الإشارات والاختصارات.....
١٥.....	صور من مخطوطة مكتبة السليمانية.....
١٧.....	صور وصلات شراء نسخ المخطوطة.....
١٩.....	صور من مخطوطة مكتبة الأزهر.....
٢٣.....	المقدمة.....
٣٩.....	تفاصيل الكتاب.....
	سيرة الإمام المحاسبي:
٤٣.....	اسمه ومولد وحياته ووفاته.....
٥٢.....	شيوخه وتلاميذه.....
٦٢.....	ثناء أهل العلم عليه.....
٦٨.....	فكر المحاسبي في علم الكلام.....
	مؤلفاته:
٧٧.....	الكتب المحققة من المستشرقين.....
٨٢.....	الكتب المحققة من العرب.....
٩٢.....	المخطوطات غير المحققة والمفقودة.....

وصف المخطوطات.....	٩٩
وصف تفاصيل مخطوطة الأصل.....	١٠٣
وصف تفاصيل مخطوطة الأزهر.....	١٠٥
منهج التحقيق والمقابلة.....	١٠٧
ملخص المسائل.....	١١٣
صورة من غلاف كتاب أعمال القلوب والجوارح نسخة الأصل.....	١٢٣
التحقيق.....	١٢٥
الخاتمة.....	٣١٣
مصادر الكتاب.....	٣١٧
محتوى الكتاب.....	٣٣٧